فرنسا تضع السلفيين تحت المجهر

ص3

نبيلة منيب

تطرح مشروعها لإنقاذ السياسة المغربية من «الردة»

ص8

جماليات الدراما البوليسية تجربة يوسف الشريف في أربعة أعمال

ص15

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/06/17

03 شوال 1439

السنة 41 العدد 11021

Sunday 17/06/2018

41st Year, Issue 11021

غريفيث يمد الحوثيين بقشة النجاة

● عرض أخير: انسحاب الحوثيين من الحديدة لمنع انتقال المعارك إلى داخلها

صالح البيضاني

❑ **عدن**- وصل المبعوث الأممي إلى اليمن مارتن غريفيث في زيارة جديدة إلى صنعاء هي الثانية له خلال يونيو الجاري، وتترافق الزيارة مع تحولات كبيرة على الصعيد العسكري تشير إلى اقتراب خسارة الحوثيين لمدينة الحديدة الاستراتيجية وميناءها.

وتمثل الزيارة قشة نجاة للمتمردين المرتبطين بإيران كونها تعطيهم فرصة أخيرة للجلوس إلى طاولة المفاوضات، لكن بشروط جديدة وبعضها عاجل مثل سحب مقاتليهم من المدينة لمنع انتقال المعارك إلى داخلها.

وقالت مصادر سياسية لـ"العرب" إن زيارة غريفيث إلى صنعاء بعد ساعات قليلة من سيطرة قوات المقاومة اليمنية المشتركة مسنودة بالتحالف العربي على مطار الحديدة، تهدف للتوصل إلى صيغة اتفاق عاجلة تحول دون انتقال المعارك إلى داخل مدينة الحديدة.

ووفقا لمصادر "العرب" تتضمن مبادرة غريفيث سرعة انسحاب المسلحين الحوثيين من داخل الحديدة، مقابل وقف العمليات والشروع في جولة جديدة من المشاورات بين الفرقاء اليمنيين برعاية الأمم المتحدة.

وتوقعت المصادر فشل المبعوث الدولي في مهمة اللحظات الأخيرة، مشيرة إلى تمسك الحوثيين بالبقاء في الحديدة وموافقتهم ضمنيا على تسليم ميناء المدينة للأمم المتحدة، وهي الصيغة التي لن تحظى بموافقة الحكومة اليمنية والتحالف العربي بعد سيطرة القوات المشتركة على مطار الحديدة الدولي.

وقال مسؤول حكومي يمني لـ"العرب" إن العروض التي قدمها غريفيث في زيارته السابقة لصنعاء مطلع يونيو الجاري وحظيت بموافقة الشرعية في ذلك الوقت لم تعد مقبولة اليوم بعد أن أصبح تحرير مدينة الحديدة أمرا محسوما من الناحية العسكرية في ظل حالة الانهيارات المتسارعة في صفوف الحوثيين.

وعن دلالة زيارة المبعوث الأممي في هذا التوقيت لصنعاء، أشار الباحث السياسي اليمني نجيب غلاب إلى أن هذه الزيارة تأتي بينما الجماعة الحوثية تعاني من التراجع والفشل، جراء التحول المفصلي في المعادلات العسكرية والسياسية والاجتماعية التي ستقود حتما إلى انهيار الجماعة الحوثية في أكثر من مكان.

وقلل غلاب من جدوى أي اتفاق خلال زيارة غريفيث لصنعاء، وذكّر بالتاريخ الحافل بالتلاعب الحوثي بالقرارات الأممية، غير أنه اعتبر أن هذه الزيارة محاولة لإضفاء قيمة وشرعنة لفوضى الميليشيات الحوثية من خلال تقديم مبادرات تمنح الجماعة الحوثية مكاسب سياسية في الوقت الذي تتلقى فيه هزائم قاصمة على طول الساحل الغربي.

وأعلن الجيش اليمني، السبت، تحرير مطار مدينة الحديدة الدولي غربي البلاد من قبضة الميليشيات الحوثية، ودخول قوات التحالف العربي إلى المطار.

وأكدت مصادر ميدانية لـ"العرب" تمكن قوات المقاومة المشتركة من دخول مطار الحديدة الدولي والسيطرة على مداخله الجنوبية والغربية وأنها تقوم بتطهير بعض جيوب الحوثيين في مساحة المطار الشاسعة التي تضم المطار العسكري ومعسكر الدفاع الجوي، بالتزامن مع تقدم قوات أخرى باتجاه محور كيلو 16 شرق المدينة بهدف قطع الطريق بين صنعاء والحديدة وقطع طرق الإمدادات على جيوب الميليشيات التي ما زالت تتحصن في جنوبي الحديدة، وتضييق الخناق عليها في الأجزاء المتبقية من المطار.

وأفادت المصادر أن القوات المشتركة أحكمت قبضتها على الشريط الساحلي بعد إجهاض محاولات تسلل قامت بها عناصر حوثية في منطقة الفارة (جنوب الحديدة)، مع ورود مؤشرات عن انسحابات حوثية من مدن بيت الجراحي والحسينية وبيت الفقيه وزبيد باتجاه مدينة الحديدة.

واعتبر وزير الإعلام اليمني معمر الأرياني في تصريح لـ"العرب" أن تحرير الحديدة سيمثل دافعا إيجابيا يجبر الميليشيات على العودة إلى المسار السياسي وإنهاء مظاهر الانقلاب وتسليم السلاح والانسحاب من المدن وفقا للمرجعيات الثلاث.

ووصف محللون وخبراء سياسيون تحرير مطار الحديدة بأنه نقطة تحول محورية في مسار الحرب اليمنية، باعتبار أن خسارة الحوثيين تفتح الطريق أمام خسارتهم للميناء الذي يعد بمثابة الشريان الوحيد الذي كان يزود الميليشيات بالسلاح القادم من إيران.

وتوقع المحللون في تصريحات لـ"العرب" أن ينعكس تحرير المطار بشكل إيجابي على المجالين السياسي والإنساني، مستبعدين إمكانية التوصل إلى أي تسوية يمكن أن توقف عملية تحرير الحديدة في ضوء زيارة المبعوث الأممي الجديدة لصنعاء.

واعتبر الباحث والمحلل السياسي اليمني فارس البيل أن تحرير المطار هو نصف الطريق لتحرير الحديدة، مما يعني أن مساحة التراخي مع الميليشيا قد تقلصت إلى أدنى حالاتها وأن التنازلات التي كانت تقدمها الحكومة والتحالف لإنجاح خيار التسوية السياسية لم تعد واردة.

من جانبه، أكد الباحث السياسي السعودي علي عريشي في تصريح لـ"العرب" أن تحرير مطار الحديدة سيعني بالتالي تحرير ميناء الحديدة الذي حولته الميليشيات الحوثية إلى معبر لإدخال الصواريخ الباليستية القادمة من إيران.

بريطانيا واليمن... موقف يصعب فهمه

خيرالله خيرالله

» ص5

الإمارات تدعم إثيوبيا بثلاثة مليارات دولار

دبلوماسية توسيع دائرة الأصدقاء

❑ **أديس أبابا** – لاقت زيارة ولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان إلى إثيوبيا اهتماما رسميا وشعبيا لما أثمرته من دعم إماراتي لبلد يمر بصعوبات اقتصادية، لكنه يشكل حلقة مهمة في الأمن الإقليمي.

وقال مسؤول إثيوبي إن الإمارات تعهدت بتقديم ثلاثة مليارات دولار كمساعدات واستثمارات ما من شأنه أن يكون له "تأثير كبير" على نقص العملة الأجنبية في إثيوبيا.

وأكد الشيخ محمد بن زايد، خلال لقائه رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد، عمق العلاقات التي تجمع بين الإمارات وإثيوبيا، و"الحرص المشترك على دفع هذه العلاقات إلى الأمام في المجالات كافة بدعم من قيادتي البلدين لما فيه خير الشعبين الصديقين وتقدمهما".

وأعرب ولي عهد أبوظبي عن ثقته في أن الفترة القادمة سوف تشهد نقلات نوعية مهمة في مسار العلاقات الإماراتية – الإثيوبية في المجالات كافة بفضل اتفاقات التعاون المهمة بين البلدين التي تغطي الجوانب الاقتصادية والتجارية والثقافية والتنموية وغيرها.

وذكرت وكالة الأنباء الرسمية الإماراتية أن الجانبين أكدا على سعي البلدين إلى تنمية العلاقات الثنائية في مختلف المجالات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية والتنموية وغيرها.

وقال محللون إن الدعم الإماراتي لإثيوبيا يأتي في سياق الدبلوماسية التي تعتمدها الإمارات والتي تقوم على توسيع دائرة الدعم الاقتصادي لكسب مواقف داعمة لرؤية الإمارات تجاه أزمات المنطقة سواء ما تعلق بإيران أو الوضع في اليمن، أو بقطع الطريق على التدخلات الخارجية في منطقة القرن الأفريقي، وما تمثله من تهديدات لأمن مصر ودول الخليج على المديين القريب والبعيد.

وأشار المحللون إلى أن إثيوبيا حلقة مهمة في المنطقة لا سيما في علاقتها بمصر، وعلى وجه الخصوص ما تعلق بأزمة مياه النيل، وأن تدعيم التقارب معها من شأنه أن يساعد على دفع الحوار القائم الآن للتوصل إلى حل دائم بشأن تلك الأزمة.

وتنظر الإمارات، كما السعودية، إلى منطقة القرن الأفريقي، كمنطقة استراتيجية لأمنها القومي، فضلا عن أمن الملاحة الدولية، وسبق أن قدمت مساعدات كبيرة للصومال في سياق تركيز قوات أمن قادرة على مواجهة الإرهاب، قبل أن تفتعل مقديشو الأزمة الأخيرة خدمة لأجندة تركية قطرية.

وكان مسؤول إثيوبي قال إن دولة الإمارات العربية المتحدة تعهدت، الجمعة، بتقديم ما إجماله ثلاثة مليارات دولار مساعدات واستثمارات إلى إثيوبيا في دعم كبير لرئيس الوزراء الجديد آبي أحمد.

وفي الأسبوع الماضي زار آبي أحمد مصر، مبديا لهجة تصالحية جديدة في نزاع طويل ومرير بشأن سد تبنيه إثيوبيا على النيل، وتخشى مصر أن يهدد إمداداتها المائية. وسافر آبي أحمد إلى أبوظبي والرياض بعد فترة وجيزة من توليه منصبه.

وقال أحمد شيد، المتحدث باسم الحكومة الإثيوبية، إن تعهدات الإمارات سيكون لها "تأثير كبير" على نقص العملة الأجنبية في إثيوبيا.

الحكومة المصرية تمتص الغضب الشعبي بالإعلان عن الزيادات أيام الإجازات

مصطفى عبيد

❑ **القاهرة** – تتعمد الحكومة المصرية اتخاذ القرارات الاقتصادية الصعبة في غمرة انشغال المواطنين بالعطلات والمواسم، كي لا يكون هناك أي مجال للاحتجاج أو التعبير عن الرفض في الشارع، ومن ثم نسيان المسألة برمتها، اعتمادا على وقائع سابقة مشابهة تمت بنجاح.

وأعلنت الحكومة المصرية، السبت، عن زيادة جديدة ذات مفعول فوري لأسعار المحروقات تصل إلى 50 بالمئة. كذلك شمل القرار زيادة أسعار أسطوانات غاز، وهي زيادات من شأنها أن تعكر فرحة المصريين بالعيد.

وتأتي زيادة أسعار الوقود بعد أيام قليلة من زيادة أسعار الكهرباء والمياه ومترو الأنفاق وعدد من الخدمات المقدمة للمواطنين في إطار إصلاحات تقول الحكومة إنها ضرورية لمعالجة عجز الميزانية ووضع الاقتصاد على مسار النمو لكنها تزيد العبء على كاهل المصريين.

وتحمل الزيادة المتواصلة في الأسعار، ارتباكا في حسابات الكثير من الأسر المصرية، ولا تضع الحكومة في اعتبارها حجم الأعباء وتداعياتها المجتمعية، وتحاول تبريرها بأشكال عدة وعبر حملات إعلانية مدفوعة الأجر، تؤكد أنها ضرورية وليس هناك فكاك منها.

ومن المتوقع أن تستمر الحكومة في نهجها في غمرة انشغال المصريين بمباريات كأس العالم، وأداء منتخب بلادهم.

وبدأت قصة التوقيتات المثالية للقرارات مع تولي الرئيس عبدالفتاح السيسي مقاليد الحكم في يونيو 2014، ولديه يقين بأن المصريين لن يثوروا مرة أخرى وهم يرون مصير الثورات في بلدان مثل سوريا واليمن وليبيا، ويصر على تطبيق قرارات إصلاحية تحمل تبعات مباشرة على المعيشة، ما يدفع إلى ضرورة التخطيط لإدارة الغضب وضبط ردود الأفعال، اعتمادا على تقارير الأجهزة الأمنية التي ترى صعوبة بالغة في حدوث غضب جديد بين المصريين.

وأعلنت السلطات، السبت، أن هناك انتشارا أمنيا بدأ في محطات الوقود ومواقف سيارات الركاب، عقب الزيادات الجديدة.

وأوضحت وزارة الداخلية، في بيان، عقب زيادة حكومية لأسعار الوقود وتعريفة الركوب، أن "الأجهزة الأمنية كثفت الخدمات الأمنية والمرورية بمحيط محطات الوقود ومواقف سيارات الركاب لضبط ما يقع من مخالفات".

ونقلت وكالة الأنباء الرسمية، عن مصدر أمني مسؤول قوله، "من يخالف التعليمات، ولم يلتزم بالتعريفة الجديدة للنقل بين المحافظات المختلفة، وفقا للأسعار المحددة والمعتمدة بهذا الشأن، سيتم اتخاذ الإجراءات القانونية ضده".

وصار يوم الخميس مقترنا لدى الناس بالقرارات الموجعة، ما دفع رواد مواقع التواصل الاجتماعي إلى إطلاق نكات وتعليقات ساخرة على ذلك اليوم باعتباره يوم شؤم.

وفي تصور البعض من المراقبين، فإن الأجهزة الأمنية تعلمت الدرس منذ مظاهرات الخبز الشهيرة في يناير 1977 عندما أدت زيادة الأسعار في عهد الرئيس المصري الأسبق محمد أنور السادات، إلى انتفاضة شعبية عارمة أشعلها الطلبة وشارك فيها عمال وموظفون، وسقط فيها 79 قتيلا، ما دفع السادات إلى إعلان حظر التجوال والتضحية بالحكومة وإلغاء قراراتها على مضض.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الغموض يخيم على علاقة رئيس الحكومة التونسية بحزبه

الاتحاد العام التونسي للشغل يرفض لقاء يوسف الشاهد في سياق اتصالات مكثفة

لم تقف خلافات حزب نداء تونس مع رئيس الحكومة يوسف الشاهد، الذي ينتمي إليه، أمام تنظيم لقاء جمع الشاهد بنواب حزبه في البرلمان ووزرائه. ويطالب نداء تونس بتغيير الحكومة، فيما انتقد الشاهد علنيا المدير التنفيذي لنداء تونس حافظ قائد السبسي. في المقابل، تقول البعض من المصادر إن اتحاد الشغل استثنى الشاهد من سلسلة الاتصالات التي يجريها في الفترة الحالية.

الشاهد يواجه موجة الرفض

❑ **تونس** – تكثف الاتصالات بين الفاعلين السياسيين في تونس خلال هذه الفترة في إطار التشاور حول مصير الحكومة، لكن الأوضاع تزداد غموضا خاصة بعد لقاء يوسف الشاهد رئيس الحكومة بنواب حزبه نداء تونس في البرلمان ووزرائه. ونداء تونس من أبرز المطالبين بإقالة حكومة الشاهد.

وتزامنا مع انسداد الأفق السياسي في تونس بعدم حسم الموقعين على وثيقة اتفاق قرطاج 2 مصير يوسف الشاهد وحكومته، كثف حزب نداء تونس الحاكم والاتحاد العام التونسي للشغل سلسلة تحركاتهما الدافعة للضغط ولإقناع كل الفاعلين السياسيين في البلاد بضرورة إجراء تعديل وزاري شامل لا يُستثنى منه أحد بما في ذلك الشاهد.

> تعنت المنظمات والأحزاب الرافضة لبقاء حكومة الشاهد من جهة وإصرار رئيس الحكومة من جهة ثانية على مواصلة تجربة الحكم يزيدان من تعقيد الأزمة السياسية بالبلاد قبل نحو عام على إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية

وتوسعت دائرة تحركات المنظمة النقابية والحزب الحاكم عقب إعلان الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي مطلع الشهر الجاري عن تعليق العمل بوثيقة اتفاق قرطاج بسبب اختلاف مواقف المشاركين في المفاوضات حول النقطة 64 من وثيقة قرطاج 2 التي تدعو صراحة إلى وجوب تغيير الحكومة.

واجتمع رئيس الحكومة يوسف الشاهد الأربعاء بنواب نداء تونس في البرلمان وممثليه في الحكومة في خطوة غير مرتقبة، خاصة أنه سبق له أن اتهم في حوار تلفزيوني حافظ قائد السبسي المدير التنفيذي لنداء تونس بتفكيك الحزب الحاكم.

وتباينت القراءات لهذا اللقاء خصوصا بعد أن سبق لعدد هام من أعضاء الكتلة البرلمانية لنداء تونس أن أعلنوا مواصلة مساندتهم لبقاء الشاهد على رأس الحكومة في خطوة مخالفة ومتمردة على البيانات الرسمية للحزب الحاكم. فيما أكدت البعض من المصادر أن اللقاء المفاجئ تم دون استشارة المدير التنفيذي للحزب حافظ قائد السبسي.

وقال منجي الحرباوي القيادي والنائب بالبرلمان عن حزب نداء تونس، في تصريح لـ"العرب"، إن "اللقاء لا يحمل في طياته أي مدعاة للغرابة أو الاندهاش باعتبار أنه ضم كل أبناء نداء تونس بما في ذلك رئيس الحكومة يوسف الشاهد".

وأفاد أن "الاجتماع لم يتطرق البتة إلى مسائل تخص الحزب أو المشكلات التي تشقه بقدر ما تم الحديث فيه عن مواقف نداء تونس من الحكومة ومن كامل أعضائها".

وأكد الحرباوي أن اللقاء تم بعلم من المدير التنفيذي للحزب، موضّحا أن نواب البرلمان الذين حضروا الاجتماع هم منتمون إلى لجنة بعثت مؤخرا صلب نداء تونس بطلب من حافظ قائد السبسي وتم تكليفها أساسا بمهمة تقييم العمل الحكومي.

كما كشف أن "الوفد الذي التقى الشاهد أبلغه بصريح العبارة عن مواقف الحزب الرافضة لمزيد بقاء حكومته في قصر القصبة أو مواصلته رئاسة الحكومة إلى غاية عام 2019" الذي من المنتظر أن تجري فيه الانتخابات التشريعية والرئاسية.

ونفى الحرباوي وجود انشقاقات صلب الكتلة البرلمانية لحزب نداء تونس جعلت الشاهد يجري اتصالاته لتأمين أكبر عدد ممكن من النواب في صفه، في حال تم عرض لائحة لوم لحكومته للتصويت داخل البرلمان.

ولم يستبعد نفس المصدر عودة المفاوضات بقصر قرطاج التي يقودها الرئيس السبسي حول النقطة 64 التي تدعو إلى إجراء تعديل وزاري عميق يشمل رئيس الحكومة.

وشدد على أن تمسك ثلاثة أطراف، وهي نداء تونس واتحاد الشغل والاتحاد التونسي للمرأة، بوجوب رحيل الحكومة "لم يأت من فراغ أو في إطار حرب شخصية وضيقة مع يوسف الشاهد بل هو متأت من تقييم عميق لعمل الحكومة التي فشلت في كل الملفات التي كلفت بها خاصة الاقتصادية والاجتماعية".

وأكدت مصادر من نداء تونس، لـ"العرب"، أن حكومة يوسف الشاهد راحلة لا محالة وأن مسألة التخلي عنها بقيت رهينة إتمام البعض من التفاهمات بين الأطراف والأحزاب والشخصيات المؤثرة في الساحة السياسية التونسية.

ويعتبر مراقبون أن تعنت المنظمات والأحزاب الرافضة لبقاء حكومة الشاهد من جهة، وإصرار رئيس الحكومة من جهة ثانية على مواصلة تجربة الحكم قد زادا في تعقيد الأزمة السياسية بالبلاد قبل نحو عام على إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية.

وتتمسك حركة النهضة الإسلامية بمساندة الشاهد وحكومته، حيث نفت في بيان رسمي إثر اجتماع مكتبها السياسي نهاية الأسبوع ما أكدته رئيسة الاتحاد التونسي للمرأة راضية الجربي التي قالت في تصريح لـ"العرب" إن النهضة عدلت موقفها من يوسف الشاهد وإن مفاوضات قصر الرئاسة ستستأنف في الأيام القليلة القادمة.

أما قيادة اتحاد الشغل، فقد زادت من تصعيد خطابها الرافض ليوسف الشاهد خصوصا عقب ما تداولته وسائل الإعلام المحلية مؤخرا من أن الأمين العام للمنظمة العمالية نورالدين الطبوبي رفض لقاء رئيس الحكومة.

وقال محمّد علي البوغديري الأمين العام المساعد باتحاد الشغل لـ"العرب"، إن "مواقف الاتحاد الرافضة لبقاء الشاهد وحكومته ثابتة ولا تتغير"، نافيا في المقابل علمه بوضع المنظمة العمالية أو أمينها العام خطا أحمر جديدا يتعلق برفض الاجتماع مع الشاهد على طاولة واحدة.

لكن مصادر نقابية مطلعة على كواليس اتحاد الشغل كشفت لـ"العرب"، أن منظمة العمال وعلى رأسها الطبوبي "غير مستعدة" للقاء رئيس الحكومة الذي يواصل انتهاج "سياسة الهروب إلى الأمام".

ويأتي رفض الطبوبي لقاء رئيس الحكومة، عقب اجتماع سابق للشاهد الأسبوع الماضي بوفد عن منظمة أرباب العمل تقدمه رئيسها سمير ماجول.

ولم تكشف رئاسة الحكومة عن فحوى اللقاء بين الشاهد وماجول، لكن البعض من المصادر لم تستبعد أن يكون اللقاء بينهما قد تطرق إلى مشاورات جادة بشأن تعديل وزاري يعتزم الشاهد الإعلان عنه قريبا.

وكان المكتب التنفيذي لاتحاد العام التونسي للشغل قد دعا عقب لقاء أمينه العام بالعديد من الشخصيات السياسية ورؤساء أحزاب ومنظمات تونسية إلى ضرورة أن يتحمل البرلمان والمؤسسات الدستورية مسؤولياتهما التاريخية بوضع حد لتواصل الأزمة السياسية، مما يعني مطالبة مجلس نواب الشعب بتوجيه لائحة لوم للحكومة تليها جلسة عامة يتم خلالها التصويت على تجديد الثقة في حكومة الشاهد أو سحبها.

الليبية للنفط: على الميليشيا الخروج من ميناءي راس لانوف والسدرة

❑ **طرابلس** – طالبت المؤسسة الوطنية للنفط في ليبيا السبت فصيلا مسلحا يقوده إبراهيم الجضران، الذي حاصر موانئ نفطية من قبل، "بالخروج الفوري المباشر دون قيد أو شرط" من ميناءي راس لانوف والسدرة النفطيين.

وقالت المؤسسة في بيان إن الخزان رقم 12 في ميناء راس لانوف تعرض "لأضرار جسيمة" في الاشتباكات التي دارت الخميس عندما اقتحمت قوات مرتبطة بالجضران الميناءين مما أدى إلى إغلاقهما.

وأضاف البيان "تطالب المؤسسة الوطنية للنفط ميليشيات إبراهيم الجضران ومن معه بالخروج الفوري المباشر دون أي قيد أو شرط لتفادي كارثة بيئية ودمار للبنية التحتية".

وقال البيان إن تعرض هذه المواقع للمزيد من الأضرار "سيكون له أثر هائل على القطاع النفطي وعلى الاقتصاد الوطني".

قدّرت مصادر إعلامية مختلفة السبت، أن يتجاوز عدد ضحايا الاشتباكات بين قوات الجيش الليبي وميليشيات مسلحة حاولت منذ يومين السيطرة على ميناءين نفطيين شمال البلاد، الـ30 قتيلا.

وأفادت اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان بليبيا بأنها تتابع "بقلق بالغ" تطورات الأوضاع في منطقة الهلال النفطي. واستنكرت اللجنة "التصعيد العسكري من قبل جماعات مسلحة يقودها إبراهيم الجضران وبتحالف مع سرايا الدفاع عن بنغازي"، محذرة من تداعيات التصعيد العسكري "الوخيمة" على أمن وسلامة وحياة المدنيين القاطنين بمنطقة الهلال النفطي.

وأدانت بلدان غربية الهجوم الذي شنه حرس المنشآت النفطية السابق على منطقة الهلال النفطي بهدف السيطرة عليها. واستنكرت السفارة الأميركية لدى ليبيا الهجمات الأخيرة على ميناءي راس لانوف والسدرة شمال ليبيا.

وذكر بيان صادر عن السفارة الجمعة، أن "الولايات المتحدة تدين بأشد العبارات الهجمات الأخيرة على ميناء راس لانوف وميناء السدرة في ليبيا وتدعو إلى وضع حد فوري للعنف الذي يضر بالبنية التحتية الوطنية الحيوية في البلاد".

وأكد بيان السفارة الأميركية أن "منشآت النفط وإنتاجه وإيراداته هي ملك للشعب الليبي وينبغي أن تظل تحت السيطرة الحصرية لحكومة الوفاق الوطني وفقا لقرارات مجلس الأمن الدولي رقم 2259 و2278 و2362".

كما أعرب السفير الإيطالي لدى ليبيا جوسيبي بيروني على رفض روما للهجوم على المنشآت النفطية. وورد في تغريدة لبيروني على موقع تويتر الجمعة، أن "الهجوم الذي شن في منطقة الهلال النفطي هو خطوة سلبية غير مرحب بها تؤدي إلى تفاقم الصراع وتعريض الموارد الثمينة التي يملكها الشعب الليبي للخطر". وحذّر بيروني من أن "دائرة العنف وسوء التصرف في شرق ليبيا لن تؤدي إلا إلى تعميق الأزمة التي تتطلب بدلا من ذلك الحوار والمصالحة".

وكان الجيش الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر قد أعلن الجمعة أن قواته شنّت غارات جوية ضد جماعات مسلحة حاولت السيطرة على حقول نفطية في شرق البلاد.

وحاولت تلك الجماعات الخميس مهاجمة ميناءي راس لانوف والسدرة في منطقة الهلال النفطي التي شهدت أعمال عنف مشابهة لما حدث بين 2016 و2017.

وقال متحدث باسم الجيش الليبي إن الضربات الجوية استهدفت "أرتال الإمداد والتعزيزات التي حاولت المجموعات الإرهابية استقدامها إلى مناطق الهلال". ونشرت قيادة الجيش الجمعة على صفحتها على فيسبوك، صورة لخليفة حفتر وإلى جانبه قائد منطقة الهلال النفطي وهما يعاينان خارطة وضعت على طاولة.

وأوردت بيان صادر عن الجيش أن "القائد العام للقوات المسلحة الليبية المشير خليفة حفتر يجتمع مع آمر غرفة عمليات الهلال النفطي العميد أحمد سالم لبحث آخر تطورات المنطقة ودحر الجماعات المارقة التي حاولت التسلل للهلال النفطي ووضع الخطط اللازمة لتأمين قوت الليبيين".

فوضى السلاح

ومنذ سقوط نظام معمر القذافي، تسود الفوضى ليبيا وتتنازع السلطة فيها حكومتان: حكومة الوفاق الوطني بقيادة فايز السراج المدعومة من المجتمع الدولي ومقرها العاصمة طرابلس، وحكومة أخرى في مدينة البيضاء شرق ليبيا منبثقة عن مجلس النواب الذي يعمل من طبرق (شرق) ويدعمها المشير حفتر. وكانت قوات حفتر سيطرت في سبتمبر 2016 على أربع منشآت نفطية رئيسية هي الزويتينة والبريقة وراس لانوف والسدرة، التي تؤمن صادرات النفط ما سمح باستئناف الإنتاج.

وفي المقابل، توقع مصطفى صنع الله رئيس المؤسسة الليبية للنفط، أن حجم خسائر بلاده سيتجاوز 400 ألف برميل نفط بسبب توقف الإنتاج في الميناءين اللذين استهدفهما هجوم الميليشيات.

ومساء الخميس، نشرت الصفحة الرسمية للمؤسسة الليبية للنفط التي تشرف على قطاع الغاز والنفط في ليبيا تصريحا مصوّرا لصنع الله وصف فيه الهجوم على ميناءي السدرة وراس لانوف بـ"الجريمة"، كما أكد أن إغلاق المنشآت وتوقف الإنتاج يعدان "كارثة" بالنسبة إلى ليبيا باعتبار تداعياتهما السلبية على موارد ليبيا المالية وعلى وضعها الاقتصادي.

وقال صنع الله إن توقف الإنتاج وتعطل عملية تصدير النفط جاءا في وقت كانت فيه المؤسسة الليبية للنفط تأمل في رفع الإنتاج وتحسين الأوضاع.

وتابع "الأحلام لا تتحقق بوجود المارق والعصابات المتحالفة معه"، مذكرا بأن خسائر توقف إنتاج النفط في السابق لثلاث سنوات بلغت أكثر من 100 مليار دولار.

وشدّد على ضرورة أن "يبقى النفط بعيدا عن الصراعات"، واصفا محاولة من وصفهم بـ"المجرمين" لاستغلال نفط ليبيا "كالعوبة قذرة". وكانت المؤسسة قد أعلنت حالة "القوة القاهرة ووقف عمليات شحن النفط الخام من كل من ميناءي راس لانوف والسدرة" ابتداء من الخميس.

أطباء موريتانيا يعلقون إضرابهم بعد شهر ونصف

❑ **نواكشوط** – قرر الأطباء الموريتانيون المضربون منذ شهر ونصف شهر السبت تعليق تحركهم لأسبوعين لمنح فرصة للمفاوضات، بحسب ما أعلن أحد مسؤوليهم النقابيين.

وقال محمد ولد داهية "علقنا الإضراب لفترة 15 يوما وسيستأنف العمل الاثنين وتم توجيه الأطباء بمضاعفة الجهد لتخفيف آلام الآلاف من المرضى الذين ينتظرونهم".

وأضاف أن "وسطاء موثوقين" أتاحوا الحصول على التزام السلطات بفتح "مفاوضات رسمية بشأن مطالبنا وبلا شك ستتضح الأمور خلال أسبوعين".

وكان الأطباء قد بدأوا إضرابهم المفتوح في 7 مايو للمطالبة بزيادات في الرواتب وتحسين ظروف العمل في المستشفيات.

وبحسب مسؤولين نقابيين، فإن قطاع الصحة يعاني من تقادم التجهيزات وانتشار واسع لأدوية مقلدة. ويطالب الأطباء برواتب مماثلة لنظرائهم في دول الغرب الأفريقي المجاورة الذين يتقاضون ثلاثة أضعاف رواتبهم، بحسب المسؤولين النقابيين.

وكانت نقابتا الأطباء العامين والأخصائيين في موريتانيا قد أعلنتا، بداية الشهر الحالي، البدء في إجراءات استقالة جماعية لرؤساء الأقسام بالمستشفى الوطني (حكومي) الذي يعد أكبر مستشفيات البلاد في غضون 15 يوما إذا لم يتم التراجع عن إقالة رئيس نقابة الأطباء الأخصائيين.

وقالت النقابتان في بيان مشترك، آنذاك، إن "المستشفى الوطني في نواكشوط" قام قبل أيام بتنحية رئيس نقابة الأطباء الأخصائيين محمد ولد الداهية من رئاسة قسم الأمراض الباطنية في المستشفى بشكل "تعسفي" على خلفية إضراب الأطباء.

وفي 16 أبريل الماضي دخل أطباء موريتانيا في إضراب عن العمل للمطالبة بتحسين ظروف عملهم. واستمر إضراب الأطباء في أسبوعه الأول يومين فيما استمر الأسبوع الثاني ثلاثة أيام والأسبوع الثالث خمسة أيام. ثم تحول الاحتجاج إلى إضراب مفتوح.

قلق متزايد في فرنسا من خطر تنامي التيار السلفي

التشدد الديني يعزز الانعزال الاجتماعي وعدم الثقة في ثقافة الجمهورية

تتخوف السلطات الفرنسية من تنامي التيار السلفي في منطقة تراب القريبة من العاصمة باريس، التي شهدت منذ خمس سنوات أحداث شغب ذات خلفية دينية كما أن العشرات من سكان المدينة سافروا للقتال مع التنظيمات المتطرفة في سوريا والعراق. وأكد رئيس بلدية تراب أن سكان المنطقة يتمسكون بالانتماء الديني في حياتهم الاجتماعية.

❑ **باريس** – تثير مظاهر الانعزال الاجتماعي والتباهي بالاختلاف وعدم الثقة في الجمهورية في منطقة تراب القريبة من باريس وفي أماكن أخرى، قلق السلطات الفرنسية من تنامي التيار السلفي الذي يعتبر بوابة العبور لاعتناق الأيديولوجيا الجهادية.

ورغم أن لاعب كرة القدم نيكولا أنيلكا والكوميدي المعروف جمال دبوز من أبناء منطقة تراب الفقيرة الواقعة على بعد 30 كيلومترا غربي باريس، فإن المنطقة تبقى سيئة الصيت. وكانت آفتها في السابق المخدرات والانحراف أما اليوم فبات الإسلام المتشدد هو الذي يثير قلق الشرطة وأجهزة المخابرات.

ومع أن المدينة شهدت أول أعمال شغب ذات خلفية دينية في 2013، فهي لا تشكل جيبا معزولا أو "غيتو" بل إن ضغط الإسلام المتطرف على الحياة اليومية يمارس بشكل تدريجي ومتصاعد في مجالات الدراسة واستهلاك الكحول والمنشآت الرياضية.

وبحسب مصدر في أجهزة مكافحة الإرهاب، فإن خمسين شخصا مروا عبر شبكة تراب للتوجه للقتال مع متطرفين في العراق وسوريا. وأكد رئيس بلدية المدينة الاشتراكي غي مالاندين في مقابلة مع فرانس برس، توجه 40 إلى 50 من سكان المدينة إلى سوريا والعراق وبينهم شاب كان يعمل في البلدية ويتولى رعاية الأطفال.

وجعلت هذه الأعداد من الجهاديين من تراب مشكلة من نوع جديد في بلد شهد سلسلة اعتداءات جهادية دامية. فالمدينة التي شكلت معقلا سابقا للشيوعيين، توسعت بشكل كبير في ستينات القرن الماضي مع استقبال عمالة مغاربية استقرت بها للعمل في صناعة السيارات.

ومثل ضواحي باريسية أخرى، تعاني تراب اليوم من ارتفاع كبير في نسبة البطالة (20 بالمئة) ومن انكفاء ديني دفع أقلية إلى اعتناق التطرف الإسلامي.

> عدد أتباع السلفية، التيار الذي يصعب أن يتلاءم مع نمط الحياة الغربية من خمسة آلاف في 2004 ارتفع إلى ما بين 30 و50 ألفا حاليا في فرنسا

وأنشأ إبراهيم إيريس أول مكتبة للكتب الدينية الإسلامية في المقاطعة قبالة مقر البلدية. وهذا الفرنسي، الذي اعتنق الإسلام ويربي لحية طويلة غزاها الشيب ويرتدي قميصا تقليديا طويلا، شهد تنامي السلفية وهي كما يقول "طريقة لطيفة لتسمية الوهابية السعودية التي يصفها بأنها "أيديولوجيا قاتلة".

وأشار هذا المدرب الرياضي السابق (51 عاما) إلى أنه "حين رأت الأمهات أطفالهن يعودون إلى ممارسة العبادات، شكل ذلك عامل ارتياح لديهن. المسلمون لم ينتبهوا لما يحدث. ما كانوا على درجة كافية من اليقظة".

ويشار بإصبع الاتهام إلى السلفية بعد كل اعتداء في فرنسا. وشدّد رئيس الوزراء الفرنسي الأسبق مانويل فالس على أن "ليس كل السلفيين إرهابيين لكن كل الإرهابيين سلفيون". وتبقى هذه الحركة محصورة في فرنسا لكنها "تلقى شعبية خصوصا لدى شبان الحي وستستمر في التنامي إذا لم يتوفر بديل عنها"، بحسب الخبير في الشؤون الإسلامية رشيد بنزين المولود في منطقة تراب.

وبحسب مذكرة لأجهزة المخابرات، فقد ارتفع عدد أتباع السلفية "التيار الذي يصعب أن يتلاءم مع نمط الحياة الغربية" من خمسة آلاف في 2004 إلى ما بين 30 و50 ألفا اليوم من إجمالي نحو ستة ملايين مسلم في فرنسا.

ويقول إيريس إنه في تراب "هناك أقلية من المسلمين تعتنق هذه الأيديولوجيا"، مفاخرا بأنه أقنع خمسة شبان بالعدول عن فكرة الجهاد. ويؤكد رئيس بلدية تراب غي ملاندين "طبعا هناك بعض الناشطين السلفيين. لا يقتصر الأمر على الأتقياء. لكن لا توجد جمعية يهيمن عليها أو يقودها" سلفيون.

لكنّ شرطيا يؤكد في المقابل أنه وبالتدريج يصبح الإسلام المتطرف "هو السائد" في تراب، مشيرا إلى أنه لا يزال يحتفظ "بذكرى صادمة" عن تطويق مفوضية الشرطة من 200 سلفي "تقدح أعينهم شرر الكراهية".

وكان ذلك في 2013 حين اشتعلت المدينة لعدة ليال بعد أن طلبت الشرطة من امرأة منقبة إبراز هويتها. وكانت تلك أول أعمال شغب على خلفية دينية تشهدها مدينة فرنسية.

وقال عثمان نصرو زعيم كتلة اليمين في البلدية "هناك أقلية تعتنق الأفكار الأصولية. لكن هذه الأقلية لا يمكن الاستهانة بها والمشكلة أنها تتنامى. هناك شرخ آخذ في الاتساع. في السابق لم نكن ندرك الظاهرة واليوم يبدو الجميع مصدوما". ومع ذلك فإن تراب لا يمكن اعتبارها جيبا منعزلا. ففي حي ميريسييه حيث تقيم غالبية المسلمين، أتاح برنامج للتجديد العمراني أنفق عليه أكثر من 300 مليون يورو استبدال أبراج بعمارات سكنية لائقة مع ميادين خضراء.

التشدد مريب

وفي حانة ساحة السوق قال مديرها علال إنه لا يعرف السلفيين. لكنه أكد أن "رقم أعماله تضاعف أربع مرات" منذ أن توقفت الحانة عن بيع الكحول في 2015. وفي المدينة التي يوجد بها خمسة مساجد، لا تبيع متاجرها سوى اللحم الحلال. وفي السوق غالبية النساء محجبات. وبحسب تقرير سرّي من مصدر قضائي في 2016، فإن نحو 80 أسرة فضلت تعليم أطفالها في المنزل على مدارس الجمهورية. ولاحظ رئيس البلدية أن "هناك إرادة في تحديد طابع الحياة الاجتماعية من خلال الانتماء الديني".

وقبل بضع سنوات قدمت مجموعة من 200 امرأة لتطلب منه، بلا جدوى، تخصيص أوقات لهن في المسبح البلدي. ومؤخرا اضطر رئيس البلدية إلى التدخل لوقف استخدام مكبرات الصوت عند الآذان في مسجد يديره اتحاد مسلمي تراب.

إسبانيا وفرنسا تستقبلان مهاجرين بعد رفض إيطاليا

❑ **فالنسيا دي الكنتارا (إسبانيا)** – أعلنت إسبانيا السبت موافقتها على عرض فرنسا استقبال قسم من 630 مهاجرا أنقذتهم السفينة اكواريوس ويتوقع وصولهم صباح الأحد إلى ميناء فالنسيا الإسباني بعدما أمضوا أسبوعا في عرض البحر المتوسط.

وقالت نائبة رئيس الوزراء الإسباني كارمن كالفو، في بيان، إن فرنسا وافقت على استقبال المهاجرين "الذين يبدون رغبتهم في الانتقال إلى هذا البلد وذلك بعد وصولهم إلى ميناء فالنسيا وتطبيق كل البروتوكولات التي تلحظها آلية الاستقبال".

وأورد البيان أن رئيس الوزراء الإسباني الجديد الاشتراكي بيدرو سانشيز "شكر للرئيس (ايمانويل) ماكرون تعاونه في هذه القضية" و"يعتبر أن على أوروبا أن تتعامل (مع قضية الهجرة) في هذا الإطار من التعاون".

في هذا الوقت، كرر وزير الداخلية الإيطالي ماتيو سالفيني، الرجل القوي الجديد في السياسة الإيطالية السبت منع المنظمات غير الحكومية من الرسو في الموانئ الإيطالية. ويهدد هذا الأمر بتصعيد التوتر الذي يعصف أصلا بأوروبا حول أزمة المهاجرين.

والمهاجرون هم 450 رجلا وثمانون امرأة و93 فتى وسبعة أطفال يتحدر معظمهم من القارة الأفريقية. وهم حاليا على متن إكواريوس التي ترافقها سفينتان عسكريتان إيطاليتان في المياه الإسبانية.

وتوقعت الحكومة الإقليمية أن يصلوا تباعا في الساعة الرابعة والسابعة والعاشرة بتوقيت غرينتش. وأنجزت التحضيرات لاستقبالهم على أن يشارك في هذا الأمر 2320 شخصا بينهم ألف متطوع من الصليب الأحمر. وسيتولى تغطية الحدث أكثر من 600 صحافي.

وعلى حدّ قول وزير خارجيتها جوزيب بوريلو، كانت إسبانيا وافقت على استقبال هؤلاء المهاجرين في "خطوة سياسية" هدفها "إجبار أوروبا" على تبني "سياسة مشتركة حيال مشكلة مشتركة".

وكان رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز الذي تولى الحكم في أول يونيو بعد حجب الثقة عن سلفه المحافظ ماريانو راخوي، عرض في 11 يونيو استقبال المهاجرين بعدما رفضت إيطاليا ومالطا أن ترسو السفينة التي تقلهم في موانئهما.

وأثار هذا الأمر أزمة دبلوماسية بين فرنسا وإيطاليا في ضوء تنديد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بـ"انعدام المسؤولية لدى الحكومة الإيطالية"، ما دفع الأخيرة إلى المطالبة باعتذار فرنسي معتبرة أن باريس لم تف بالتزاماتها على صعيد استقبال المهاجرين.

وبدا أن التوتر تراجع الجمعة بين البلدين إذ اجتمع في باريس الرئيس ماكرون ورئيس الوزراء الإيطالي جوزيبي كونتي على غداء عمل. لكن سالفيني صب السبت مجددا الزيت على النار.

إيران تجدد الطائفية السياسية في العراق

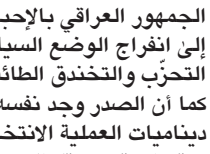

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

❑ أثار التحالف بين سائرون والفتح الذي أعلنه الصدر وهادي العامري الكثير من الجدل والاستغراب لأسباب أهمها أن الصدر بدا في اتفاقه هذا متراجعا عن مواقفه السابقة في ضرورة العمل على عبور التخندق الطائفي والأدلة على ذلك كثيرة من بينها نقده الشديد لخطوة العبادي قبيل الانتخابات في تحالف الأربع والعشرين ساعة مع كتلة الفتح برئاسة العامري منتقدا إياها بتعزيز الطائفية وسيادة الميليشيات في العمل السياسي لما بعد تنظيم داعش، كما أن مواقفه كانت واضحة لحين هذا الإعلان الأخير من قائد عصائب أهل الحق قيس الخزعلي الذي انشق عن تياره وتزعم خطا مذهبيا متشددا وصف بالموالاة لطهران التي ابتعد عنها الصدر في مواقفه المعلنة، إضافة إلى نقده اللاذع لرئيس دولة القانون نوري المالكي.

الدليل الآخر هو أن قائمته ضمت الحزب الشيوعي الذي تتقاطع أفكاره مع التوجهات الدينية ويسعى إلى بناء دولة المواطنة، رغم أن الوقائع أشارت خلال الدورتين الانتخابيتين الأولى والثانية إلى انضمام أمين عام الحزب الشيوعي حميد مجيد للبرلمان تحت رعاية قائمة شيعية، بمعنى أن هذا الحزب ودّع ماركسيته وأخذ يتعامل ببراغماتية يسعى من خلالها إلى أن يكون له صوت في برلمان العملية السياسية الحالية.

أصابت الخطوة الصدرية الأخيرة الجمهور العراقي بالإحباط بعد تطلعه إلى انفراج الوضع السياسي بالتخلي عن التحزّب والتخندق الطائفي في قيادة الحكم. كما أن الصدر وجد نفسه محاصرا في ديناميات العملية الانتخابية وما رافقها من تعقيدات قد تعرقل الحسبة العددية للفوز وتشكيل الكتلة الأكبر التي تتطلب وفق متابعين أن تلتئم قائمتان شيعيتان أو أكثر إلى جانب قائمة إياد علاوي والكتلة الكردية؛ إضافة إلى الفوضى السياسية والأمنية التي خلقها الخاسرون وعددهم ثلثا أعضاء البرلمان الحالي النافذ في حريق مخازن الانتخابات والطامحون باستعادة السلطة.

في ظل عجز حيدر العبادي عن إدارة ذكية وشجاعة تتوافق مع بياناته الصريحة بعدم الدخول في كتلة طائفية تعيد المحاصصة للتجديد وهو الذي عانى خلال الأربع سنوات الماضية من ضعف في قدرته على الحسم التنفيذي بسبب قوة الأحزاب النافذة. وكانت قائمة الصدر هي الأقرب إلى تلك الرغبات من القوائم الشيعية الأخرى، لكن العبادي وقع في فخ عدم استعداده للتخلي عن حزب الدعوة كشرط للولاية الثانية.

إعلان تحالف سائرون–الفتح يخلط أوراق التحالفات رغم عدم ضمان استمراره قياسا على التحالفات الأولية التي جرت قبيل الانتخابات وبعدها. ولا يعتقد أنه قادر على الصمود أمام مزاجات قادة الكتل الشيعية التي خضعت لجبروت وقوة قبضة قاسم سليماني الساعي إلى لملمة شتات الأحزاب الشيعية وتشكيل التحالف الشيعي مجددا والمطعّم بألوان من الأطياف السنية والكردية وهي جاهزة لاستكمال العدد، فهناك من بين الكتل السنية الفائزة من قدم إشارات للانضمام بعد الحصول على فتات السلطة، وكذلك من بين الكتل الكردية الصغيرة، كوران خصم الحزبين الكرديين الكبيرين، وجماعات إسلامية كردية أخرى.

أخاف سليماني وهدد الكتل الشيعية بأن الاحتراب الشيعي الشيعي سيعني انتصار المشروع الوطني العراقي المستقل وما عليها سوى الالتئام مجددا تحت راية واحدة بحماية طهران. وهذا سيقود إلى انحسار مقولات "الغالبية السياسية والغالبية الوطنية" التي رفضها الأكراد لأنها وفق تقديراتهم تجعل منهم أقلية غير فاعلة داخل البرلمان والحكومة مثلما عليه الكتل السنية والعودة إلى مربع "التوافقات" الذي تخلت عنه الكتل الشيعية دعائيا خلال الحملة الانتخابية أي أن يتم تقاسم السلطة بين المكونات وهذا يعني هيمنة سلطة الأحزاب الشيعية التي أصبح عمرها ثلاثة عشر عاما من الفشل والأزمات ونهب الثروات، وسيفتح بازار توزيع الغنائم في الوزارات مجددا، وميلاد حكومة ضعيفة لا تتمكن من تلبية استحقاقات المرحلة الجديدة في جوانبها الاقتصادية والأمنية.

> إذا ما أنجز سيناريو إعادة الحياة بالتحالف الوطني وتم تشكيل الحكومة الجديدة على السياقات السابقة، فهذا يعني أن على العراقيين الانتظار لأربع سنوات أخرى من الظلم و الفساد

لا يعرف لحد الآن ما هي الشروط التي وضعها مقتدى الصدر مقابل خطوته الإذعانية، وقد توقعت في مقالتي بتاريخ 29–5–2018 سيناريو إمكانية سليماني ترويض الفارس الجامح بهدوء ليقول للصدر "نعم نحن معك في التغيير والإصلاح وحتى حكومة التكنوقراط، أو إبعاد المالكي أو العامري عن رئاسة الوزارة ومجيء رئيس وزراء تسوية لكن الخط الأحمر هو تحجيم دورنا والتماهي مع الحملة الأميركية الحالية لإزاحتنا من العراق".

قد يكون هذا السيناريو هو الأقرب في ظل ما حصل مؤخرا، وقد يقبل هادي العامري وقيس الخزعلي بتوجيه من سليماني نفسه بحل الميليشيات وحصر السلاح بيد الدولة التي سيكون لها النصيب الأكبر فيها. وظهرت تصريحات بهذا السياق من عصائب أهل الحق لكن هذه التفصيلات لن تحل المشكلة الأكبر وهي أن الوضع العراقي سيظل داخل صندوق العزلة عن محيط العراق العربي، فهناك تيار شيعي واسع مدعوم من إيران لا يريد لسياسة الانفتاح العراقي على العرب أن تتحقق رغم أنها لصالح أبنائه على الصعيدين التنموي والاقتصادي.

كما لن يتمكن العراق من النأي بنفسه عما يتوقع حدوثه من توترات إيرانية أميركية ستتصاعد على الساحة العراقية. ولا يتوقع أن تقبل الولايات المتحدة صعود قوى راديكالية للبرلمان والحكومة في بغداد. وتدير إدارة دونالد ترامب حاليا سياسة فرض عقوبات صارمة لخيوط التواصل الممتدة ما بين لبنان حزب الله وبعض فصائل الميليشيات في العراق.

وقرر مجلس النواب الأميركي مؤخرا فرض عقوبات على حزب الله النجباء. ويتوقع فيليب سميث، الخبير في معهد واشنطن، ألا يكون الحال بعيدا عن عصائب أهل الحق رغم حساسية مثل هذه التوجهات لعلاقة واشنطن ببغداد. والملاحظ أن كتلة الفتح التي تضم بدر وعصائب أهل الحق أخذت تتعاطى بخطاب إعلامي سلس وتطميني في مساواة الثقلين الأميركي والإيراني على الشأن العراقي مع التشديد على فشل المشروع "العربي".

لم يتوقع أحد أن تنزع إيران سلاح نفوذها في العراق طالما هناك قوى سياسية شيعية كبيرة فازت في الانتخابات الأخيرة التي ملأ الفضاء العراقي ضجيج بأنها مزورة، وإذا ما أنجز سيناريو إعادة الحياة بالتحالف "الوطني" وتم تشكيل الحكومة الجديدة على السياقات السابقة، فهذا يعني أن على العراقيين الانتظار لأربع سنوات أخرى من الظلم والحرمان من الخدمات واستعادة الفاسدين لمواقعهم.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al–Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

سفير الإمارات في اليمن: خطط إعادة تأهيل الحديدة جاهزة

- الحوثيون سبب الأزمة الإنسانية في اليمن
- استعادة الحديدة تعزز فرص الوصول إلى حل سياسي
- التحالف العربي قدم كل التطمينات للمجتمع الدولي

صالح البيضاني

❑ **عدن** – تلعب دولة الإمارات العربية المتحدة دورا محوريا في التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن من خلال مشاركتها الفاعلة على المستويين العسكري والسياسي، إضافة إلى الدور الذي تقوم به في المجال الإنساني والإغاثي والتنموي في المحافظات المحررة.

ويبدي سفير الإمارات في اليمن سالم الغفلي تفاؤلا كبيرا حيال قدرة قوات المقاومة المشتركة المدعومة من القوات الإماراتية على تطهير مدينة الحديدة من الميليشيات الحوثية، مشددا في لقاء مع "العرب" على ثقته في الجيش الوطني اليمني والمقاومة المدعومة من التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية وبإسناد من القوات المسلحة الإماراتية، لتنفيذ عملية تحرير الحديدة وإنهاء الانقلاب واستعادة كافة المناطق التي مازالت في قبضة الانقلاب الحوثي الذي سيجبر على العودة إلى طاولة المفاوضات.

غبار المعركة سينقشع قريبا

سالم الغفلي

> هناك تفاهمات بين كافة الأطراف ممثلة في التحالف العربي والشرعية على المستوى البعيد تحول دون إتاحة الفرصة لأي طرف سياسي للعبث أو القيام بأدوار مشبوهة لحل الأزمة اليمنية

وفي رده على سؤال حول طبيعة الضغوط الدولية التي تجددت مؤخرا والرامية إلى إيقاف معركة الحديدة وهل تحمل في طياتها ما يمكن أن يطلق عليه "ابتزاز سياسي" دولي تمارسه بعض الدول عبر الملف اليمني، وفقا لتعبير وزير الخارجية اليمني خالد اليماني، أشار الغفلي إلى أن هناك تخوفا في ما يتعلق باحتمالات وجود خسائر بشرية وإمكانية إعاقة وصول المساعدات الإنسانة.

وأضاف أن التحالف العربي بقيادة السعودية حريص على أرواح اليمنيين وسلامتهم، مشيرا إلى أن تدخّل التحالف جاء في الأساس لإنقاذ اليمنيين من تسلط وهيمنة الحوثيين وممارساتهم غير الإنسانية والمنافية للقيم والأعراف الدولية.

ولفت سفير الإمارات في اليمن إلى أن التحالف العربي لديه توجس ومخاوف من استهداف الميليشيات الحوثية للمدنيين واتخاذهم دروعا بشرية، انطلاقا من ثقافة تلك الميليشيات التي لا تضع في اعتباراتها أي قيمة للإنسان.

وفي تعليقه على قدرة التحالف العربي على طمأنة المجتمع الدولي لتداعيات وآثار مرحلة ما بعد تحرير الحديدة، قال سالم الغفلي إن التحالف قدم كل التطمينات للمجتمع الدولي لمرحلة ما قبل وأثناء وبعد التحرير.

وأشار إلى أن هناك خططا جاهزة لما بعد تحرير الحديدة، تم فيها الأخذ بعين الاعتبار البعد الإنساني والبيئي، كما تم وضع خطط لإعادة تأهيل البنية التحتية في المدينة مثل الميناء والمطار ومراكز الخدمات لتكون جاهزة ومؤهلة بشكل جيد ولائق لخدمة المواطن اليمني الذي عانى كثيرا من جور وظلم الميليشيات الحوثية، إلى جانب تحسين منظومة الخدمات لأهالي الحديدة وما جاورها.

وبرز اسم دولة الإمارات بشكل ملموس من خلال مشاركتها المباشرة في عمليات الساحل الغربي، التي حققت نجاحا سريعا وخاطفا وصولا إلى تحرير مطار الحديدة الدولي والاقتراب من تحرير ميناء المدينة الاستراتيجي. وأكد الغفلي أن ميناء الحديدة ومطارها ستتم تهيئتهما لإيصال المساعدات.

وعن خطة الاستجابة الإنسانية التي تم إعدادها لمرحلة ما بعد استعادة مدينة الحديدة والتي يمكن أن تقوم بها الإمارات، جدد الغفلي التأكيد على أن "هناك خططا جاهزة أعدتها السعودية والإمارات لتنفيذها في هذه المرحلة ومن المتوقع أن تغطي احتياجات الإنسان اليمني، وستستخدم كافة الإمكانيات والوسائل لإيصال المساعدات الإنسانية المتكاملة من مأوى ومأكل ودواء، إضافة إلى أن خطط التحالف وضعت في حسبانها أنها ستصادف عراقيل في هذا الشأن وقد وضعت البدائل المناسبة لتجاوزها".

وحول التغطية الإعلامية التي تحاول أن تخدم المشروع الحوثي وتضع العوائق أمام تحرير الحديدة من خلال تأليب المجتمع الدولي والمنظمات، وما تلعبه قطر في هذا الجانب والذي يصب في اتجاه خدمة المشروع الإيراني وأذرعه في المنطقة، واليمن على وجه الخصوص، أجاب السفير بأن ذلك "ليس بغريب على إعلام كرس جهده لخدمة مثل هذه المشاريع التي تضر بالأمة العربية".

ويتفق سفير دولة الإمارات في اليمن مع الفرضية السياسية التي ترى أن استعادة الحديدة ستسهم في إجبار الميليشيات الحوثية على العودة للمسار السياسي وتقديم تنازلات حقيقية، بعيدا عن أسلوب المراوغة الذي اعتادت عليه، حيث يقول إن "الهدف من الحروب هو الوصول إلى السلام والجلوس إلى طاولة المفاوضات، وقد مرت عملية السلام في اليمن بمرحلة جمود نتيجة مراوغة وتهرّب الجانب الحوثي من الالتزام بمبادرات الأمم المتحدة، وبالتالي فإن استعادة الحديدة من شأنها تحريك وتعزيز فرص الوصول إلى حل سياسي للملف اليمني".

ويشير الغفلي إلى أن هناك تفاهمات بين كافة الأطراف ممثلة في التحالف العربي والشرعية على المستوى البعيد تحول دون إتاحة الفرصة لأي طرف سياسي للعبث أو القيام بأدوار مشبوهة، مضيفا أن "مستوى التوافق بين التحالف العربي والشرعية في أعلى مستوياته ولقاء الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة بالرئيس عبدربه منصور هادي الاثنين 12 يونيو خير تعبير عن هذا التفاهم، وخير رد على من يشكك في هذه العلاقة وفي الجهود جميعها المكرسة للقضاء على الانقلاب الحوثي المدعوم من إيران".

من الذي يقاتل في اليمن

❑ كل طرف من أطراف الصراع في الحرب الدائرة في اليمن لديه أجندته الخاصة مما يزيد من صعوبة التسوية:

■ الحوثيون

منذ سيطرتهم على العاصمة صنعاء في عام 2014 اعتمد الحوثيون المدعومون من إيران، على أجزاء من الإدارة الحكومية الحالية ليتمكنوا من الحكم. واستراتيجيتهم طويلة المدى ليست واضحة.

■ الموالون للرئيس الراحل صالح

عندما تخلى عنه حلفاء سابقون أثناء احتجاجات الربيع العربي وأجبروه على التخلي عن السلطة، أفسد علي عبدالله صالح عملية الانتقال السياسي وانضم إلى الحوثيين خصومه القدامى وساعدهم على بسط سيطرتهم على صنعاء.

ورغم الخلافات بينهما، فقد حكما معا معظم أنحاء اليمن حتى العام الماضي. ثم رأى علي عبدالله صالح فرصة سانحة لاستعادة سيطرة عائلته على السلطة بالانقلاب على الحوثيين، لكنهم قتلوه. ويحارب الآن حلفاء علي عبدالله صالح تحت قيادة أحمد نجل علي عبدالله صالح، الحوثيين.

■ حكومة الرئيس عبدربه منصور هادي

كان عبدربه منصور هادي قائدا عسكريا في جنوب اليمن قبل الوحدة، وتحالف مع علي عبدالله صالح في أثناء الحرب الأهلية القصيرة التي دارت عام 1994. وبعد هزيمة الانفصاليين عيّنه صالح نائبا له.

وعندما اضطر عبدالله صالح للتخلي عن السلطة تم انتخاب هادي لفترة رئاسية مدتها عامان في سنة 2012 للإشراف على الانتقال إلى الديمقراطية بدستور جديد وانتخابات جديدة كان مقررا إجراؤها عام 2014.

لكن علي عبدالله صالح دأب على إضعاف حكومة هادي التي واجهت من جديد حركة انفصالية في الجنوب وتمردا من الحوثيين وتفجيرات عديدة نفذها تنظيم القاعدة. ورفض الحوثيون الدستور الجديد وأرجئت مسألة الانتخابات.

وبعدما سيطر الحوثيون على صنعاء، فرّ عبدربه منصور هادي ثم سافر إلى السعودية. وهو نفسه يفتقر لأي سلطة فعلية ويراه كثيرون ضعيفا. لكن التدخل العسكري للتحالف العربي يستند إلى الحفاظ على شرعية حكومته المعترف بها دوليا وعلى عملية الانتقال السياسي المنوطة بها.

■ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب

أسس تنظيم القاعدة في جزيرة العرب أفرادا في التنظيم المتشدد فروا من سجون اليمن ورفاقا تركوا السعودية في العقد الماضي. وأصبح تنظيم القاعدة في جزيرة العرب واحدا من أقوى أفرع القاعدة.

وانتهز التنظيم الفوضى التي صاحبت الربيع العربي وأقام ولايات صغيرة في المناطق الشرقية النائية ونفذ العديد من الهجمات الدامية التي أثرت سلبا على حكومة هادي الانتقالية. وفي أثناء الحرب الأهلية نفذ التنظيم هجمات ضد الجانبين. ومن شأن أي فوضى طويلة الأمد في اليمن أن تفسح له المجال لتدعيم موقفه والتخطيط لهجمات في الخارج.

■ التحالف العربي

تعتبر السعودية، التي تقود التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن، الحوثيين وكيلا لإيران، وتريد منع طهران من بسط نفوذها في هذه الدولة المجاورة لها. ومن أهدافها الأخرى إنهاء القصف والضربات الصاروخية التي ينفذها الحوثيون وإعادة بدء العملية الانتقالية التي دعمتها الرياض عام 2012 ومنع أي فوضى طويلة الأمد باليمن يمكن أن تسمح لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب بشن هجمات على المملكة.

وتشارك القوات الجوية السعودية في الأساس في العمليات الدائرة باليمن، لكن الرياض وفرت أيضا مقرا لعبدربه منصور هادي وشاركت في القتال على الأرض بشمال اليمن.

والإمارات، التي دعمت الخطة الانتقالية أيضا في عام 2012، هي الطرف الرئيسي الآخر المشارك في التحالف. وهي تريد منع تنامي التشدد الإسلامي في اليمن وتعتبر موانئه ذات أهمية استراتيجية. وتركز الإمارات على الحرب في جنوب اليمن وساحل البحر الأحمر. ومشاركة البلدان الأخرى في التحالف أقل، وإن كان السودان قد نشر بعض قواته على الأرض.

ما بعد معركة الحُديدة

هاني سالم مسهور
كاتب يمني

❑ في يناير 2017، أطلق التحالف العربي عملية الرمح الذهبي التي كانت تهدف إلى استعادة الساحل الغربي بداية من باب المندب وحتى مدينة الحُديدة. وعلى امتداد المسافة التي قطعت فيها المقاومة الجنوبية والتهامية قبل أن تلتحق بهما قوات المقاومة الوطنية تحررت المخا والخوخة. ومنذ تلك المرحلة طالب التحالف العربي المجتمع الدولي، عبر مبادرة قدمت للمبعوث الأممي السابق إسماعيل ولد الشيخ أحمد، بأن تشرف الأمم المتحدة على ميناء الحُديدة لضمان وصول المساعدات الإنسانية بعد أن تعثرت كافة الجهود للتوصل إلى نقل مقرات المنظمات الدولية إلى ميناء عدن.

وفي نوفمبر 2017، كشفت مندوبة الولايات المتحدة الأميركية في الأمم المتحدة نيكي هيلي عن أدلة مادية تثبت أن بقايا الصواريخ التي استهدفت فيها المملكة العربية السعودية في الرابع من نوفمبر صنعت في إيران.

وحددت الولايات المتحدة وخبراء الأمم المتحدة أن ميليشيات الحوثي حصلت على الصواريخ الباليستية إضافة إلى أسلحة أخرى من خلال تهريبها من ميناء الحُديدة.

وطالب التحالف العربي مجددا بإعادة تقييم إجراءات التفتيش والمراقبة ووضع الميناء تحت إشراف محايد، ومع ذلك لم تتعاط الميليشيات الحوثية بإيجابية بل استمرت في سلوكها العدواني.

تستخدم الميليشيات الحوثية ميناء الحُديدة ورقة ابتزاز للمجتمع الدولي، ففي حين أن 70 بالمئة من المساعدات الإنسانية تصل إلى اليمن عبر الحُديدة إلا أنها تقوم باحتجاز السفن وتأخيرها ثم تنقل الشحنات الإغاثية إلى المناطق التي تسيطر عليها وتقوم ببيعها وبذلك تحصل على الملايين من الدولارات التي من خلالها تمول ما تطلق عليه المجهود الحربي إضافة إلى أنها تحصل على ما يقدر بثلاثين مليون دولار كإيرادات من ميناء الحُديدة. وبحسب تقرير خبراء الأمم المتحدة الصادر في يناير 2018 فإن إجمالي ما استحوذت عليه الميليشيات الحوثية من ميناء الحُديدة منذ استيلائها عليه تجاوز المليار ومئتي مليون دولار.

هذه الأرقام الضخمة وفرت للحوثيين تمويلا ماليا حقق هدفهم بإطالة الحرب وابتزاز المجتمع الدولي عبر تجويع وإفقار السكان الذين يقعون تحت سيطرتهم. حوالي 15 مليون إنسان استخدمهم الحوثيون بطريقة بشعة.

عرف اليمن في 2017 انتشارا واسعا لمرض الكوليرا بسبب تكدس النفايات في المناطق الخاضعة لسيطرة الحوثيين وتفشي الوباء في كل محافظات الشمال اليمني وأجزاء من المحافظات الجنوبية المحررة. وتطلبت معالجة هذا الوباء حملة دولية أسهمت فيها السعودية والإمارات بشكل رئيسي. ووفرت الأمصال والممرات الآمنة للفرق الطبية لمعالجة الوباء الذي فتك بالمئات من اليمنيين بينما استثمرته الميليشيات الحوثية عبر عدة منظمات دولية وغير دولية في الحصول على أموال كمساعدات إنسانية أيضا تم تسخيرها

> إجمالي ما استحوذت عليه الميليشيات الحوثية من ميناء الحديدة منذ استيلائها عليه تجاوز المليار ومئتي مليون دولار بحسب تقرير لخبراء الأمم المتحدة صادر في يناير 2018

لإمداد قواتها في الجبهات العسكرية. وفي حين أن استمرار هذه المعاناة المُكلفة كانت تستثمرها الميليشيات الحوثية ورقة تفاوضية منذ أول مفاوضات تحت رعاية الأمم المتحدة في جنيف 1 ثم جنيف 2 ووصولا إلى مشاورات الكويت، فإن ذلك يهدد فرصة إيجاد الحل السياسي للأزمة اليمنية مع بوادر إطلاق المبعوث الأممي مارتن غريفيث لخطة السلام خاصة مع الشروط التعجيزية التي أطلقتها ميليشيات الحوثي مما يؤكد استمرارها في نهج إطالة الحرب.

لا يغيب البعد الإقليمي عن معركة الحُديدة، فقد كشف الانسحاب الأميركي من الاتفاق النووي في الثامن من مايو 2018، جانبا خطيرا عندما لوّحت إيران عبر مفاوضاتها مع الاتحاد الأوروبي في إطار مناقشات تعديل الاتفاق النووي أنها تحدثت عن الورقة اليمنية على اعتبار أنها ستتنازل عنها في مقابل عودة الولايات المتحدة للاتفاق النووي، مما يوحي بأنها تمتلك نفوذا سياسيا في اليمن من خلاله تحاول المقايضة السياسية، وهذه زاوية يجب أن تأخذ بعناية فائقة. فقد التزمت المنظومة الخليجية ومنذ أن تقدمت بالمبادرة الخليجية في أبريل 2011 على رعاية الملف اليمني والحرص عليه بعدم الانزلاق إلى التدويل السياسي حتى أن تحالف دعم الشرعية في اليمن انطلق من هذه الرؤية الواضحة.

اليمن جزء لا يتجزأ من الأمن القومي العربي وعلى هذا الاعتبار تعاطت السعودية ودول الخليج العربي مع الملف اليمني وتحملت كافة المسؤولية تجاه تبعات إعادة اليمن إلى محيطه العربي دون أن يتم تدويل الأزمة وإغراقها في أتون الصراعات الدولية، ولذلك كان من أولويات التحالف العربي تأمين خطوط الملاحة الدولية لما يترتب على ذلك من تبعات قد تكون سلبية في حال حدثت اختلالات في هذه الخطوط وهي واحدة من المهددات التي تستخدمها ميليشيات الحوثي عبر استهدافها للسفن في البحر الأحمر.

قطع الحبل السري الذي يُغذي الحوثيين لاستمرار حربهم المجنونة سيأتي بهم إلى طاولة المفاوضات شأنهم شأن بقية الأطراف اليمنية. ويتعين على الرئاسة اليمنية الشرعية أن تستوعب المرحلة السياسية وتبدأ باحتواء القوى الفاعلة التي أفرزتها مرحلة ما بعد عاصفة الحزم وتحديدا المجلس الانتقالي الجنوبي وحزب المؤتمر الشعبي العام كأطراف لها كامل الحق في التمثيل السياسي على طاولة مفاوضات جامعة يمكن من خلالها إيجاد صيغ لحلول مستدامة لواحدة من أعقد الأزمات الدولية.

بريطانيا واليمن... موقف يصعب فهمه

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ من الصعب فهم الموقف البريطاني من معركة الحديدة. هناك، في حال افترضنا حسن النيّة، تفسير واحد للموقف الذي اتخذته حكومة تيريزا ماي عبر وزير الخارجية بوريس جونسون من استعادة هذا الميناء الاستراتيجي.

يتمثل هذا التفسير في الرغبة في مساعدة مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة مارتن غريفيث، وهو بريطاني، في التوصل إلى تسوية سلمية في ضوء العرض الذي قدّمه إليه الحوثيون "أنصار الله" خلال زيارته الأخيرة لصنعاء. في لبّ هذا العرض الذي يعتبره كثيرون، بمن في ذلك غريفيث نفسه، تنازلات حوثية. تقضي هذه التنازلات بتولي الأمم المتحدة الإشراف على الميناء.

كان يمكن لهذا العرض أن يكون مغريا للجهات المهتمّة باليمن، مثل بريطانيا، لو هناك ما يضمن أمرين. أولهما تعطيل قدرة الحوثيين على الحصول على سلاح إيراني، خصوصا صواريخ باليستية، عبر الحديدة. أمّا الأمر الآخر فهو يتمثل في وقف العائدات المالية التي يحصل عليها "أنصار الله" من البضائع التي تمرّ عبر الحديدة. ليس سرّا أن كبار التجار الذين يستوردون بضائع بواسطة الميناء باتوا مرتبطين بطريقة أو بأخرى بالمافيات الحوثية يتقاسمون معها أرباحا تعود عليهم من كل ما يمرّ في الحديدة.

مرّة أخرى، إذا افترضنا حسن النيّة البريطانية والحرص على اليمن واليمنيين وليس الابتزاز للقوى التي تعمل من أجل هزيمة المشروع الإيراني في اليمن، لا يمكن إلاّ وضع معركة الحديدة في إطارها الصحيح. هذا الإطار هو المشروع التوسعي الإيراني في المنطقة، الذي يشمل بين ما يشمله اليمن.

> ليس السؤال ما الذي ستجنيه بريطانيا من حماية الحوثيين بمقدار ما أن السؤال ما الذي تريده من السعودية ومن دولة الإمارات اللتين تدعمان القوى الشرعية التي تحاصر حاليا الحديدة وتقترب منها بثبات؟

ليس استعادة الشرعية اليمنية للحديدة، وهذا ما سيتحقق عاجلا أم آجلا، سوى خطوة أخرى على طريق معالجة المأساة الإنسانية. إنها مأساة يعاني منها بلد انفجر على نفسه تسعى إيران إلى استخدامه في تهديد الأمن الخليجي ككل مع تركيز خاص على المملكة العربية السعودية.

ليس السؤال ما الذي ستجنيه بريطانيا من حماية الحوثيين بمقدار ما أنّ السؤال ما الذي تريده من السعودية ومن دولة الإمارات اللتين تدعمان القوى الشرعية التي تحاصر حاليا الحديدة وتقترب منها بثبات؟

إذا كان الحوثيون قادرين على تمرير مناوراتهم على مارتن غريفيث، فإنهم لا يستطيعون تمريرها لا على القوى اليمنية المناهضة لهم ولا على السعودية أو الإمارات. ما كان الحوثيون ليقدّموا عرضا لمبعوث الأمين العام للأمم المتحدة لولا شعورهم بأنّ هناك ضغطا حقيقيا على الحديدة وأن هذا الضغط سيستمر إلى أن ينسحبوا من الميناء بطريقة أو بأخرى مع كل ما يعنيه ذلك من تحول على صعيد الحرب التي تخاض في اليمن والتي تسبّب فيها أصلا الإخوان المسلمون عندما خطفوا في العام 2011 التحرك الشبابي من أجل تحقيق مآرب خاصة بهم.

ما الذي تعنيه معركة الحديدة؟ تعني قبل كلّ شيء أن الساحل اليمني صار كلّه تحت سيطرة القوات الشرعية. وكلمة "الشرعية" لا تعني فقط الرئيس الانتقالي عبدربّه منصور هادي الذي انتقل إلى عدن أخيرا، بل تعني كلّ القوى اليمنية التي تعرف من هم الحوثيون. هناك ثلاث قوى حقيقية تقاتل على جبهة الحديدة حاليا. في مقدّمها "حراس الجمهورية" بقيادة العميد طارق محمد عبدالله صالح، ابن شقيق الرئيس السابق علي عبدالله صالح الذي غدر به "أنصار الله" في الرابع من كانون الأول – ديسمبر الماضي. وهناك "لواء العمالقة" الذي صار في معظمه من الجنوبيين. وهناك قوّة بقيادة هيثم قاسم طاهر وزير الدفاع السابق، وهو ضابط جنوبي عرف بشجاعته وقدراته العسكرية.

خرج من عند الحوثيين خالي الوفاض

بعد انتهاء معركة الحديدة التي قد تستغرق وقتا بسبب رغبة المهاجمين في تفادي سقوط خسائر في صفوف المدنيين، الذين يستخدمهم الحوثيون دروعا بشرية، سيصبح "أنصار الله" أسرى الجبال اليمنية المحيطة بصنعاء. سيبقى لهم وجود في تعز. ولكن في نهاية المطاف، سيكون المشروع الإيراني الذي يمثلونه تلقى ضربة قويّة. معركة الحديدة جاءت تتويجا لسلسلة من المعارك التي انطلقت مع "عاصفة الحزم" في الشهر الثالث من العام 2015.

كانت "عاصفة الحزم" ضرورة لوضع حد للتمدّد الإيراني في اليمن. هل تدرك بريطانيا التي تدافع حاليا بطريقة مبطنة عن الحوثيين من زاوية إنسانية، أنّ الحوثيين كانوا في عدن وكانوا في ميناء المخا الذي يمكن منه التحكم بمضيق باب المندب، أي بالملاحة في قناة السويس؟ ماذا لو بقي الحوثيون، أي إيران، في المخا؟ ألا يهدّد ذلك حركة السفن التي لا تستطيع دخول البحر الأحمر إلاّ من بوابة باب المندب؟

هل من يتذكر في لندن تصريحات كبار المسؤولين الإيرانيين عن أن طهران باتت تسيطر على أربع عواصم عربية هي بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء. صدرت هذه التصريحات مباشرة بعد سيطرة "أنصار الله" على العاصمة اليمنية في الحادي والعشرين من أيلول – سبتمبر 2014. تلا ذلك توقيع "اتفاق السلم والشراكة" بحضور عبدربّه منصور وممثل الأمين العام للأمم المتحدة وقتذاك جمال بنعمر. ماذا فعل الحوثيون بالاتفاق الذي ولد ميّتا؟ كل ما فعلوه كان وضع الرئيس الانتقالي الذي كان وراء تسهيل دخولهم صنعاء في الإقامة الجبرية بعد إجباره على تقديم استقالته. بقي عبدربّه في الإقامة الجبرية إلى أن أُمكن تهريبه من صنعاء في الشهر الثاني من السنة 2015.

تبيّن في كل مرحلة من المراحل التي مرّ فيها الحوثيون، منذ ما قبل سيطرتهم على صنعاء، أن هناك لغة واحدة يفهمونها هي لغة القوّة. ليس هناك من يريد إلغاءهم من المعادلة اليمنية ومن أي تسوية سياسية، لكن هناك من يريد بالفعل إلغاء مشروعهم اليمني، أي مشروع إيران في اليمن. يقوم هذا المشروع على إقامة قاعدة إيرانية في هذا البلد الذي هو جزء لا يتجزأ من الأمن الخليجي. تستخدم هذه القاعدة في تهديد كلّ دولة من دول الخليج العربي، في مقدّمتها السعودية من جهة وتهديد الملاحة في بحر العرب والبحر الأحمر من جهة أخرى. هناك كلمة واحدة تصلح لوصف هذا المشروع الذي تشكل استعادة الحديدة ضربة قاصمة له. هذه الكلمة هي القرصنة.

في حال كانت المناورات السياسية الحوثية، التي في أساسها "القرصنة"، تمرّ على دولة مثل بريطانيا، فهي لا يمكن أن تمرّ لا على السعودية ولا على الإمارات. أن يفاوض الحوثيون من منطلق أنهم يسيطرون على الحديدة شيء وأن يفاوضوا والحديدة تحت سيطرة "الشرعية" شيء آخر. ليس في تاريخ الحركة الحوثية ما يشير إلى أنّ لدى قادة هذه الحركة غير بعض الدهاء الإيراني والرغبة في الانتقام من منطلق مذهبي ضيّق ليس إلاّ يسيء أول ما يسيء إلى العائلات الهاشمية الكبيرة في الشمال اليمني وفي الجنوب أيضا. هل هناك من لديه دليل واحد على أنهم غير ذلك؟

هل في لندن وغير لندن من لديه دليل على أنّ "أنصار الله" يمتلكون أيّ مشروع حضاري من أيّ نوع يمكن أن يخفف من المأساة اليمنية باستثناء استعادة تجربة قطاع غزة، تحت حكم "حماس" في منطقة يمنية تقع صنعاء في وسطها؟

هذا هو مقتدى

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ وأخيرا أعاد قاسم سليماني عصفورَه النافر إلى عشه الأول، وجعلَه يتخلى، مرغما، عن بالوناته الدخانية المزعجة حول (شلع قلع) وحول (استقلالية) القرار الوطني العراقي.

ويبدو أن تفجير مستودع سلاحه في مدينة الصدر كان جرة الأذن النافعة التي أفهمته أن خروجه عن النص قد زاد عن حده، وأن الأوان قد آن لأن يعود إلى قواعده سالما، وأن يلتمّ تحت العباءة الإيرانية جنبا إلى جنب مع (الميليشيات الوقحة) التي كان يجاهر باستحالة تحالفه معها، رغم ما في هذه العودة من خسائر سياسية وشعبية، وسقوط من عيون كثيرين من العراقيين.

ولا غرابة في أنّ أول المهللين والمزغردين لعودة الفرع الصدري إلى الأصل الخامنئي، نوري المالكي وقيس الخزعلي ومرجعية السيستاني وقادة آخرون بارزون في الحشد الشعبي.

ولكن هذه العودة المفاجئة تسببت في كثير من الحرج لحلفائه في ائتلاف سائرون، وفي مقدمتهم قادة الحزب الشيوعي العراقي ورئيس قائمة الوطنية إياد علاوي، وتنظيمات صغيرة أخرى جمعها مع الصدر وقوفها الدائم معه في ساحة التحرير ببغداد للتظاهر ضد الفساد والفاسدين، وللدعوة إلى مدنية الدولة، ولإسقاط حكم المحاصصة الطائفي الذي ترى أنه المسؤول الأول عن الكوارث التي شهدها الوطن وأهله، من أول العام 2003 وحتى اليوم.

إن عودة الصدر إلى البيت الشيعي (الطائفي) الموكل بتنفيذ الأجندة الإيرانية في العراق، وربما في المنطقة، كانت متوقعة وغير مستغربة لدى المتخصصين بالشأن العراقي، ولدى من عرفوا مقتدى من أول ظهوره في النجف بجريمة اغتيال عبدالمجيد الخوئي، لعدة أسباب.

أول هذه الأسباب أن إيران تعتبر العراق، خصوصا في أعقاب الخسارات التي تسبب فيها النهج الأخير للرئيس الأميركي دونالد ترامب، قلعتها الصامدة التي لا تتحمل كلفة خروجها منها، بأي ثمن وتحت أي ذريعة.

وثانيها أن نتائج الانتخابات الأخيرة أثارت مخاوفها من أن يفلت زمام العملية السياسية من يدها، ويتمكن خصومها وأعداؤها المحليون والعرب والدوليون من إبعاد وكلائها العراقيين عن قيادة العراق لأربع سنوات قادمة قد تكلفها الكثير.

وثالثها أن سيرة مقتدى نفسه وتكوينه النفسي عودا أصدقاءه وأعداءه، على حد سواء، على التقلبات والاندفاعات المتناقضة. وعليه فإن ثباته على معاندة قاسم سليماني ورفض تحالف مع ميليشيات بدر والحشد الشعبي ونوري المالكي كانا أمرا مشكوكا فيه إلى حد كبير.

يُضاف إلى ذلك كله أن مقتدى لم يجرؤ يوما على شق عصا الطاعة الإيرانية، من أول ظهوره كزعيم ميليشيا. ثم إن مقتدى لم يكن لينجو من الملاحقات القانونية والأمنية والعسكرية أيام بول بريمر، ثم أيام إياد علاوي، ثم نوري المالكي، بسبب ارتكابه أعمالا اعتُبرت إجرامية، ومنها جرائم قتل وتخريب مؤسسات حكومية، لولا العطف الإيراني والحماية الكاملة التي كان يأمر بها الولي الفقيه عند اشتداد الأزمات.

والآن، وقد تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من مخطط إيران بشأن الرئاسات العراقية الثلاث، وخاصة رئاسة الوزراء والبرلمان وأغلبية مقاعده، والوزارات السيادية والخدمية، فإن الدولة العراقية ستكون دولة الحشد الشعبي بلا منازع، وسيكون رئيسَ وزرائها وزعيمَها الأوحد هادي العامري، ويصبح نوري المالكي وقيس الخزعلي وأبومهدي المهندس نوابه ومعاونيه. أما القابلون بالعمل تحت قيادتهم ووصايتهم من شيعة إيران وسنتها وكردها فهم سوى واجهات استعراضية لاستكمال الديكور الداخلي، لا قرار لهم ولا شأن سوى مكاسب ومناصب

> عودة الصدر إلى البيت الشيعي (الطائفي) الموكل بتنفيذ الأجندة الإيرانية في العراق، وربما في المنطقة، كانت متوقعة وغير مستغربة لدى المتخصصين بالشأن العراقي، ولدى من عرفوا مقتدى من أول ظهوره في النجف

ورواتب زهيدة لا تمس العصب الحساس من الدولة الجديدة.

ويظل السؤال الأهم هو كيف ستخرج قيادة الحزب الشيوعي من هذا المأزق الخطير؟ هل ستأخذها العزة بالإثم فتتمسك بتحالفها مع جماعة مقتدى، حتى وإن أصبح لزاما عليها أن تعمل مع المتهمين الكبار بالفساد، أم تنسحب وتتعرض لمخاطر التصفية وسوء العقاب؟

ثم كيف تحالفت معه من البداية، وهي تعلم أكثر من غيرها بأنه رجل دين سطحي لم يتعلم، ولم يُعرف عنه تاريخ من العلمانية والحداثة ومقاومة المحتل الأول الأميركي ثم المحتل الثاني الإيراني، وكان صاحب ميليشيا، وواحدا من المتحاصصين الكبار في حكومة من الفاسدين؟

ولا عزاء لحلفائه الآخرين من الوطنيين الحداثيين المستقلين الذين أحسنوا الظن بالتيار الصدري، وظنوا أنه مُخلص، مثلهم، للدعوة إلى مدنية الدولة العراقية وإلى التصدي لوكلاء الاحتلال الإيراني، ومنهم فاسدون كبار وخونة كبار كانوا وما زالوا يباهون بأنهم قاتلوا الجيش العراقي في صفوف الحرس الثوري الإيراني في حرب الثمانينات، ويعلنون، دون خوف ولا حياء، أنهم إن حدثت حرب جديدة بين إيران والعراق، سوف يقاتلون في صفوف الإيرانيين من جديد. ولنتهيأ لأربع سنوات جديدة من الفساد والعمالة، وعلى المكشوف.

أربع سنوات أخرى عجاف

ترامب: الرجل الذي يملّ الحلفاء ويدهشه الخصوم

محمد قواص
صحافي وكاتب سياسي لبناني

❏ يتقدم الرئيس الأميركي دونالد ترامب خطوة جديدة على طريق هزّ أعمدة النظام العالمي الذي حكم العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. تكاد مشاركته في قمة الدول السبع الكبرى في مقاطعة كيبيك في كندا أن تكون تمرينا في مواجهة الخصوم أكثر من كونها البيت التقليدي للقوى الصناعية الكبرى الذي يفترض أن يجمع زعيما أميركيا بحلفائه التقليديين. وحين يسأم ترامب من المناسبة وضيوفها يسأل باستغراب: أين العضو الثامن؟

بات ترامب يشعر بالغربة جراء ابتعاد روسيا عن المحفل الاقتصادي السياسي الكبير المفترض أن يدير أمور العالم. أين روسيا؟ يسأل الرئيس الأميركي متبرّما من هذا الموقف الغربي الذي يمارس الحرد ضد موسكو. تبدو واشنطن في عهد هذا الرجل مدافعا بشراسة عما كان مفترضا أن يكون خصم الولايات المتحدة الأول. ويبدو فلاديمير بوتين مغتبطا بهذا السجال الصاخب داخل البيت المقابل، منتشيا بتفاني سيد البيت الأبيض في السؤال عنه وعن الأسباب التي لا يفهمها لغيابه.

من الواضح أن دونالد ترامب يبحث في كل مناسبة عن أن يُحدث صخبا يعتقد أنه سيُسجل في التاريخ. هكذا لاحظ كم أن الأضواء انجذبت نحوه معلنا لوائح البلدان الممنوع على مواطنيها زيارة الولايات المتحدة. أثار الأمر صخبا وجدلا وبعض المظاهرات، لكن رجل أميركا القوي تمتع حتى الثمالة بأنه الاسم الذي بات "مالئ الدنيا وشاغل الناس"، فأعاد الكرة متباهيا. أخرج من خزائن بلاده العتيقة قرار الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل فكان أن أحدث زلزالا. ورمى بالاتفاق النووي الذي استمات سلفه باراك أوباما في إنجازه وراح يتلذذ كل لحظة بالفوضى التي يحدثها تفكيك الأشياء.

لم يلحظ ترامب ما يثير شهيّته في كندا. حتى الصورة الشهيرة التي بدا أن المستشارة الألمانية أنجيلا ميركيل محاطة بـ"الشلة" الغاضبة تؤنبه وتوبّخه، قدّمها الرجل بصفتها تبادل حديث عادي بانتظار الانتهاء من تحرير إحدى وثائق الاجتماع.

باختصار الحدث مثير للملل بالنسبة إليه عشية ما يثير شهيته للفرجة والبهرجة في المقلب الآخر من العالم، في سنغافورة. ابتعد ترامب عن كندا وقصف أصحابها بتغريدة تسحب توقيع بلاده عن وثائق الكيبيك. هنا فقط أصبحت المناسبة حدثا.

يريد ترامب أن يدخل التاريخ حتى لو كان هذا الدخول متخيّلا ولا بنى دائمة له. يعتبر أن الخصام مع كندا ورفع جدار على الحدود مع المكسيك والانسحاب من اتفاقية باريس للمناخ والتمنّن على الحلفاء في الأطلسي وإعدام نظام الرعاية الصحي المسمى أوباما كير حصى يرميها على طريق المجد نحو التاريخ. قيل إن وفدا من كوريا الجنوبية قصد واشنطن لتقديم مقترح خجول من زعيم كوريا الشمالية كيم جونغ أون لعقد قمة تجمعه مع رئيس الولايات المتحدة. بكل بساطة فوجئت سيول كما بعض أركان الإدارة الأميركية بأن ترامب وافق فورا.

سواء أحببت الرجل أم كرهته فإن دونالد ترامب يعبث برقعة الشطرنج على هواه مربكا كافة اللاعبين. يتصرف الرجل بصفته ملك هذا العالم الذي "يكش" كل الملوك غير آبه بالعقلانية التي تخرج من التقارير وغير منضبط داخل قواعد الممكن والمقبول.

وصل العالم إلى شفا الدمار الشامل إثر اندلاع الحرب الكورية في الخمسينات أو عقب تفجّر أزمة الصواريخ في كوبا في الستينات أو في مفاصل أخرى حفل بها المنتصف الثاني للقرن العشرين، حيث بدا استخدام الأسلحة النووية حتميا. غير أن لهذا العالم بمجانينه آلية عجيبة أعادت دائما العقارب المضطربة إلى مواقيتها ووجهاتها المتعقلنة. لا يخرج دونالد ترامب عن هذه القاعدة.

انطلقت صفارات الإنذار في اليابان وصفارات أخرى على حدود كوريا الجنوبية ووضعت الأجهزة الأميركية في حالة استنفار قصوى في جزيرة غوام في المحيط الهادي. العالم حبس أنفاسه من دمار دموي قد يؤدي إلى دمار مضاد جراء هذا "المجنون" الذي يحكم كوريا الشمالية.

استخدم ترامب كل مواهبه التغريدية لإقناعنا جميعا بأن البلدين ذاهبان إلى الصدام الحتمي الكبير. غير أن تأملا لمسارات صواريخ كيم الكوري وتغريدات دونالد الأميركي يكشف أن الأمور كانت محسوبة بدقة بحيث أن لمسارات الصواريخ الكورية وقعا تهويليا كبيرا قليلا ما اهتم له خبراء البنتاغون. كان ترامب يعلم ذلك فأطلق لتغريداته العنان، نافخا الريح في أشرعة الحاكم في بيونغ يانغ.

يفكك دونالد ترامب هذا العالم. لا تهمّه حرفة إعادة التركيب. تتماسك البنى الدولية المتراصة حول الصين في شنغهاي أو حول موسكو في بحر قزوين أو تجمع دول بريكس. بالمقابل تتفكك العلاقة داخل البيت الغربي. يعمل ترامب بدأب على تعميق الخلاف التجاري بين بلاده ودول الاتحاد الأوروبي. يقترب الرجل من تركيا في وقت تتوتر فيه علاقات أنقرة مع الجوار الأوروبي. يُمنن الأوروبيين بغطاء أمني أميركي لم يعد مضمونا وبحلف أطلسي مشتت الهوية والأهداف ويدفعهم إلى تيه يتحرون دفاعا ذاتيا معقدا يقيهم أخطارا عتيقة لا تغيب.

لا يبدو أن بكين وموسكو تشعران بأي قلق تجاه ما يخرج عن مزاج دونالد ترامب في واشنطن. تخلص العاصمتان إلى أن رجل أميركا يصبو إلى الاتفاق معهما معجبا بروسيا والصين كدولتين عظميين في الجغرافيا والتاريخ. يصف رئيس وزراء الصين بأنه رجل عظيم ويصف الرئيس الروسي بأنه رجل ذكي. وحين يلتقي بهما يخرج فخورا مادحا ممازحا منتشيا على عكس الانطباع الذي يخرج به من أي اجتماع مع أي زعيم غربي. هل يجب التذكير بأنه رفض مصافحة المستشارة أنجيلا ميركيل وتحولت مصافحاته مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى مبارزة عضلية تلتقطها الكاميرات.

يهزّ ترامب الأعمدة المؤسسة للعولمة. يعيد رفع الحدود بين الدول معيدا النفخ بعصبيات قومية تحت قناع الدفاع عن المصالح التجارية للولايات المتحدة. يستند الرجل على فلسفة في علم السياسة مفادها أن العالم يكون أفضل إذا ما تأسس على مسلّمة دفاع كل بلد عن مصالحه الذاتية، أو يكاد يقول الأنانية. هي وصفة لنشوب النزاعات والحروب أيضا. هكذا عرف العالم ويلاته في التاريخ وهكذا تماما اندلعت حربين عالميتين خلال عقدين في النصف الأول من القرن الماضي. بالمقابل يحاول شركاء واشنطن بصعوبة أن يقاوموا تدابير ترامب ضدهم، متسائلين بحيرة إلى أين يتجه العالم إذا ما قوبلت تدابير الـ"أنا" بتدابير أنا مضادة؟

يوقع ترامب "انتصاره" في سنغافورة ممنيا النفس بانتصار آخر ضد إيران. من هناك يطلق رسائله صوب طهران: سوف تأتون لطاولة المفاوضات كما أتى صاحبكم في كوريا الشمالية. وقد يقول قائل إن حسابات بيونغ يانغ التي تطل عليها الصين العملاقة تختلف عن حسابات الطهران، وأن للعب في الشرق الأوسط قواعد وشروطا ورياحا قد لا تأتي بما تشتهي سفن ترامب المبحرة.

كل ذلك لا يهم. سيجد ترامب منابر أخرى للفرجة التي تسلط مجهرا عليه فيما العالم يتخبط لتهدئه سفنه من أمواج تدفع بها تجارب الرجل التفكيكية.

الجامعة المصرية تحت رحمة أصوليات أمنية وأخلاقية

سعد القرش
كاتب مصري

❏ يحدث في بلادنا أن يلجأ طبيب سلفي إلى العلاج بالحجامة، في إهانة للعلم تنطلق من مصطلح الطب النبوي. ويحدث أيضا أن تتخلى الجامعة عن دورها وتنافس الجامع في وظيفته، أو ما يظن البعض أنها وظيفته. وقد انتهى السباق السنوي على التظاهر بالتقوى والتضرع إلى الله بميكروفونات الشوارع المخالفة لأمر القرآن أن يكون الدعاء "تضرعا وخفية".

شمل هذا النفاق تصديق رئيس جامعة مصرية على قرار عزل أستاذة جامعية عقابا على رقصها في مقطع فيديو تلصّص عليه البعض، وخدش تقواهم. حيثيات هذا الحكم القاسي على أستاذة الجامعة تخلط بين وظيفتي الجامعة والجامع، وتعيدني إلى مشهدين في سيرة الدكتور محمد عبدالفتاح القصاص الرئيس الأسبق للاتحاد الدولي لصون موارد الطبيعة.

المشهد الأول في كلية العلوم بجامعة القاهرة، وكان وضع أسئلة امتحان البكالوريوس وتقييم الإجابة، عملا مشتركا بين الكلية في الجامعة المصرية والكلية المناظرة لها في جامعة لندن، "تحقيقا للتساوي العلمي بين الجامعتين"، وكان بإمكان الحاصل على البكالوريوس هنا أن يسجل لنيل الدكتوراه هناك. ولم يعد هذا "الاعتراف الدولي" قائما، بعد تراجع الجامعات المصرية وتحولها إلى بنايات تسكنها روح المدارس والجوامع، وليس سرًا خلو المدارس المصرية من شيء كان اسمه "التعليم".

سافر القصاص إلى لندن عام 1947 لدراسة الدكتوراه في جامعة كامبريدج، وفي سيرته التي حملت عنوان "خطى في القرن العشرين وما بعده" سجل المشهد الثاني، وكان طرفا فيه ويحتفظ كمصري بموروثه عن المعلم الذي كاد "أن يكون رسولا"، وطالبه أستاذه بحضور عروض طلاب السنة النهائية لمقالات موسعة كلفوا بها في تخصصهم، لكي يناقشه في انطباعاته، ثم ذهب القصاص إلى الأستاذ، وقال إن الطلاب أحسنوا، "ولكني لاحظت أنهم يتناولون العلماء الرواد بغلظة تصل إلى سوء الأدب، وكان لهؤلاء العلماء لديّ قداسة الشيوخ الأوائل". فقال له الأستاذ "هذا شيء مقصود، فنحن نربي الأولاد على التحرر وشجاعة النقد ورفض القداسة للسابق والاستعداد الدائم لهدم القديم وبناء الجديد. ودلني على أن تربية الطالب على شجاعة النقد تشحذ قدراته العلمية"، وتنمي قواه العقلية وقدراته على التجديد. ولا ينتظر أي تجديد من عقول تلتزم التقليد المعرفي والتزمّت الأخلاقي، فيكون القادم نسخة من السابق، طبعة جديدة غير مزيدة ولا منقحة.

وقضت الأجواء المتوترة بعد انتكاسة ثورة 25 يناير 2011 ونسف مكاسبها السريعة، أن تحرص الجامعة على وظيفة الجامع، وتكتفي بدور المدرسة. أنهت ابنتي "سلمى" التعليم الثانوي، وظننت أنني سأستريح من الأعباء المالية للدروس الخاصة، لأن المدارس بلا تعليم والتعليم بلا مدارس، ففوجئت بأن جامعة القاهرة لا تختلف عن المدرسة، والمحاضرات تنتقل من قاعاتها إلى مراكز أهلية تستأجر، ويربح المدرس المساعد الذي يقدّم المحاضرة دخلا لا يحلم به وزير، بعيدا عن الرقابة، والطلبة مضطرون كما كانوا مضطرين في المدرسة للدروس الخاصة.

فاتني إيضاح كيف انتكست الثورة، فعقب نجاحها في خلع حسني مبارك، حلمنا بمستقبل تحكمه الكفاءة والندية، وينهي تحكم الجهات الأمنية في إدارة الجامعة، ذلك ماض أسود أنهته مؤقتا روح "مدنية" انعشت مصطلحات منها انتخابات عمادة الكليات ورئاسة الأقسام، أملا في ديمقراطية تصحّح أخطاءها في أقرب انتخابات، ويكون انتماء الفائز لضميره ولزملاء منحوه الثقة، أما قانون التعيين في المناصب يجعل الانتماء إلى ولي النعم الذي يمنح العطايا للموظفين، من رئيس القسم إلى رئيس المجلس الأعلى للجامعات، وبعد 30 يونيو 2013 استعيدت روح نظام مبارك، فكل موقع بالتعيين، في الجامع والجامعة.

هناك من استمرأوا التعيين، ولا يعلنون عن إصابتهم بداء هذا الإدمان، ولا ينتظر منهم انتقاد لجهة أو شخص اختارهم من بين آخرين أكثر استحقاقا. في ديسمبر 2015 عيّن يوسف القعيد في البرلمان، وفي أغسطس 2017 اختير عضوا في "مجلس جامعة القاهرة للثقافة والتنوير". جميل بالطبع أن ترفع الجامعة شعارها ككيان دينه العلم، ولكن كلمة التنوير بحسن نية تكاد تكون ستارا من الدخان يخفي ما لا يصح أن يظهر، فلا ينهض بالتنوير من تسري في دمائهم طبائع الاستبداد، ولم يستنكروا أن تمارس عليهم

> لا ينتظر أي تجديد من عقول تلتزم التقليد المعرفي والتزمت الأخلاقي، فيكون القادم نسخة من السابق، طبعة جديدة غير مزيدة ولا منقحة

درجات من العبودية فأعادوا إنتاجها على الآخرين. أستعرض نصف عدد أعضاء مجلس جامعة القاهرة للثقافة والتنوير وأتحسّر على مصير ثورة 25 يناير، فالذين راهنوا على بقاء مبارك، من فلول وصحافيين، يتسترون بترديد كلمات صاخبة عن الأصولية والإرهاب الديني.

لم يناقش مجلس جامعة القاهرة للثقافة والتنوير مخاطر الاستبداد، والآثار السلبية لشبح الدكتاتورية على اختيار قضايا البحث العلمي، وحرية الطالب في البحث والانتقاد، ولن يكون ذلك "بغلظة تصل إلى سوء الأدب" كما قال الدكتور القصاص قبل سبعين عاما.

سأختار نموذجا واحدا هو القعيد الذي تفرّغ لمتابعة جولات عبدالفتاح السيسي، أغمض عيني وأضع إصبعي على مقال عشوائي يبلغ 800 كلمة من بين مقالاته في الأهرام، وأستبشر بعنوانه "الديمقراطية هي الحل"، في 21 مايو 2018، فأجده تقريرا عن مؤتمر حضره السيسي الذي ورد اسمه وصفته أكثر من 20 مرة: حضر الرئيس، قال الرئيس، أضاف الرئيس، اعترف الرئيس، خاطب الرئيس، حذّر الرئيس، تحدث الرئيس، أعلن الرئيس، طلب الرئيس، وفي النهاية "حلم الرئيس". لغو غير مؤرق، ولا يختلف فيه "الكاتب" عن محام أو مذيع من آكلي لحوم المعارضة.

ولن يستنكر هؤلاء المعيّنون المرضيّ عنهم جريمة في صورة مسخرة، مجرد استنكار ولو لمجهولين اعتدوا على سياسيين ومثقفين في حفل إفطار رمضاني في النادي السويسري (5 يونيو 2018)، ولن يتأسى مجلس التنوير برواد الليبرالية وأستاذ الجيل لطفي السيد، ويعلنوا رفضهم لقرار رئيس جامعة قناة السويس سيد الشرقاوي عزل منى برنس أستاذة اللغة الإنكليزية بالجامعة بتهمة الرقص. قبل "موقعة الرقص" مثلت منى برنس أمام لجنة تأديب برئاسة نائب رئيس الجامعة آنذاك سيد الشرقاوي الذي سألها "لماذا تتحدثين عن الشيخ محمد حسان؟". وقضت فذلكة المرحلة أن يترقى نائب رئيس الجامعة ويكرمه الله بالرئاسة عندما وضعت الأستاذة مقطع فيديو في صفحتها الفيسبوكية، فرحة بنفسها منتشية بالرقص في بيتها، ولم تحث أحدا على تقليدها. سلوك شخصي لا يؤذي الأسوياء، ولا يمس وظيفتها، ولكن الجامعة قررت عزلها لأن سلوكها "يؤثر بشكل سلبي على مكانة الوظيفة كما أنها قد خرجت عن المحتوى العلمي لنصوص المواد المقررة".

الرقص ليس في ساحة، وقد شاهده أسوياء فلم يسؤهم، كما شاهده مشوهون نفسيون تعمدوا التلصص على صفحتها الفيسبوكية، ولم يعثروا على دليل إدانة.

أستعيد واقعة عمر بن الخطاب مع مسلمين في ليلة أنس، فقد اقتحم بيتا، وضبط "متهمين" في حالة تلبس، فاحتج رب البيت على أمير المؤمنين قائلا: أتينا واحدة (الخمر)، وأتيت ثلاثا: قال الله "وأتوا البيوت من أبوابها"، وأنت تسلقت السور، وقال "لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها"، وأنت لم تسلم، وقال "ولا تجسّسوا"، وأنت تجسّست. فانصرف عمر في صمت، وأرسيت قواعد الإجراءات الجنائية. ولم يشعر رئيس جامعة قناة السويس وغيرها من الجامعات المصرية بالغيرة على الجامعات من التردي التعليمي، واستبداد أساتذة يتربحون ببيع مطبوعات رديئة، خالية من الذوق، اسمها الكتاب الجامعي، فالأسهل أن يرفعوا رايات النفاق الأخلاقي، فغاية الدين أن يحفوا شواربهم.

أتراك الخارج يدلون بأصواتهم في الانتخابات البرلمانية والرئاسية

انتخابات مبكرة لا تحمل مؤشرات استقرار لتركيا الغارقة في دوامة من الأزمات

مع انطلاق التصويت للانتخابات البرلمانية والرئاسية التركية في الخارج، تضاعف قلق الأتراك مما ستحمله هذه الانتخابات التي ستجرى في الداخل يوم 24 يونيو 2018. ويتطلع الأتراك إلى هذا اليوم وما سيفسر عنه من نتائج وسط حالة من الضياع رسّختها سياسات حزب العدالة والتنمية بزعامة الرئيس رجب طيب أردوغان، فمن جهة فقد أردوغان وحزبه شعبيتهما ولا يمكن الوثوق فيهما، ومن جهة أخرى بنت المعارضة مشاركتها في الانتخابات فقط على معاداة أردوغان دون مشاريع قوية تطمئن الناخبين حول مستقبل البلاد، وتعيدها إلى سياسة صفر مشكلات وأزمات في الداخل وفي الخارج.

❑ أنقرة – أدلى الناخبون الأتراك في الخارج السبت، بأصواتهم في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المبكرة. وتتواصل عملية التصويت خارج تركيا إلى غاية 19 يونيو الجاري، وينتظر أن يشارك فيها أكثر من 3 ملايين ناخب عبر 123 مركزا انتخابيا في 60 دولة، في حين يدلي الأتراك داخل البلاد بأصواتهم يوم 24 يونيو الجاري، في عملية ستحدد مستقبل تركيا لسنوات قادمة أكثر من أي انتخابات سابقة.

وسيتم نقل البطاقات الانتخابية إلى الداخل التركي بعد انتهاء عملية الاقتراع في الخارج، وحفظها في غرفة خاصة، إلى حين انتهاء اقتراع الداخل يوم 24 يونيو. وفي حال لم تحسم الانتخابات الرئاسية من الجولة الأولى، فإن الناخب التركي في الخارج سيحق له الإدلاء بصوته مرة أخرى اعتبارا من 30 يونيو حتى 4 يوليو المقبل.

ويتنافس في الانتخابات الرئيس الحالي رجب طيب أردوغان، ومحرم إينجه عن حزب الشعب الجمهوري، وميرال أكشينار عن الحزب الصالح، وصلاح الدين دميرطاش عن حزب الشعوب الديمقراطي، وتمل كرم الله أوغلو عن حزب السعادة، ودوغو برينجك عن حزب الوطن.

ويطمح أردوغان، وهو الرئيس الأكثر إثارة للانقسام في تاريخ تركيا الحديث، إلى تعزيز سلطاته في الانتخابات التي كان من المفترض أن تجري في 2019، إلا أن أردوغان عمل جاهدا لتقديمها، ضمن خطوة لا يبدو أنها ستأتي بما اشتهته سفن الرئيس التركي، حيث تجري الانتخابات وسط أزمة اقتصادية شديدة وتراجع في شعبية العدالة والتنمية، الذي يتصدر المشهد السياسي منذ سنة 2002.

وتظهر استطلاعات الرأي أن أردوغان مازال من أقوى مرشحي انتخابات الرئاسة لكنه يواجه تحدّيا، إذا أجريت انتخابات إعادة في يوليو واتفق معارضوه على الالتفاف حول المرشح الآخر. وإذا فاز أردوغان فسيعود إلى الرئاسة بسلطات تنفيذية كاسحة وافق عليها الناخبون بأغلبية ضئيلة في استفتاء أجري العام الماضي.

> أردوغان يتطلع إلى البقاء في السلطة إلى عام 2029، أي بعد ست سنوات من الاحتفال بمئوية الدولة التركية الحديثة التي أسسها كمال أتاتورك. ويخشى الأتراك أن تكون تلك المئوية إعلان انهيار الجمهورية العلمانية وقيام دولة تركية جديدة، أعداؤها أكثر من حلفائها وأزماتها لا تنتهي

انتخابات مثيرة للقلق

وخلال حكمه الممتد منذ 15 عاما وبدأه برئاسة الوزراء ثم الرئاسة حوّل أردوغان تركيا من دولة فقيرة إلى سوق ناشئة كبيرة. لكن نمو تركيا السريع صاحبه حكم فردي متزايد وحملة أمنية تصاعدت منذ الانقلاب الفاشل الذي تسبب في إلقاء القبض على عشرات الآلاف.

وفي السنوات الأخيرة، بدأت تظهر بشكل كبير ملامح أسلمة الدولة التركية وتقويض الدولة العلمانية التي أسسها مصطفى كمال أتاتورك عام 1923 وإضعاف أعمدتها الممثلة في الجيش والقضاء والإعلام.

وينظر الأتراك اليوم إلى نتائج الانتخابات بقلق، حيث يعني فوز أردوغان، وإن كان بنسبة ضعيفة مقارنة بالسابق، بداية تطبيق مشروع تركيا الأردوغانية التي فتح الرئيس التركي طريقها من خلال التعديلات الدستورية التي تمنح سلطات مطلقة دون أيّ تهديد من أي سلطة أخرى تشاركه القرار أو تمنعه من تنفيذ ما يريد.

ويتطلع أردوغان إلى البقاء في السلطة إلى عام 2029، أي بعد ست سنوات من الاحتفال بمئوية الدولة التركية التي أسسها كمال أتاتورك على أنقاض الدولة العثمانية.

ويخشى الأتراك أن تكون تلك المئوية ذكرى انهيار الجمهورية العلمانية، والإعلان عن دولة تركية جديدة بملامح تبدو أقرب للدولة العثمانية التي طوى صفحتها أتاتورك، دولة أعداؤها أكثر من حلفائها وأزماتها مع جيرانها لا تنتهي.

تركيا.. استطلاعات الرأي لا تسلم من ضغوط السلطة الحاكمة!

ذو الفقار دوغان
كاتب في موقع أحوال تركية

❑ لم يتبقّ سوى ثلاثة عشر يوما على الانتخابات المزمع إجراؤها في تركيا في 24 يونيو المقبل؛ في وقت تباينت فيه نتائج استطلاعات الرأي في هذا الشأن.

نُصبت سرادقات الانتخابات الخاصة بأحزاب الشعب الجمهوري والحزب الصالح وحزب الشعوب الديمقراطي في مدينة جانكايا؛ كبرى مراكز محافظة أنقرة إلى جانب بعضها البعض. وأمام هذه السرادقات تزاحم الآلاف من الأتراك بين شباب وشيوخ للمشاركة في هذه الفعاليات.

يشرف على هذه الفعاليات سيدات وفتيات ينتمين إلى هذه الأحزاب، وقد أخذت مكبرات الصوت التابعة لحزب الشعوب الديمقراطي تذيع مقتطفات من خطب لصلاح الدين دميرطاش، وأخذت تكرّر جملة "لن نجعلك رئيسا لتركيا!"، التي قالها مخاطبا أردوغان أثناء انتخابات 7 يونيو1- نوفمبر، في الوقت الذي أخذت جموع من المارة تصفق لدى سماع هذه العبارة.

أما مكبرات الصوت الخاصة بحزب الشعب الجمهوري، فأخذت تبث بقوة مقاطع من كلمات شهيرة لمحرم إينجه؛ ألقاها في مجلس النواب، كان منها "هل هذه هي "عزبة" أبيكم، لا نخاف سوى الله..!".

وفي الوقت الذي أخذت مكبرات الصوت التابعة لحزبي الشعب الجمهوري والحزب الصالح تبث أنشودة إزمير، كانت نظيرتها التابعة لحزب الشعوب الديمقراطي تبث الأغاني والأهازيج الكردية، التي تراقص على أنغامها أنصار مع أصوات الزغاريد التي ارتفعت من كل مكان.

لا أعرف إن كان هذا الجو الاحتفالي يعم تركيا بكاملها أم لا، ولكن يكفي القول إن أعضاء الأحزاب الثلاثة كانوا متضامنين. لقد جمعت بينهم فكرة التصدي لحزب العدالة والتنمية، على عكس الانطباع السائد لدى الكثير من الناس، الذين يعتقدون – بشكل خاطئ– أن هناك فجوة كبيرة، وعدم ارتياح بين أعضاء الحزب الصالح وحزب الشعوب الديمقراطي.

لفت الانتباه كذلك عدم وجود سرادق انتخابي خاص بحزب العدالة والتنمية في هذا المكان الحيوي من جانكايا، إلا بعض اللوحات الدعائية التي علقت على مدخل الشارع، بالإضافة إلى السيارة الخاصة بمرشح حزب العدالة التنمية توغرل توركش، التي كانت تجوب المكان بين الحين والآخر.

عندما لا تنسجم الصورة، التي عكستها استطلاعات الرأي، مع المنظر العام الذي نراه في هذا الجو الاحتفالي في سرادقات الانتخابات، حينها تحتدم المناقشات حول مدى مصداقية هذه الاستطلاعات، خاصة إن كانت النسب متفاوتة بين استطلاع وآخر.

ويمكننا تبيُّن الأمر، بشكل أكبر، عند النظر إلى نتائج آخر ثلاثة استطلاعات أجريت خلال اليومين الماضيين على النحو التالي:

جاء في نتيجة الاستطلاع، الذي أجرته وكالة ماك للأبحاث، التي يملكها محمد على كولات، وهو من المقربين إلى أردوغان، أن أردوغان سيفوز في الانتخابات من الجولة الأولى بنسبة أصوات لن تقل عن 51.5 بالمئة. أما بالنسبة إلى انتخابات مجلس النواب فكانت النسب التي سيحصل عليها كل حزب على النحو التالي:

حزب الشعوب الديمقراطي عند مستوى 9.2 بالمئة وحزب العدالة والتنمية 43.5 بالمئة وحزب الشعب الجمهوري 42.2 بالمئة والحزب الصالح 10.3 بالمئة وحزب الحركة القومية 9.2 بالمئة وحزب السعادة 2.1 بالمئة وحزب الهدى 0.5 بالمئة. أما باقي الأحزاب فستحصل، حسب استطلاع ماك، على نسبة 3 بالمئة. وفي حالة بلوغ حزب الشعوب الديمقراطي النسبة المطلوبة من الأصوات، فلن يتمكن أي من التحالفين أن يحقق الأغلبية داخل البرلمان.

أكدت نتائج الاستطلاع، الذي أجراه مركز ماك، على فوز أردوغان من الجولة الأولى، وعُرضت النسب التي سيحصل عليها باقي المرشحين على النحو التالي: محرم إينجه 24.4 بالمئة وميرال أكشينار 12.5 بالمئة وصلاح الدين دميرطاش 8.8 بالمئة وتمل كرم الله أوغلو 2.2 بالمئة. أما دوغو برينجك فسيحصل على نسبة 0.6 بالمئة من أصوات الناخبين، في حين كانت نسبة الممتنعين عن التصويت لأي من المرشحين 6 بالمئة.

أما في الاستطلاع، الذي أجرته مؤسسة بي.أر في نفس اليوم، فجاءت النسب التي ستحصل عليها الأحزاب على النحو التالي: حزب العدالة والتنمية 34.8 بالمئة وحزب الحركة القومية 7.3 بالمئة وحزب الشعب الجمهوري 23.4 بالمئة والحزب الصالح 17.2 بالمئة وحزب الهدى 14.1 بالمئة، وحصل حزب السعادة على نسبة 2.5 بالمئة، وجاءت نسب المرشحين في انتخابات الرئاسة على النحو التالي: أردوغان 39.7 بالمئة ومحرم إينجه 26 بالمئة وميرال أكشينار 21.2 بالمئة وصلاح الدين دميرطاش 11.1 بالمئة وتمل كرم الله أوغلو 1.8 بالمئة. أما دوغو برينجك فسيحصل، حسب استطلاع "بي. أر" على نسبة 0.5 بالمئة من إجمالي أصوات الناخبين.

وحسب نتائج استطلاع بي.أر، فإن تحالف الأمة سيحصل على الأغلبية في البرلمان بنسبة 43.1 بالمئة بعد جمع نسب الأصوات، التي حصلت عليها أحزاب الشعب الجمهوري وحزب السعادة والحزب الصالح، مقابل نسبة 42.1 بالمئة سيحصل عليها تحالف الشعب بقيادة حزب العدالة والتنمية.

تزامن مع هذين الاستطلاعين استطلاع ثالث أجرته وكالة ريميرز، وجاءت نتائجه على النحو التالي: سيحصل حزب العدالة والتنمية في انتخابات 24 يونيو على 33.5 بالمئة وحزب الشعب الجمهوري على 19.7 بالمئة والحزب الصالح على 12.7 بالمئة وحزب الشعوب الديمقراطي على 8.7 بالمئة وحزب الحركة القومية على 4.3 بالمئة وحزب السعادة على 3.5 بالمئة وحزب الهدى على 1.3 بالمئة. أما الممتنعون عن التصويت فبلغوا، حسب هذا الاستطلاع، 8.2 بالمئة من إجمالي الأصوات، في حين بلغت نسبة المحايدين 8.1 بالمئة. وهذا يعني أن نسبة 16.3 بالمئة من الأصوات ستضيع بين أشخاص لن يتوجهوا للأصوات، وآخرين سيمتنعون عن التصويت لأي من المرشحين.

بالنسبة للانتخابات الرئاسية، فقد توجهت ريميرز إلى الذين شملهم الاستطلاع بالسؤال "إذا كانت الانتخابات ستُجرى هذا الأحد، فلأي من المرشحين ستعطي صوتك؟". كانت الإجابة على النحو التالي: تحالف الشعب 37.9 بالمئة وتحالف الأمة 37.8 بالمئة وحزب الشعوب الديمقراطي 9.8 بالمئة، بالإضافة إلى نسبة 0.3 بالمئة كانت لهم إجابات أخرى، في حين كانت نسبة الممتنعين عن التصويت 7.2 بالمئة. أما المحايدون فنسبتهم 7 بالمئة من الأصوات. وإذا ما وزعنا نسب أصوات المحايدين والممتنعين عن التصويت، فستخرج النتيجة على الشكل التالي: 44.2 بالمئة لصالح تحالف الشعب. أما تحالف الأمة فسيحصل على نسبة 44 بالمئة من الأصوات، في حين سيحصل حزب الشعوب الديمقراطي على 11.5 بالمئة.

وعند سؤالهم عن المرشح الذي سيحصد أكبر نسبة من الأصوات في الجولة الأولى من انتخابات الرئاسة، جاءت إجاباتهم على النحو التالي: رجب طيب أردوغان 35.9 بالمئة ومحرم إينجه 22.3 بالمئة وميرال أكشينار 14.5 بالمئة وصلاح الدين دميرطاش 9.8 بالمئة وتمل كرم الله أوغلو 3.2 بالمئة. أما دوغو برينجك فحصل، وفق هذا الاستطلاع، على نسبة 0.2 بالمئة، في حين كانت نسبة المحايدين 7.8 بالمئة، والممتنعين عن التصويت 6.3 بالمئة من إجمالي الأصوات.

وعند جمع نسب المحايدين والممتنعين عن التصويت، فإن أردوغان سيحصل، وفق هذا الاستطلاع، على 41.7 بالمئة من الأصوات، بينما لن تتجاوز نسبة محرم إينجه 26.1 بالمئة، وميرال أكشينار 16.7 بالمئة، وصلاح الدين دميرطاش 11.4 بالمئة، وتمل كرم الله أوغلو 3.9 بالمئة، في حين ستذهب نسبة 0.2 بالمئة من الأصوات إلى دوغو برينجك.

وبالنظر إلى النتائج التي خَلُصت إليها نتائج الاستطلاعات، يمكن القول إن هناك تفاوتا كبيرا في نسبة الأصوات، التي سيحصل عليها أردوغان بين النتائج الثلاث، خاصة لو أضفنا إليها نسبة المحايدين والممتنعين عن التصويت. والواضح أنه لا يمكن إرجاع السبب وراء التفاوت الكبير بين نسب الاستطلاعات الثلاثة إلى خطأ في الحساب أو في الطريقة المتبعة عند إجراء الاستطلاع.

من هنا يمكن أن أقول إن التفاوت الكبير بين النسب في نتائج العشرات من الاستطلاعات، التي أجريت لهذا السبب، إنما يرجع إلى تعرض هذه الشركات لنوع من الضغوط جعلها تحرّف هذه النتائج، وتخشى الإفصاح عن الأرقام الحقيقية.

في الوقت نفسه، يؤكد أنصار أحزاب الشعوب الديمقراطي والشعب الجمهوري والحزب الصالح، المتجمعين في سرادقات الانتخابات، أن نتائج هذه الاستطلاعات لا تعبّر عن الواقع بأي حال من الأحوال، وأن نتائج الانتخابات ستكون بمثابة "الصدمة" بالنسبة إلى أردوغان.

أختم مقالتي بحديث أحد الأشخاص، ممن كانوا في زيارة لهذه السرادقات، والذي رفض ذكر اسمه، حين قال "أقوم بزيارة هذه السرادقات، وأحصل على منشورات الأحزاب، وأستمع إلى ما يقولونه، ولكني لا أستطيع الإفصاح عن الشخص الذي سأعطي صوتي إليه. نحن لا نثق في من يقومون باستطلاعات الرأي. ومن ناحية أخرى، نحن نخشى من أن نفصح عن اختيارنا الحقيقي لهؤلاء، كما أننا نخشى أن تُسجل المكالمات أثناء التحدث لأحد موظفي شركات الاستطلاع عن طريق الهاتف".

> التفاوت الكبير بين النسب في نتائج العشرات من الاستطلاعات يرجع إلى تعرض هذه الشركات لنوع من الضغوط جعلها تحرف هذه النتائج، وتخشى الإفصاح عن الأرقام الحقيقية

محاربة يسارية تناضل بصخب على جميع الجبهات

نبيلة منيب

تطرح مشروعها لإنقاذ السياسة المغربية من «الردّة»

محمد بن امحمد العلوي

❏ من يراقب بحر السياسة المغربية في العقد الأخير، سيسجل تحولات بالغة الأهمية، مكنت من حدوثها البيئة المستقرة سواء على مستوى المجتمع أو قيادة الدولة.

ومن بين علامات تلك التحولات الحراك النسوي. باعتباره جزءا فاعلا حقا في المغرب، دون أن يتخذ الشكل الاستعراضي الفارغ، كما في غير بلد.

ومن وجوه ذلك الحراك سيدة مغربية يحتاج الحديث عنها إلى شيء من الحذر الهادئ، وجهات نظرها تبدو للوهلة الأولى حالمة حينا وصادمة أحيانا أخرى. وبالفهم العميق تتكشف لك ميكانيزمات تحليلها للظواهر السياسية والاجتماعية والثقافية بمنطق أنيق يطغى عليه الفكر اليساري، دون أن تفرط في أناقتها الخارجية.

> حزبها يوشك أن يعلن، بحسب منيب، عن مشروعها للإنقاذ الذي يشترك فيه مثقفون مع الحركات النسائية والأمازيغية، ويستهدف محاربة اقتصاد الريع ومحاربة سياسة الإفلات من العقاب، وذلك للخروج مما أسمته ردة سياسية وحقوقية يعيشها المغرب

صارمة اللهجة، تضفي بابتسامتها الآسرة على مشروعها السياسي مسحة أنثوية تفتقدها الساحة السياسية التي تضم أكثر من 30 حزبا.

تربعت نبيلة منيب على كرسي الأمانة العامة لحزب الاشتراكي الموحد منذ ست سنوات، وبهذا تكون أول امرأة تقود تنظيما سياسيا في المغرب، وهي فلتة في الزمن السياسي الذي تؤكد في الكثير من المناسبات أنه مقلق ويحتاج إلى جرعات وافرة وجريئة من الإصلاح.

انتصار لقيم الحداثة والديمقراطية

منيب التي توصف بالمرأة الحديدية لم يكن في وسع قواعد وقيادة حزبها إلا تجديد الثقة فيها للمرة الثانية في فبراير 2018 لتقوده فترة زمنية تمتد لست سنوات أخرى جعلتها تقول إن انتخابها على رأس اليسار الاشتراكي الموحد، نصر لكل النساء المغربيات وانتصار لقيم الحداثة والديمقراطية، وترى أنه لا توجد ديمقراطية في أي مجتمع دون نساء، ولا ديمقراطية دون تمثيل النساء في كافة مناحي الحياة العامة.

خلفيتها العلمية كأستاذة باحثة في علم الهرمونات امتزجت بما تشربته من مهنة والدها الذي اشتغل في السلك الدبلوماسي لسنوات، فحاولت موازنة علم السياسة مع ممارستها الأكاديمية في ميدان علم الغدد الذي نالت فيه الدكتوراه بجامعة مونبلييه الفرنسية.

كانت مدينة الدار البيضاء مسقط رأس منيب ومكانا للتدريس في جامعتها وفضاء لممارسة السياسة من أوسع الأبواب. تدرّبت على العمل السياسي والنضال من خلال فصيل الطلبة الديمقراطيين التابع لمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي داخل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب.

تقول منيب "والدتي، رحمها لها، كانت ترتدي في البيت أجمل ما لديها لتجالسنا نحن الأبناء، وكانت الأكثر أناقة، وأنا مدينة لها بتلقيني تلك التفاصيل وفلسفتها في الحياة وحب العيش".

لامست حرارة النضال مع حلاوة الحب في فرنسا فزاوجت بينهما إلى الآن، دون أن يطغى جانب على الآخر، فزوجها، يوسف حجي، هو الآخر مناضل ضمن حزب منظمة العمل الديمقراطي اليساري، وقد سبقها في الممارسة الانتخابية في العام 1997، ولم يتخل عن واجباته الأكاديمية أيضا.

مشروع الإنقاذ

تعرضت الأستاذة الجامعية والسياسية الجريئة لتحرش سياسي من طرف منافسها في الانتخابات السابقة منصف بلخياط، الذي كتب في تغريدة على تويتر أرفقها بصورة منافسته "من تكون هذه السيدة الجميلة؟ تبدو لي أنها من الطبقة البرجوازية.. إنني أجدها راقية جدا و(زاز)". لكنه بعد ذلك تدارك زلته فغرد مرة أخرى معتذرا "إذا كنت أسأت لأي شخص فأنا أعتذر".

كأي سياسي يجتهد في جذب المناصرين وحشد الدعم الشعبي، كشفت منيب مؤخرا أن حزبها بصدد الإعلان عن مشروعها للإنقاذ الذي يشترك فيه مثقفون مع الحركات النسائية والأمازيغية، ويستهدف محاربة اقتصاد الريع ومحاربة سياسة الإفلات من العقاب. وذلك للخروج مما أسمته ردة سياسية وحقوقية يعيشها المغرب، ويظهر أن الخلل في المشروع الذي تقدمه عدم توسيع مروحة المنخرطين والاكتفاء بفئة دون أخرى.

تصف منيب الوضع السياسي بـ"المؤلم والرديء"، وبأنه تسبب في تداعيات اقتصادية وسياسية، وبعودة التكنوقراط، وهو الأمر الذي قالت إنه ليس في مصلحة البلاد، هي تقول إن الشعب قادر على مواجهة تلك الردة لكن لم تقدم الكيفية رغم أنها نظريا طالبت بإنهاء علاقة الزواج غير الشرعي بين السلطة السياسية والاقتصادية، داعية إلى استقالة الفاعلين الاقتصاديين من السياسة، ووقف نزيف الريع الاقتصادي، والتوزيع غير العادل للثروات التي تسيطر عليها عائلات بعينها.

باستماتة كبيرة دعت زعيمة الحزب الاشتراكي الموحد، إلى إيقاف نزيف الريع الاقتصادي، لأن من بين شروط استتباب الأمن والسلم، ضرورة التوزيع العادل للثروات، مؤكدة أن استمرار الجمع بين السلطة السياسية والاقتصادية، أدى إلى تمركز الثروة في يد مجموعة من العائلات المعروفة بأسمائها، وهو الأمر الذي أدى إلى اتساع الفوارق الاجتماعية.

وتشدّد منيب دوما، على أن الحكومات المغربية لا تطبق برامجها السياسية، ولم تنجح في تحقيق طموحات الشعب، وتدعو إلى الاستثمار في التعليم، والاعتناء بالمدرسة العمومية، التي انهارت وتم الإجهاز عليها، مؤكدة على ذهاب حقوق المواطنين أدراج الرياح بسبب النهب والفساد.

حتى الحكومة التي يرأسها سعدالدين العثماني لم تسلم من سهام نقد منيب، عندما اعتبرتها حكومة إدارة أعمال وهي ماضية في إجهازها على حقوق الطبقة العاملة وعموم الموظفين، وسنفهم هذا التوجه عندما نراها تكيل الحكومات السابقة نفس الاتهام، فهي لا تجدها تتوفر على القدرة والإرادة الضروريتين لمحاربة الفساد المستشري في دواليب الدولة ومفاصل الاقتصاد.

ويتساءل الكثير من المتفاعلين مع صفحتها الفيسبوكية حول هل ستشارك منيب ضمن وفد المشجعين المغاربة للمنتخب المغربي في مونديال روسيا؟ لم تجب على التساؤل رغم أنها تتفاعل كثيرا مع المعلقين على صفحتها.

اختيار "الشمعة" شعارا للحزب ليس مصادفة بل محاكاة لوسيلة إنارة ضاربة في القدم، ولازالت مستعملة إلى الآن، ومناضلو الحزب يقولون إن منيب هي الشمعة التي تضيء الطريق نحو المزيد من الديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، ولهذا رفعت شارة النصر داخل محكمة الاستئناف بالدار البيضاء، نهاية مايو الماضي تضامنا مع معتقلي حراك الحسيمة.

كفاح من أجل مغربية الصحراء

وتعتبر المسؤولة الأولى داخل الاشتراكي الموحد أن حملة مقاطعة منتجات استهلاكية التي بدأت منذ 20 أبريل الماضي، تعبير عن وعي الشعب، نافية أن تكون مقاطعة بعض المنتجات ثورة للجياع، لأنها لا تزال مستمرة وتحتاج إلى وعي سياسي حتى لا يتم الالتفاف عليها، ومنه دعت منيب إلى خلق عوامل الثقة مع السياسيين ودعم الحراك الشعبي والمطالبة بالإصلاحات الكبرى وفصل السلط.

وتفسر منيب المقاطعة التي يعرفها المغرب بأنها نتيجة فشل النموذج الاقتصادي والتنموي المغربي في ترسيخ ميكانيزمات توزيع عادل للثروة وخلقه طبقة أوليغارشية تجمع الثروة والماء والأراضي الفلاحية.

نضال منيب ضد الظلم والفساد وموقفها في الدفاع عن قضايا تعتبرها من الثوابت، قادها في عام 2015، إلى جانب وفد يضم قادة أحزاب مغربية، إلى السويد من أجل إقناع الحكومة السويدية بالاعتراف بمغربية إقليم الصحراء، منبهة السويديين إلى أنه لا يمكن الحديث عن تشابه المشكل في الصحراء والقضية الفلسطينية.

وبطريقتها التي تجمع الهدوء مع الإصرار والدبلوماسية قالت منيب في لقائها مع إيريكا فرير، سفيرة السويد في المغرب، إنه من واجب المجتمع الدولي تدعيم كل مشروع وحدوي والحفاظ على الأمن في المنطقة، وخلق دولة جنوب المغرب تحت وصاية النظام الجزائري يمكنه أن يفتح بابا لانعدام الاستقرار، وأن هذا الخيار ستكون له عواقب وخيمة.

جرأتها وتمكنها من أدواتها السياسية لم تشفع لها لدخول البرلمان بعدما فشلت في إقناع الناس للتصويت عليها في انتخابات أكتوبر 2016، باسم اللائحة الوطنية لفيدرالية اليسار الديمقراطي، وهو تحالف لثلاثة أحزاب يسارية صغيرة، حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي وحزب المؤتمر الوطني الاتحادي، والحزب الاشتراكي الموحد.

لم تفوت منيب الفرصة دون انتقاد رفاقها في حزب النهج الديمقراطي عندما رفضت تحالفهم وانسياقهم مع جماعة العدل والإحسان.

وعي بخطر الإسلام السياسي

في إحدى مداخلاتها في ندوة نظمتها مؤسسة قرطبة بتونس العام 2012، قالت منيب، إن التيارات الإسلامية لن تكون أبدا ديمقراطية، وأنها لن لا تتمكن من تحرير شعوبها. ثم حضرت في لقاء ثان بإسطنبول في العام 2015، شارك فيه علمانيون وإسلاميون، ما جعل خصومها من تيارات يسارية يؤاخذونها أنها جالست إسلاميين ترعاهم قطر في كل من تونس وتركيا وتمنع على نفسها وعلى مناضلين بالحزب الاشتراكي الموحد من الجلوس معهم بالمغرب.

لترد أن مشاركتها كانت بصفتها الأكاديمية وليست السياسية وأن هناك فرقا كبيرا بين إلقاء مداخلة بصفة مستقلة، وبين التحالف سواء ميدانيا أو سياسيا. قالت "لم يسبق لي أن وقعت على أي بيان أو وثيقة بهذا الخصوص، وإنني فعلا وضعت خطا أحمر في التحالف مع التيارات الإسلامية ومنها جماعة العدل والإحسان".

واعترفت منيب أنه لا وجود لنقاط التقاء مع الأصوليين. تقول "ليس لديهم أي مشروع سياسي أو اقتصادي لمواجهة الوضع الذي نعيشه في العالم العربي والإسلامي، وإن مداخلتي لم ترق للبعض لدرجة أن أحد الأساتذة الحاضرين قال لي إن كلامك لم يرق الإسلاميين ولو أنهم كانوا يمتلكون الكلاشنيكوف لما ترددوا لحظة واحدة في اغتيالك خلال نفس اليوم".

لم تتوقف منيب عن المطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية، من بينها تكريس مبدأ فصل السلطات، لتحقيق مجتمع العدالة الاجتماعية وإعادة الحياة للوسائط من أحزاب سياسية ونقابات، وعدم تهميش الكفاءات داخل أجهزة الحكم.

ومن شروط بناء نموذج تنموي مستقبلي، كما ترى منيب، تقوية النموذج السياسي، الذي ينبني على الديمقراطية والتداول السلمي على السلطة وفصلها، لأن المغرب، كما تقول، فشل في انفتاحه الاقتصادي، وهو ما أدى إلى خلق برجوازية هجينة وغير وطنية.

خصوم نبيلة منيب السياسيين هم الإخوان والفساد والمخزن، تلك الخصومة السياسية والانتماء الأيديولوجي جعلاها تصف حزب الأصالة والمعاصرة بالحزب الإداري السلطوي، حتى أنها قالت إن سيناريو فوزه بالانتخابات في 2012 كان معدا سلفا ليقود الحكومة. لكنه فشل ليفوز غريمه العدالة والتنمية مرتين، وعندما دشن عبدالإله بن كيران مشاوراته لتشكيل الحكومة بعد انتخابات 2016 رفضت اللقاء به والتحالف معه رغم أن حزبيهما رفعا شعار محاربة الفساد.

مشروع منيب الإصلاحي يتداخل فيه المحلي بالدولي، فواقع الأزمة التي يعيشها النظام الاقتصادي النيوليبرالي تعطي راهنية غير مسبوقة لعودة القيم الاشتراكية والفكر الاشتراكي، ما يتطلب تضافر الجهود لإعادة بناء المشروع اليساري الاشتراكي، وطموح نبيلة إنشاء الحزب الاشتراكي الكبير، فهي لازالت مؤمنة من خلال ترؤسها حزبها بناء القطب اليساري الكبير كمهمة صعبة وليست مستحيلة ونريد أن يكون عنوان هذه المرحلة هو الديمقراطية الحقيقية والكاملة، والوصول إلى الملكية البرلمانية.

منيب كمناضلة يسارية ناشطة تؤمن بالحركات الشبابية كحركة 20 فبراير، ولا تتوانى في استقطاب هذه الفئة من المجتمع المغربي، مدغدغة مشاعرهم السياسية بمنطوق الملكية البرلمانية، هذا النموذج في الحكم تراه هذه السياسية التي يصفها خصومها بالحالمة هو الطريق نحو مجتمع ديمقراطي حداثي.

مع اتفاق كل الفرقاء السياسيين على أن دستور 2011 يمتاز بحيز ديمقراطي أكبر وبهامش حريات كبيرة وصلاحيات أوسع لرئيس الحكومة، وتفاعل السلطة والأحزاب بشكل إيجابي خلق بيئة انتخابات نزيهة أوصلت المعارضة إلى الحكومة، إلا أن منيب تصر على أن الملكية البرلمانية أصبحت مطلبا ملحا والكلام عن الديمقراطية ليس ترفا سياسيا، مؤكدة على استعجالية البناء الديمقراطي.

ورغم أن منيب تشتغل في ظل ذلك الدستور الذي أعطى المجال أوسع للعمل السياسي ومنح صلاحيات عديدة للأحزاب في المعارضة والأغلبية وترسيخ منصب رئاسة الحكومة، إلا أنها تنفي أن يصل إلى مستوى الدساتير الديمقراطية في العالم، لأنه لا يقر بمبدأ فصل السلط، لأن الملكية مازالت الفاعل الأول والأساسي، وهو الحكم في الوقت نفسه.

كان حضور منيب عبر اللجنة الوطنية لدعم تظاهرات 2011، قويا وتعترف في هذا الصدد بأن حركة 20 فبراير والنقاش الوطني الجاري داخل المجتمع كان حاسما في دعم انتخابها أمينة عامة للحزب لأول مرة.

> منيب تعترف بأن الأصوليين لا وجود لأي نقاط التقاء معهم. وبعد أن انتقدتهم بإحدى الندوات وقالت إنهم «ليس لديهم أي مشروع سياسي أو اقتصادي لمواجهة الوضع الذي نعيشه في العالم العربي والإسلامي». وأضافت «قال لي أحد الأساتذة الحاضرين إن كلامك لم يرق للإسلاميين، ولو أنهم كانوا يمتلكون الكلاشنيكوف لما ترددوا لحظة واحدة في اغتيالك خلال نفس اليوم»

● منيب لا تتردد في انتقاد رفاقها في حزب النهج الديمقراطي رافضة تحالفهم وانسياقهم مع جماعة العدل والإحسان.

● خصوم نبيلة منيب السياسيون هم الإخوان والفساد والمخزن، تلك الخصومة السياسية والانتماء الأيديولوجي جعلاها تصف حزب الأصالة والمعاصرة بالحزب الإداري السلطوي.

ناقدة ورسامة. ما أصعبها من مهنة

أمل نصر

وريثة رسامات مصر تنظر إلى المستقبل

فاروق يوسف

❏ تجدها حاضرة في كل مكان للتعريف بالفن المصري الحديث. قدرتها النقدية قائمة على دربة أكاديمية ليس من اليسير التغاضي عنها.

حين حدثتها عن شغفي برسوم محمود سعيد تأملتني بعاطفة، كما لو أني لمست شغاف قلبها، وهي التي أقامت معرضا شخصيا عام 2003 في متحف ذلك الفنان المصري الرائد.

لديها قدرة على أن تحول الدرس إلى لقاء صداقة تمتزج فيه المعرفة بالوله الشخصي. يحدث العكس حين تنفتح أحاديثها الشخصية على بحر من المعلومات التي تجدها ضرورية من أجل خلق قاعدة سليمة لحوار بين شخصين، يجمعهما عشق الفن.

بعدان لروح واحدة

التقيتها عام 2010 في أصيلة المغربية، في مناسبة لا علاقة لها بموسم المدينة العريق. حين اكتشفنا معا أنه قد تم التغرير بنا وأن المناسبة التي دعينا إليها يغلب عليها الطابع الاجتماعي حاولتُ أن أخفف من وقع الصدمة عليها بالضحك والمزاح وهو ما جعلها تتخلى مؤقتا عن ردود أفعالها الجادة وتعتبر تلك الأيام الثلاثة التي قضتها في أصيلة إجازة استرخاء.

> أمل نصر التي تعرف الفن التشكيلي المصري من داخله نجحت في أن تصنع مصفاة تمر من خلالها تأثيرات الفنانين الذين تحبهم إلى تجربتها الفنية. فهي ابنة الفن المصري المولعة بالبحث عن أسراره

يومها حضرت أمامي المعلمة التي تملك القدرة على السماح للإنسانة التي تقيم في داخلها أن تقاسمها المائدة نفسها.

ولأننا كنا ضيوفا دُعيوا خطأ إلى حفلة ليست لهم، فقد كنا نقضي الوقت في أحاديث جانبية، غالبا ما كنت استدرجها إليها من أجل زيادة معرفتي بالفن المصري الحديث.

لقد فتحت أمل نصر لي صفحات موسوعتها التي تتقن التنقل بينها مغمضة العينين. ما سحرني أكثر أن كل تلك المعرفة لم تلحق الضرر بيديها اللتين ظلتا تتحركان بحرية وخفة وعفوية طفل على سطوح لوحاتها.

وإذا ما عرفنا أنها غزيرة الإنتاج في الجانبين، النقدي والفني، يمكنني القول بيقين إن نصر لا تفصل بين ما هو نقدي وما هو فني إلا في حدود الأدوات والتقنيات أما الروح فهي واحدة.

فالرسامة التي تعرف الفن التشكيلي المصري من داخله نجحت في أن تصنع مصفاة تمر من خلالها تأثيرات الفنانين الذين تحبهم إلى تجربتها الفنية. هي ابنة الفن المصري المولعة بالبحث عن أسراره وهي في الوقت نفسه الباحثة عن أسلوبها الشخصي في ركام هائل من الأساليب التي صارت على دراية بها بسبب كدحها النقدي.

ولدت نصر عام 1965 في الإسكندرية. تخرجت من قسم التصوير. "أبعاد في التصوير" هو عنوان رسالة الماجستير عام 1993 أما رسالتها لنيل شهادة الدكتوراه عام 2000 فقد كانت بعنوان رؤية معاصرة لجماليات التكوين في الفنون المعاصرة.

أقامت نصر أول معارضها الشخصية عام 1989. تقوم الآن بالتدريس في مرسم مكتبة الإسكندرية وأتيليه الإسكندرية بعد أن قامت ولسنوات طويلة بالتدريس في كلية الفنون الجميلة.

نالت جائزة الدولة للإبداع في التصوير عام 1998. ولأن الكاتبة كانت تنظر إلى الرسامة بحسد فقد نالت نصر جائزة الدولة التشجيعية في مجال النقد الفني عام 2011.

لم تكتف أمل نصر بنتاجها الغزير في مجالي الرسم، الذي بلغ حوالي ثلاثين معرضا شخصيا إضافة إلى مشاركتها في الكثير من المعارض الجماعية داخل وخارج مصر، والنقد، الذي تمثله كتب عديدة إضافة إلى مساهمتها في تأليف كتب مشتركة، بل حرصت على الحضور في المشهد التشكيلي المصري والعربي باعتبارها ناشطة، منسقة معارض وعضو لجان تحكيم ومساهمة في ندوات نقدية ولقاءات فنية في مختلف أنحاء العالم العربي.

تقوم أمل نصر بكل ذلك النشاط إلى جانب عملها الأكاديمي معلمة فن ومشرفة على الكثير من أطروحات الماجستير والدكتوراه.

يكون المرء في حيرة من أمره حين يتابع ما تقوم به تلك المرأة التي صار الفن حياتها الشخصية. ما قامت وتقوم به يحتاج إلى أكثر من حياة.

هناك جانب مهمّ في تجربة الفنانة يتعلق باهتمامها بالمرأة، إنسانة وفنانة. لقد خصت ذلك الجانب بالجزء الأكبر من تجربتها الفنية واهتمت نقديا بتجارب الفنانات المصريات اللواتي تعتبرهن نماذج حية للإبداع، وهي تنظر إليهن بالكثير من الإجلال.

إنها تعتبر نفسها وريثة لأولئك النسوة اللواتي تنظر إلى تجاربهن باعتبارها دروسا شخصية. هي ابنة الريادة النسوية في الفن بدءا من تحية حليم وانتهاء بنازلي مدكور مرورا بجاذبية سري وإنجي أفلاطون.

ما يميز نصر ناقدة هو ذلك الشعور العميق بالولاء للفن المصري وللمرأة المصرية المبدعة والذي عبرت عنه بشيء لافت من الإنصاف من خلال كتاباتها ومحاضراتها.

ثقة مطلقة بالجمال

ليس مؤكدا أن الرسامة تتقدم على الناقدة في حياة أمل نصر العملية. وهو ما يصح في مجال النظر إلى العديد من التجارب الشبيهة، مثل أسعد عرابي، فيصل سلطان، وعبدالرحمن السليمان. وهو حكم ليس سلبيا. ذلك لأن الفنان ـ الناقد إذا ما نجح في إقامة نوع من التوازن بين بعدي شخصيته يكون قادرا على توضيح الكثير من قضايا الفن الغامضة بحكم أنه يتحدث من داخل العملية الفنية التي هي خبرته الشاملة وقوته اليومي.

إضافة إلى محاضراتها ومداخلاتها المنشورة في كتب الندوات واللقاءات الفنية أصدرت نصر عددا من الكتب، أذكر منها "جماليات الفنون الشرقية" الذي صدر عام 2002 ضمن سلسلة آفاق الفن التشكيلي "عبد السلام عيد" وهو كتاب شامل عن تجربة الفنان صدر عام 2012 تلاه كتاب "مرايا العاطفة" عام 2013 كما صدر لها عن دائرة الثقافة والفنون بالشارقة كتاب بعنوان "جماليات المنمنمة الإسلامية" وذلك في عام 2014.

عناوين الكتب وحدها تشي بتلك السعة المعرفية التي تتميز بها نصر وهي تتحرك بين قارات الفن الوهمية كما لو أنها تقوم برحلة واقعية بين بلدان متجاورة تتقاسم الرغبة في تبادل خبرات العيش المشترك.

الانسجام الذي خلقته نصر بين بعدي شخصيتها هو مصدر ذلك الاحتفال بجماليات العالم الذي يحيط بها والذي تحاول التعبير عن ثقتها به من خلال اللون والكلمة.

هذه فنانة تثق بالجمال بطريقة مطلقة. لذلك لم تكتف بلذائذها الشخصية بل صارت تبشّر بما تراه نافعا.

ترسم لتتذكر

نصر رسامة غير نمطية. إنها لا تكرر تجاربها، مهما كانت تلك التجارب ناجحة على المستوى النقدي أو الشعبي. إنها ترى نفسها في ما لم تفعله بعد. هي صنيعة مستقبلها الذي لا يزال في عالم الغيب. في آخر تجاربها الفنية التي أطلعتني عليها تبدو كما لو أنها تتعلم. ذلك هو دأبها دائما.

حرصها على أن ترى نفسها في ما لم تفعله بعد لا في ما فعلته في أوقات سابقة يدفع بها إلى الانبهار دائما بما يمكن أن ينجزه لقاء المواد المستعملة بعيدا عن الرقابة التي تظل نصف واعية.

حرصت نصر على أن تقف وسط المسافة. فهي تشخيصية تجريدية في الوقت نفسه. وهي رمزية تحتاط كثيرا من أجل أن لا تخفي انجذابها إلى الواقع. لا تضحي باللحظات الشعرية غير أنها حريصة على الجانب السردي الذي يميّز الفن المصري عن سواه من الفنون العربية الحديثة.

لقد حافظت على ذلك التوازن لا لشيء إلا لأنه يعبر عن هويتها التي هي مزيج مما عاشته ومما تخيلته، ما خبرته شخصيا وما تعلمته نظريا.

ترسم أمل نصر ما تراه كما لو أنها تتذكره.

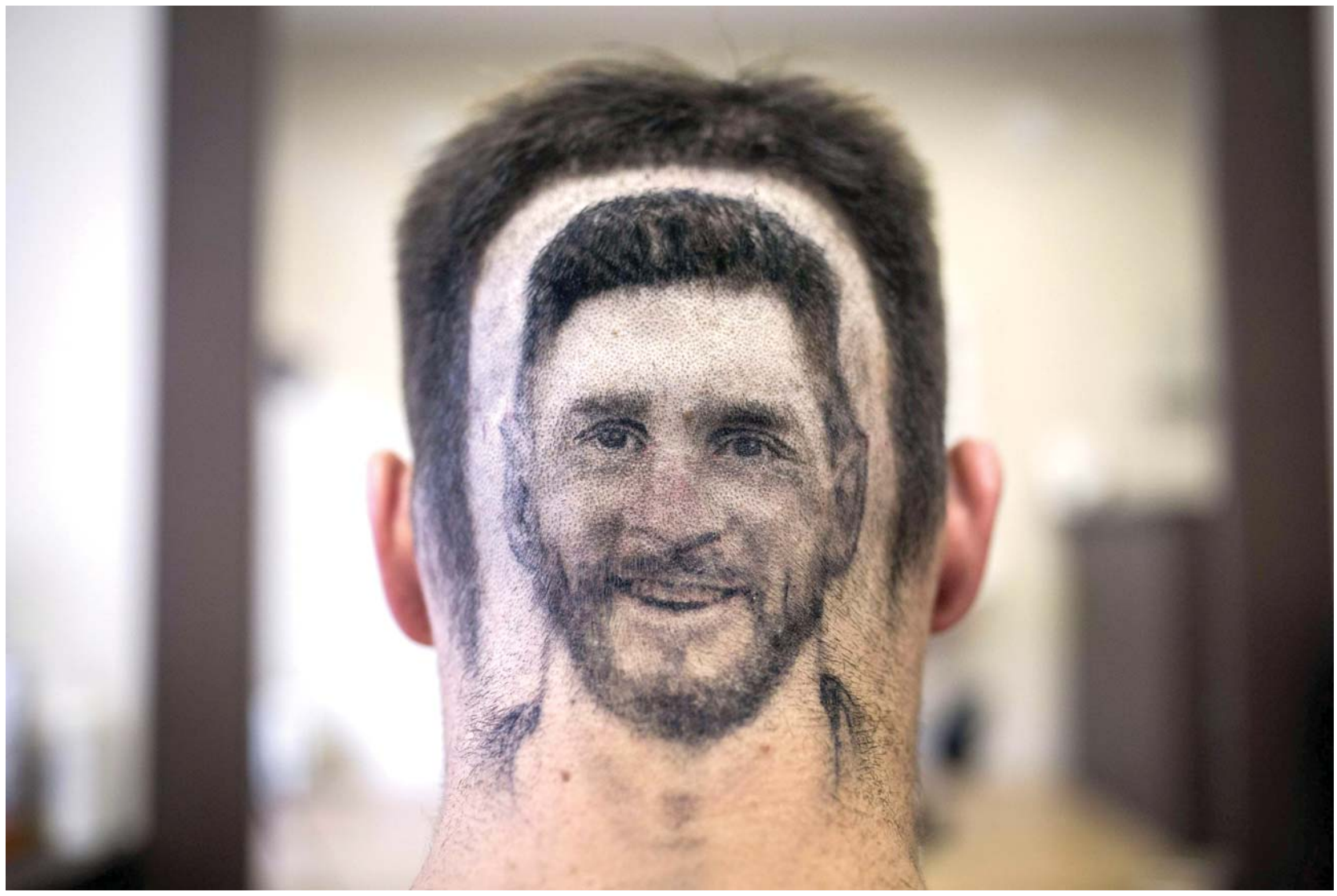

رأس اللاعب الأرجنتيني ميسي كما زينه مقص الحلاق

العنف المقنن

دفاعا عن كرة القدم

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

❏ لم يكن أبناء النبلاء البريطانيين ممن ابتدعوا لعبة كرة القدم في مدارسهم المسيّجة يتخيلون أنها ستغزو العالم، وتصبح أول رياضة شعبية تستهوي كافة الشرائح المجتمعية في شتى القارات. اعتنقتها الشعوب لسهولة ممارستها، لأنها بخلاف التنس والغولف والمبارزة بالسيف وسائر الرياضيات الجماعية لا تحتاج إلا لكرة ولو كانت من مطاط أو إسفنج أو خرق بالية، ولا يستلزم خوض مبارياتها أكثر من بطحاء أو ساحة مترية أو شارع مقفر وحتى أرض بور. وقد تملّكها كل شعب وحذق تقنياتها وأضفى عليها من خصاله وميزاته، حتى تحدث أهل الاختصاص عن الانضباط الألماني، والتكتيك الإيطالي، والفنيات الأميركية اللاتينية، مثلما تحدثوا عن "كرة القدم الاشتراكية" التي كان المنتخب المجري في خمسينات القرن الماضي تحت إشراف الممرن غوستاف سيبيس (1906–1986) رمزها الأمثل، في مقابل "كرة القدم الليبرالية" ممثلة في المنتخبات الغربية، إيطاليا وألمانيا وفرنسا وإنكلترا بخاصة، أو "فوتبول الصامبا" بالبرازيل في منتصف الخمسينات ومطلع الستينات أيام ليونيداس وفافا وديدي وبيلي وغارينشا، ثم في مطلع الثمانينات مع سقراطس وجنيور وزيكو وفلكاو، وهي قمة ما بلغته هذه الرياضة من فنيات عالية، تتآلف فيها المهارات الفردية والنزعة الهجومية واللعب الجماعي والبحث عن تحقيق الفرجة، وكأن مباراة كرة القدم عرض فني أو ألعاب بهلوانية في سيرك.

وبانتشار وسائل الاتصال الحديثة، ازدادت هذه اللعبة انتشارا في الأوساط الشعبية، الشبابية بخاصة، لا تستثنى من ذلك أي قارة، أولا لأنها صارت لدى الفرد سبيلا لتحقيق الذات، ولدى الأنظمة السياسية وسيلة للتلهية وكسب التعاطف. وبات لاعبو الكرة نجوما يلهج بذكرهم المحبّون، ويروم ودّهم القادة والزعماء، فيستقبلونهم عقب الفوز استقبال الجنود المتوجين بنصر مبين، تستوي في ذلك البلدان المتقدمة وبلدان العالم الثالث.

تلك الشعبية استغلتها الأنظمة لأغراض دعائية وأيديولوجية كما في ألمانيا النازية أو إيطاليا الفاشية أو الأرجنتين زمن الطغمة العسكرية، حتى عُدّ المنهزمون خونة يحقّ تسليط العقاب عليهم، كما حصل للاعبي المنتخب المجري مثلا إثر انهزامهم أمام ألمانيا في نهائي بطولة العالم عام 1954، مثلما استغلتها أنظمة أخرى، من العالم الثالث في الغالب، لصرف اهتمام الشعوب عن القضايا المصيرية، حتى قيل إن كرة القدم تحولت بدورها إلى أفيون لا غنى للشعب عنه، كلفه ذلك ما كلفه.

ولكن إذا كان بعض الحكام يستغلونها لأغراض مبيّتة، فإن آخرين يهوونها لذاتها، إما لأنهم عشقوها منذ الصغر، كلولا رئيس البرازيل الأسبق، أو تسلّوا بها مع أترابهم لتزجية أوقات الفراغ كفرنسوا هولاند رئيس فرنسا الأسبق، أو مارسوها في شبابهم ضمن أحد الفرق الرياضية كأردوغان رئيس تركيا، أو لم يجدوا لعشقها علاجا حتى بعد الجلوس على سدة الحكم كما هو شأن إيفو موراليس رئيس بوليفيا الذي قرر الانضمام إلى فريق محلي كلاعب محترف (براتب رمزيّ والحق يقال). والثابت أن السواد الأعظم من شعوب الأرض قاطبة يعشقونها لخصوصيتها، ولكونها لعبة تتطلب استعمال أكثر أعضاء الجسد تمنعا عن ترويض جسم منفوخ نطاط مراوغ، أي الرجلين والرأس والصدر، فتبدو العملية نوعا من التحدي ليس كل الناس مؤهلين له. ويعشقونها لجمالياتها كما تتبدى في أقدام عمالقة هذا الفن، من بيلي وماردونا إلى زيدان وميسّي وكريستيانو رونالدو، ولجانبها الدرامي حيث تفوق التقلبات والنهايات المأساوية أحيانا المسرح الإغريقي تراجيدية، ولتأزمها حدّ الذروة تأزما لا يعلم انفراجه أحد، فمباراة الكرة، خلافا للإنتاج الفني القائم على التخييل، قصة كان أم رواية أم مسرحية أم شريطا سينمائيا، لا تُعرف لها نهاية مسبقة، إلا ما يدخل في باب التكهن والتخمين، وهو كما نعلم باب يخطئ فيه المرء أكثر مما يصيب.

ومن ثَمّ اهتم المفكرون وعلماء الاجتماع بهذه الرياضة، ليس لكونها ظاهرة اجتماعية فحسب، وإنما أيضا لأنها تولّد إحساسا قويا بالانتماء إلى المجموعة، وتنزع إلى الكونية والتسوية بين البشر.

هذا مثلا الفيلسوف الفرنسي جان كلود ميشيا في كتابه "أجمل الأهداف كان تمريرة" يرى فيها رياضة تراهن على العمل الجماعي والتعاون. وهو إذ يدافع عن أصولها الشعبية ضد المسخ التجاري، وضد المثقفين الذين يصفونها بأفيون الشعوب، يحن إلى زمن البراءة، عندما كانت الكرة مجرد لعبة تمارس في بطاح الأحياء الشعبية بشغف وحماس وعفوية، ويلامس خلالها اللاعبون الجمال، "جمالا ينشأ من فرحة اللعب من أجل اللعب" كما يقول الأورغوائي إدواردو غاليانو في كتابه "كرة القدم، ظل وضوء".

وبرغم المساعي الليبرالية لتدجينها وإرضاخها لخدمة مصالح فئات معينة، وبرغم محاولات جعل المتفرجين فئران تجارب في "مجتمعات المراقبة" على حدّ تعبير ميشيل فوكو، فإن هذه الرياضة ما فتئت تستقطب عشاقا من سائر طبقات المجتمع ومن شتى الشرائح العمرية، لما لها من طاقة تحرير وخلق جماعي ورابط اجتماعي. وإذا كان بعض الأدباء قد تناولوها في أعمالهم الأدبية من زوايا معينة، مثل بيتر هندكه في رواية "روع حارس المرمى لحظة ركلة الجزاء" و"ميادين" لبازوليني و"لاعب كرة قدم" لبرونو هيكمان، فإن عددا من المفكرين توقفوا عند هذه الظاهرة ليحللوها تحليلا علميا، فلم ينظروا إليها نظرة الرومان إلى ألعاب السيرك الكبير circus maximus حينما كانوا يتقربون بها إلى الآلهة لإمتاعها وكسب رضاها من أجل أن تعطف عليهم وتحقق لهم الرخاء، بل رأوا فيها تعبيرا عن جملة من القيم. فهي في نظر الفيلسوف الإيطالي الشيوعي أنطونيو غرامشي (1891–1937) مملكة الوفاء البشري تمارس في الهواء الطلق، وفي نظر المؤرخ الماركسي إريك هوبسباوم (1917–2012) الديانة اللائكية للبروليتاريا. أما ألبير كامو (1913–1960) وكان في شبابه لاعبا ضمن أحد الفرق الجزائرية أيام الاستعمار، فقد صرح مرة "كل ما حققته في حياتي كان الفضل فيه لكرة القدم". وحتى ما يتخللها من اندفاع فهو من قبيل

> اهتم المفكرون وعلماء الاجتماع بهذه الرياضة، ليس لكونها ظاهرة اجتماعية فحسب، وإنما أيضا لأنها تولد إحساسا قويا بالانتماء إلى المجموعة، وتنزع إلى الكونية والتسوية بين البشر

العنف المنظَّم، أو ما يسميه عالم الاجتماع الألماني نوربرت إلياس (1897–1990) "العنف المسيطر عليه"، في إشارة إلى مدونة القواعد والقوانين والأحكام التي تنظمها.

لا أحد ينكر أن هذه الرياضة هي الأولى بامتياز، يعشقها ملايين البشر في العالم، ملوكا ورعايا، رؤساء ومرؤوسين، ويتابعونها ليل نهار، كما هي الحال الآن في مونديال روسيا، ويجدون في مشاهدتها متعة كبرى، ولكن المفارقة أن صانعيها، والساهرين على إخراجها في أجمل حلة، أي اللاعبين، لا يلقون الإكبار نفسه في الغالب إلا من العامّة، وبعض الخاصة في مناسبات تستنفر خلالها الحميةُ الوطنية كأن البلاد في حرب، وما عدا ذلك استياءٌ من تبجيل فئة مخصوصة تُمنح لها الامتيازات بغير حساب، واستهزاء من أولئك الذين ليس لهم من المؤهلات غير إتقانهم لعب الكرة. وعادة ما يصدر ذلك القدح عن المثقفين، إما للحطّ من قيمة اللاعبين والتشهير بانخرام درجات السلّم الاجتماعي. وإما لإدانة منظومة بحالها كما يذهب تيودور أدورنو أحد رؤوس مدرسة فرانكفورت، التي نادت باستعمال الفلسفة كنقد اجتماعي للرأسمالية، إذ يقول في هذا الغرض "إن تمجيد أولئك المساكين معناه تمجيد المنظومة التي جعلتهم كما هم الآن".

وفي رأينا أن النظر إلى اللاعبين من هذه الزاوية مناف لمنطق الأشياء. أولا، لأن المنظومة لا تستحق تلك الفئة وحدها بل هي حالة كونية عامة، تستغل الأحياء والنبات والأشياء فتحلبها حتى الضرع أو تنهشها حتى العظم لتحقيق مصالحها الخاصة بالدرجة الأولى، وليس للاعبين أدنى حيلة في التمرد عليها أو التملص من قبضتها. ثانيا، لأن اللاعبين ليسوا مطالبين بشهادات جامعية كي يمارسوا هوايتهم، ولا ببيان الجاحظ كي يردّوا على أسئلة الإعلاميين والأنصار، بل هم مطالبون أساسا باستعراض المهارات التي حذقوها وتنفيذ الخطط التي تدربوا عليها لكسب المباراة.

منطق القوة والرخاوة والهشاشة

سعد القرش
كاتب مصري

❏ مساء الأحد 10 يونيو 2018، وجه روبرت دي نيرو سبابا للرئيس الأميركي دونالد ترامب في حفل جوائز توني المسرحية. ليست زلة لسان في بث مباشر يتابعه الملايين، حين قال "فليسقط ترامب"، ثم استخدم لفظا فاحشا قالت الوكالات إنه يشير إلى الجماع. هذه ثقافة لا تبالي بانتقاد من هذا القبيل، وأما مصر فارتبكت؛ لأن امرأة لبنانية أتاحت لأصدقائها (25 شخصا) رسالة مصورة تهين مصر، وتتهم المصريين بالتحرش والسرقة والنفاق، طوال عشر دقائق من ردح سوقي مدعوم بألفاظ منحطة محلها القواميس والمشاجرات.

لم يجند ترامب أجهزة الدولة لملاحقة دي نيرو، تضييقا أو محاكمة، وسبق أن رد على سخرية ميريل ستريب بتغريدة. ويبدو أن المحامين في أميركا أقل غيرة على رئيسهم من محامين تدفعهم البطالة وغواية الشهرة إلى اصطياد مثل الأخطاء والإبلاغ عنها، متجاهلين استيفاء الشكل القانوني الخاص بانتهاك شخص غير أمين لخصوصية المرأة، فأشاع الصراخ والسفالات، واستجابت النيابة لبلاغ محام، وأمرت بالقبض على المرأة التي لم ينفعها اعتذارها، وفوجئت بإحالتها للمحاكمة، في دولة يهزها مقطع فيديو، وليت النيابة أوصت المحامي بقراءة تاريخ بلده، ونصحت المرأة بأن تعالج نفسيا.

بعيدا عن انحطاط أداء المرأة، فإن الدكتاتوريات الصريحة لا تحتمل إطلاق نكتة، أي مزاح يواجه بخشونة مباشرة، أو قسوة قانونية كما يعاقب راكب طائرة يزعم كذبا أنه يحمل قنبلة. ولا تبالي الدول القوية بسخافات تسخر من رئيس أو رمز، ولا تجنّد جهازا يراقب وسائل التواصل الاجتماعي للبحث عن "إساءة". تجاوزت "الدولة" تلك الأمور التي تمثل عوامل إلهاء تفتعلها الدول الرخوة، ولدى هذا الصنف الأخير من الدول مرونة مصدرها الرخاوة، فتتمتع بسياج من عوامل تاريخية وقيم اجتماعية تحمي الدولة من الكسر، ولا تسمح لها بالسقوط حتى لو سقط النظام، فسينبت الجسد الرخو رأسا آخر أكثر مكرا، ويخترع عدوا ضمانا للتماسك، ثم يلح في المن على الشعب ويبتزه بضرائب ظالمة تقتسم اللقمة الشحيحة.

في الرخاوة ذكاء شرير، أما الهشاشة فتلازم من يدعي الصلابة بمناسبة ودون، لكي يقي نفسه مخاطر مواجهة لا تصمد لها روحه القابلة للكسر. ولو أتيح لكائن فضائي أن يتابع شؤون مصر لمدة أسبوع، فسوف يتأكد له أن أقدم دولة صارت كيانا هشا، ما أسهل أن يستثار ردا على أي كلام. في الثمانينات قال محمد الماغوط إن مصر تخلو من الشعر والشعراء، وليس فيها إلا سعاد حسني، فقامت قيامة الشعراء. ويُخرج شخص خبيث أو جهاز أمني أكثر خبثا تعليقا قديما لمطربة عن تلوث النيل بالبلهارسيا، فتتعرض للمنع والتحقيق، ومن السخريات أن تتم تبرئتها كأنها أخطأت.

لا خطر على الدولة أو الدين من الانتقاد والسخرية، ولكن كهنة الدولة والدين يستبسلون في اختراع مسوغات لوظائف ينتصرون فيها لما ينتقونه من قضايا، فتتجاهل دار الإفتاء حكم الدين في احتجاز أبرياء لمدد مفتوحة بالمخالفة للدستور والإنسانية، وتنوب عن الله فتعلن أن المجاهرة بالإفطار في رمضان ليست حرية شخصية، "بل هي نوع من الفوضى والاعتداء على قدسية الإسلام.. مجاهرة بالمعصية، وهي حرام". ولم يتوجه مسلم خارج العالم الإسلامي بشكوى للمفتي من ضيقه بالمفطرين في شوارع دول أجنبية ينعم فيها بالعدل والحرية وسيادة قانون الكفاءة، وهذه القيم هي الدين الخالص. ولم يرتد مسيحي منذ نشر د.هـ. لورانس روايته "الرجل الذي مات" عام 1929، وفيها يخرج السيد المسيح، بعد أيام من الصلب، لإشباع جانب حسي أغفله في حياته. وترجم الرواية رمسيس عوض عام 1997، ولم تحاكمه الكنيسة.

الموبايل الصيني

الروائي ليوجين يون يفضح أسرار العلاقات الخاصة

محمد الحمامصي
كاتب من مصر

❏ تعد رواية "الموبايل" للروائي الصيني الشهير ليوجين يون، من أوائل الأعمال الإبداعية العالمية التي عالجت برؤية فنية وجمالية ممتعة تأثير جهاز الموبايل في المجتمع والعلاقات التي تربط أفراده، انطلاقا من الأسرة ومرورا بالعمل وانتهاء بالمحيط الاجتماعي، فالرواية التي ترجمها وقدم لها د.حسانين فهمي حسين، والتي صدرت لأول مرة في عام 2003 عن دار نشر تشانغ جيانغ اليانجستي للفنون والآداب، تدور أحداثها حول الإعلامي المعروف يانشوإي مقدم برنامج "بصراحة" بالتلفزيون الصيني، وعلاقته بثلاث شخصيات نسائية: زوجته يووين جيوان، التي انفصلت عنه بعد زواج دام عشر سنوات، أقل ما يقال عنها أنها كانت مليئة بالحب والتضحية من جانب واحد، من جانب الزوجة التي تتحمل الكثير في مواجهة الزوج الذي يستغل شهرته الإعلامية ليقيم علاقات عاطفية مع معجباته.

عندما نسي الموبايل في البيت مصادفة، بدأت القصة، لتكتشف زوجته السر الذي كان كافيا لأن ينهي العلاقة في ما بينهما، ولتتوالى المصائب التي كان الموبايل سببا في وقوعها للبطل يانشوإي وصديقه الأستاذ الجامعي فيي موه. وعشيقته وويويه ـ الشخصية الثانية التي كانت سببا رئيسا في طلاقه من زوجته، والتي تمكنت في النهاية من تهديده بصورة التقطتها وهما معا وأرسلتها له عبر موبايله لتهدده بها، وتطلب مساعدته في تزكيتها للعمل كمذيعة ببرنامج التوك شو الذي يقدمه.

الشخصية الثالثة صديقته شين شويه، الأستاذة بقسم التمثيل بمعهد المسرح ببكين والتي تعرف عليها بعد طلاقه من يووين جيوان. ليقدم لنا الكاتب "الموبايل" هذا الجهاز الذي استغله البطل يانشوإي كأداة للكذب والخداع، بشكل يتنافى تماما مع اسم ومضمون برنامج التوك شو "بصراحة" الذي يقدمه يانشوإي على شاشة التلفزيون، مع المفارقة الكبيرة بين اسم البطل يانشوإي الذي "يعني الجاد أو الملتزم" واسم البرنامج "بصراحة" وشخصية مقدمه الذي هو بعيد تماما عن الصراحة والالتزام. ويكشف في الوقت ذاته عن الكذب والزيف اللذين يسيطران على حياة شخصيات الرواية الأساسية بمن فيهم الأستاذ الجامعي فيي موه صديق يانشوإي وزميله في إعداد برنامج "بصراحة"، هذا البرنامج الذي يقوم بشكل أساسي على قول الحقيقة، في حين أن مقدمه غارق في الكذب.

تبدأ الرواية بالحديث عن حياة يانشوإي في الريف الصيني قبل انتقاله إلى بكين والعمل في مجال الإعلام، ومنه إلى عالم الشهرة والكذب، ثم تصور حياة يانشوإي مع زوجته يووين جيوان الموظفة بإحدى الشركات العقارية، الجميلة الهادئة التي لا تفارق الابتسامة وجهها، قبل أن تكتشف بالصدفة كذب وخيانة زوجها لها من خلال موبايله. وعلاقة يانشوإي بوويويه، التي كانت سببا مباشرا في طلاقه من زوجته، والتي استطاعت أن تستخدم الموبايل لتهديده وابتزازه لمساعدتها في تحقيق غرضها للعمل مذيعة ببرنامج "بصراحة"، ثم علاقته بصديقته التي تعرف عليها بعد الطلاق مباشرة شين شويه، المدرسة بقسم التمثيل بمعهد المسرح ببكين. وتصوير صخب المدينة ومعاناة ومتاعب أهلها، من خلال رحلة البطل من مسقط رأسه بمقاطعة خه نان للعمل ببكين، ثم الزواج والولوج في عالم الشهرة حتى الطلاق. وكأنه كان يعيش في حلم طويل منذ أن قدم إلى المدينة، ليصبح مجرد دمية تنطق بالكذب دون سواه، من خلال جهاز الموبايل الذي تحول إلى قنبلة موقوتة ينتظر انفجارها في أي لحظة. وتنتهي الرواية بالعودة إلى الحديث عن الريف الصيني، للتأكيد على ارتباط الكاتب ليووجين يون بتاريخ وثقافة مسقط رأسه مقاطعة خه نان والريف الصيني بوجه عام، والبحث عن الجذور الثقافية لشخوص أعماله. ليلتقي في هذه النقطة بمويان في اهتمامه بالكتابة عن مسقط رأسه قاومي بمقاطعة شاندونغ، الذي اتخذه مويان مسرحا لعدد كبير من أعماله، ليؤكد على الاتجاه القائل بالعلاقة الوثيقة بين الكاتب ومسقط رأسه.

وفي مقدمته للترجمة الصادرة عن دار ضفاف عرف د. حسانين فهمي حسين بالروائي الصيني ليوجين يون موضحا أنه ولد في عام 1958 بمقاطعة خه نان، وتخرج في قسم اللغة الصينية بجامعة بكين العريقة عام 1982.

أحد أهم الأصوات الأدبية في جيل ما يعرف بجيل الرواد الذين لمعت أسماؤهم على الساحة الأدبية الصينية منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي، الجيل الذي يضم سوتونغ، قه فيي، مايوان، تسان شويه، يوهوا، خان شاوقونغ وميان صاحب "الذرة الرفيعة الحمراء" الحائز على نوبل الآداب 2012. عمل عقب تخرجه في عام 1982 بمجلة "الفلاح اليومية". درس خلال الفترة من 1988–1991 الأدب الصيني بمعهد لوشيون بجامعة المعلمين ببكين بمرحلة الدراسات العليا. نشر منذ عام 1987 بمجلة "أدب الشعب" الصينية عددا من الأعمال القصصية مثل "البُرج"، "السَرية الجديدة"، "جهة العمل" وغيرها من الأعمال التي تصور الحياة في المدينة الصينية من خلال أسلوب نقدي ساخر عبر عن اتجاه الكاتب في تناول القضايا الحياتية لأبناء الشعب الصيني، وانحيازه لجمهور البسطاء في هذا المجتمع، والتعبير عن معاناتهم وآلامهم التي كان قريبا منها من خلال تواصله الدائم مع المهمشين والبسطاء في المجتمع الصيني.

وأضاف "كغيره من أبناء جيله من الروائيين الصينيين المعاصرين، يتخذ ليوجين يون من مسقط رأسه مدينة يانجين بمقاطعة خه نان مسرحا للكثير من أعماله، فتميزت أعماله بلغة وأسلوب فكاهي يحمل طابع خه نان. ولا يكاد يخلو عمل من أعماله من التغني بتاريخ وثقافة وعادات وحياة أهل خه نان. حصلت قصته 'البُرج' على جائزة أفضل قصة قصيرة 1987–1988. أبدع ليوجين يون عددا كبيرا من الأعمال القصصية والروائية التي حازت تقدير النقاد والقراء في الصين وخارجها من خلال ترجمة عدد من أعماله إلى اللغات الأجنبية. تم ترشيحه مع عدد من الروائيين الصينيين المعاصرين لجائزة نوبل في الآداب. من أهم اعماله روايات 'جهة العمل'، 'السَرية الجديدة'، 'البُرج'، 'المسؤول'، 'لستُ خائنة' و'رُب جملة بعشرة آلاف جملة'. توجت أعماله بحصول روايته 'رُب جملة بعشرة آلاف جملة' على جائزة مادون الأدبية (نوبل الأدب الصيني) في دورتها الثامنة عام 2011. ترجمت أعماله إلى اللغات الإنكليزية، الفرنسية، الألمانية، اليابانية، الكورية، الروسية، الإسبانية، المجرية، الفيتنامية وغيرها من اللغات الأجنبية".

ورأى د.حسانين فهمي أن ليوجين يون يتميز بين أبناء جيله بأعماله التي تغوص في الواقع الصيني المعاصر، وتهتم بتحليل العوالم النفسية للشخصيات، وخاصة تلك الفئات الاجتماعية القريبة من الكاتب، وذلك بأسلوب ساخر يسلط من خلاله النقد للكثير من سلبيات الحياة اليومية المعاصرة في الصين، بأسلوب يجعله قريبا من تيار الواقعية النقدية الساخرة التي تميزت بها أعمال لوشيون (1881–1936) رائد الأدب الصيني الحديث (1919–1949) وعميد القصة الصينية، صاحب الأعمال القصصية المعروفة "يوميات مجنون" و"قصة آكيو الحقيقية" و"الدواء" وغيرها من الروائع القصصية، وقريب في الوقت ذاته من الأسلوب الفكاهي الساخر الذي تميز به الروائي والمسرحي الصيني المعروف لاوشه (1899–1966) صاحب مسرحية "المقهى" ورواية "الجمل شيانغ تسه" وغيرهما من الأعمال. ليؤكد على ما ذكره أكثر من كاتب من أبناء جيله من تأثرهم الواضح بكتابات لوشيون وغيره من رواد الأدب الصيني الحديث، أو كما ذكر مويان في حوارنا معه عقب فوزه بنوبل الآداب 2012 "يتميز الأدب الصيني الحديث والمعاصر بمحافظته على التواصل بين الأجيال المتلاحقة، فكان لإبداعات الكتاب الصينيين الممثلين للأدب الصيني الحديث قبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية وعلى رأسهم لوشيون، كان لهم تأثير واضح على إبداعات عدد من الكتاب المعاصرين الذين أنتمي إليهم. فقد استطاع لوشيون أن يفتح أمامنا الطريق للكتابة في الواقعية النقدية، ووضع أمامنا عددا من الموضوعات الأدبية الهامة التي استطعنا أن نكتب فيها، وخاصة في ما يتعلق بالاهتمام بالإنسان البسيط ومشكلاته الحياتية".

وأشار إلى أن "الموبايل" نالت منذ صدور طبعتها الأولى في الصين عام 2003 تقدير النقاد والقراء الصينيين، وأشاد بها عدد من كبار نقاد الأدب الصيني. كما حققت الرواية نجاحا كبيرا داخل الصين، وتم تحويلها لفيلم سينمائي في نفس العام الذي صدرت فيه طبعتها الورقية في عام 2003، حمل نفس الاسم "الموبايل"، من إخراج المخرج الصيني المعروف فينغ شياوقانغ وبطولة النجم الصيني قه يوو. حقق الفيلم نجاحا جماهيريا كبيرا، وحصد الفيلم والبطل قه يوو جوائز عدة.

وانتشر في المجتمع الصيني آنذاك عدد كبير من التعبيرات التي جاءت على لسان البطل والشخصيات الرئيسية في الفيلم (الرواية)، مثل "أنا في اجتماع دلوقتي"، "مش عارف تتكلم"، "خلاص أنا هاتكلم وأنت أسمعني"، "أنت كنت شقي قوي إمبارح". بل وقيل إن الرواية ثم الفيلم كانا سببا لقيام عدد كبير من الزوجات والصديقات في الصين بمراقبة هواتف أزواجهن وأصدقائهن، خشية أن يكون بها مثل ما احتوى عليه موبايل يانشوإي بطل العمل. وإن كان هذا حدث قبل انتشار تقنية الهواتف الذكية والانتشار الواسع لشبكات التواصل الاجتماعي المختلفة، فكيف ستكون "القنابل الموقوتة" التي ستنفجر بسبب الموبايل بتقنياته الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي وبرامج "الشات"؟ وتم تحويل الرواية كذلك إلى مسلسل تلفزيوني بنفس الاسم في عام 2010، تم عرضه في أربع محطات صينية (محطات بكين، شينجين، الشرق وجه جيانغ) من بطولة النجم الصيني وانغ جه ون والنجمة كه لان والنجم تشين داومينغ والنجمة ليو بيي.

روائي لامع وروايته «الموبايل» اعتبرت فتحاً في الادب الصيني الحديث

> «الموبايل» نالت منذ صدور طبعتها الأولى في الصين عام 2003 تقدير النقاد والقراء الصينيين، وأشاد بها عدد من كبار نقاد الأدب الصيني. كما حققت الرواية نجاحا كبيرا داخل الصين، وتم تحويلها لفيلم سينمائي في نفس العام الذي صدرت فيه طبعتها الورقية

رف الكتب

الأخوات الثلاث

❏ تُعد إجلال أيدن واحدة من كاتبات الجيل الجديد الذي يخطو بقوة وثقة داخل المشهد الإبداعي التركي. أصدرت من قبل روايتين لاقتا رواجا على المستوى النقدي، وأيضا على المستوى الجماهيري، حيث حققتا نسبة توزيع عالية. ترصد إجلال أيدن في روايتها الأخيرة "الأخوات الثلاث" حكاية ثلاث فتيات هن: توركان ودونوش وداريا؛ ثلاث أخوات تتبدّل بهم سفينة الحياة بصعوباتها. تكشف عبر هذه العلاقات والمصائر المتبدّلة عن التحولات التي حدثت على مستوى الواقع. الرواية بدأت أحداثها في أحد أزقة أيوليك إحدى مقاطعات "بالي كثير" على بحر إيجه، ثمّ تمتدّ إلى مدينة إسطنبول وتتسع رؤيتها لتكون رواية ذات طابع قومي. الرواية اجتماعية في المقام الأول، تعتني بالعلاقات الأسرية، والعلاقات المتوترة بين الجميع، سواء على مستوى صلة القرابة أو العلاقات الذكورية، ومن هذه الزاوية تتصل بالقضايا النسوية، ومشاكل المرأة في المجتمع الذكوري، وإن كان بسرد سلس مشوّق، وعلاقات عاطفية وأسرية قوية.

الغازي مصطفى كمال أتاتورك

❏ تقترب حكاية "الغازي مصطفى كمال أتاتورك" لإيلبر أورطايلي، من السيرة الذاتية الأدبية، ويتناول فيها المؤلف حياة القائد الغازي مصطفى كمال أتاتورك من كل الجوانب، التاريخية والنفسية وأيضا الاجتماعية. يبدأ بتتبع هذه المسيرة منذ نشأتها، ذاكرا الأصول العائلية لمصطفى كمال، وكذلك يتطرق المؤلف إلى تعليم أتاتورك العسكري في "اقابينده"، وسنوات الدير، وعصر النواب، والاتحاد والترقي، والسلطان عبدالحميد الثاني، وأنور باشا، وضياء جوك ألب، وطرابلس غرب، وحروب البلقان، وسنوات صوفيا. ويستعرض الاتفاقيات التي تمت في الحرب العالمية الأولى في الجبهة بين دول الائتلاف الثماني وبين الجيش التركي، والنصر في "جاناق قلعة"، وكوت العمارة، ومندروس، والأمير الأخير وحيدالدين. يستعرض المؤلف عبر الراوي الأنا الذي يسرد على لسان أتاتورك العديد من الأحداث المهمة، كصراعه مع "إينونو"، ومؤتمر "لوزان" وصولا إلى إعلان الجمهورية. يصف المؤلف أتاتورك بأنه حامي تركيا الحديثة. ومع المعلومات التاريخية التي أوردها المؤلف إلا أن أسلوبه يقترب من الأدبية التي تقرب النص إلى الأعمال الذاتية.

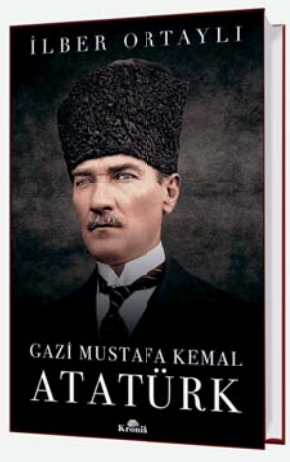

صرخة خطاف

❏ أحمد أوميت واحد من الأسماء الروائية التركية التي صارت لها مقروئية كبيرة داخل تركيا، وكذلك في العالم العربي بعد ترجمة بعض أعماله مثل: اغتيال السلطان، وباب الأسرار. تتميّز أعماله بالحس البوليسي والتشويقي. وفي روايته الجديدة "صرخة خطّاف" يسود هذا العالم بكل أجوائه عبر حكاية معاصرة عن الواقع المتأزم حيث الحروب واللجوء، وهو ما أدّى إلى شيوع تجارة خطف الأطفال. هنا يتتبع مصير مجرم محترف تسبب في قتل 12 شخصا، ومع الأسف لم يتم القبض عليه، ثمّ تتكرّر الحوادث مرة ثانية في عام 2017. عبر هذه الحادثة ينسج حكاية متخيّلة عاكسا من خلالها مشاهد مؤلمة وواقع مرير للعديد من الشخصيات الهاربة من جحيم الحروب. عبر البحث والتنقيب الذي يجيده أحمد أوميت نكتشف أن هؤلاء المجرمين هم نتاج طفولة بائسة، وبالأحرى نتاج خطايا الآخرين.

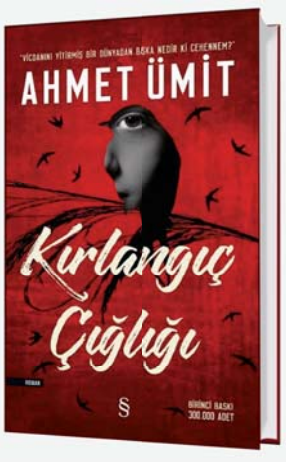

الفيلسوف لا يعيش في برج عاجي

دردشة مع مراد وهبة على ضفاف الفلسفة

محمود شرف
كاتب من مصر

❑ من دون الفلسفة تصبح الحياة بلا قيمة. هكذا يجيب الدكتور مراد وهبة، المفكر المصري المرموق، وأستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس القاهرية، على سؤال حول أهمية الفلسفة في حياتنا، ومدى جدواها، من حيث أنها وعاء الفكر الذي يفترض به أن يؤطر التفكير، ويرتب العقول؛ حتى تتمكن من صناعة الفارق في هذه الحياة. ومن أسف أن العالم العربي يعاني بشدة في هذا الإطار، حيث نفتقر إلى الإسهامات البناءة في مجال الفلسفة العالمية منذ عقود طويلة، أو بالأحرى قرون كثيرة، ومن ثم نلمس تفاوتا رهيبا بين العقل العربي والعقل الغربي، ذلك الذي استطاعت الفلسفة أن تنشئه على أهمية التفكير العقلاني الذي يؤدي بالمجتمع إلى التطور والنمو، ومن ثم إلى الحداثة، وما بعدها أيضا. توقف الاجتهادات الفلسفية العربية حال بين العرب وبين التفكير الإبداعي الذي يصنع التقدم، وأدى إلى تحكم الجمود والرجعية في تيار، أصبح يمثل الكتلة الأكبر من أبناء هذه المنطقة؛ فظهرت بالتالي الحركات الأصولية، التي تعتنق مبادئ التكفير، ونفي الآخر، ومحاولات محوه الدّائبة.

حول هذه الفكرة، وأفكار أخرى، يدور هذا الحوار مع المفكر مراد وهبة، مؤسس ورئيس منتدى ابن رشد، ليجيب عن تساؤلاتنا حول كيفية الخروج من ربقة الهدم، إلى آفاق البناء.

■ متى يصحُّ أن نطلق على شخص ما أنه فيلسوف؟

● إذا كان صاحب مذهب، سواء كان المذهب مفتوحا أو مغلقا، ومن أجل أن يكون لديه هذا المذهب لابد له أن يمتلك فكرة محورية، وأفكارا أخرى ترتبط منطقيا بالفكرة الأساسية، وتدور في فلكها، هكذا يتأسس المذهب، وله أن يختار بين أن يكون مذهبه مفتوحا أو مغلقا.

> إذا استمتع المرء بإبطال إعمال العقل، وإذا ارتضى بإراحة عقله، بعيدا عن إطلاق التساؤلات حول مصيره، وحياته وجدواها، أيضا إذا استكان للتفسيرات البسيطة التي يوفرها له الحس المباشر بالأشياء، عندها يكون الإنسان أصوليا

■ ما هي الاختلافات التي رصدتها عبر تجربتك بين الفلاسفة، بغض النظر عن مسألة المذهب؟

● حسب تصوري، ومعايشتي للفلاسفة، وجدت أن مقولة إن الفيلسوف يعيش في برج عاجي، تلك المقولة المنتشرة عنهم، هي مقولة خاطئة، فأغلب الفلاسفة من السياسيين، هناك علاقة وثيقة بين الفلسفة والسياسة، وبالتالي هناك انغماس كلي بالحياة، وإذا أردت أن تعرف الاختلافات بينهم انظر إلى توجهاتهم السياسية. هناك مثال: أفلاطون، كان دكتاتورا، يؤمن بالثبات، ويرفض التغيّر، يستبعد كل من هو مختلف من الفلاسفة الآخرين، كان يناصر النظام الطبقي، كان أستاذا لحاكم في صقلية، الذي استعان به كمستشار، هناك أيضا أرسطو الذي كان مستشارا للإسكندر الأكبر، وهكذا، الاختلافات بينهم تنبع من اختلافات التوجهات السياسية في المقام الأول.

■ من أبرز الموضوعات التي شغلتك طويلا: مسألة الأصوليات الدينية، واليوم يعاني العالم بأسره من هذه القضية الشائكة، فما الذي استخلصته خلال رحلة البحث في هذا المجال؟

● نعم، انشغلت بالأصوليات الدينية لفترة طويلة، ودعنا أولا نتعرف على معنى الأصولية الدينية، التي بدأت تظهر كتيار في أوائل القرن العشرين، منذ 1909 حتى 1915، حيث نشأ تيار بالكنيسة البروتستانتية يتناول النصوص الدينية بشكل حرفي، لا يجوز معه إعمال العقل، كانت هذه النزعة قد بدأت قبل هذا التاريخ بزمن بعيد، لكن المصطلح نفسه ظهر في الفترة التي أشرت إليها، وتشكّل داخل إطار تيار محدّد، واضح، ووزّعتْ قيادات الكنيسة شرحا لأسس هذا التيار، وزعت من هذا الكتاب ما يزيد على ثلاثة ملايين نسخة، دعت فيه إلى إبطال إعمال العقل إزاء النص الديني، حتى أنها قالت بأنه يتحتم رفض النظريات العلمية التي يتضح معارضتها للنصوص الدينية، حتى وإن ثبتت صحتها بشكل أكيد! من هذا المنطلق، مثلا، رفضت نظرية النشوء والارتقاء، على الرغم من إيمان داروين بالله كما يذكر. رُفضت أيضا نظريات أخرى ثابتة بناء على هذا التوجه، ثم بدأت الأصوليات تتغلغل في بقية الأديان منذ منتصف سبعينات القرن الماضي.

■ ما هي الأسباب التي تؤدي بالبعض لاعتناق الفكر الأصولي من واقع تجربتك الفلسفية؟

● إذا استمتع المرء بإبطال إعمال العقل، وإذا ارتضى بإراحة عقله، بعيدا عن إطلاق التساؤلات حول مصيره، وحياته، وجدواها، أيضا إذا استكان للتفسيرات البسيطة التي يوفرها له الحس المباشر بالأشياء، عندها يكون الإنسان أصوليا، وبالتالي هو يرضخ للتفسيرات الدينية للأشياء؛ بسبب أنها تجعله يركن لهذه التفسيرات مطمئنا، ببساطة، دونما حاجة إلى أن يبذل جهدا في الوصول إلى حقيقتها، يكفي أن يُقال له إن الله يقول كذا، حتى لو لم يتثبت من صحة تفسير النص الذي هو بصدده؛ ليريح نفسه. وهو أمر متّصل بأسلوب التنشئة في الأسرة نفسها، حيث يُجبر الطفل على أسلوب السمع والطاعة، دون السماح له بالنقاش والفهم، وهو ما يؤدي به في الأخير ليكون فريسة سهلة للوقوع في براثن الأصولية.

■ على ذكر العوامل المساعدة على وجود الأصولية، أين تكمن القوى التي تفرز الأصولية بالأساس؟

● نحن نعيش في الكون، لا نعرف من أين أتينا، ولا إلى أين نذهب، يموت البشر، ولا نعرف إلى أين ذهب من مات؛ لذا نبحث، نحن البشر، طوال مسيرتنا في الحياة عن الأمن والطمأنينة، وفي هذا يستخدم البشر أسلوبين، هما: أسلوب الأسطورة، وردّ الأشياء إلى الغيبيات، بكل ما يعرفه هذا الأسلوب من شعارات، من مثل: القسمة والنصيب، المكتوب على الجبين، وغيرهما من عبارات مستهلكة في هذا الإطار، وهو أسلوب مريح وقتيا، يعمل بأسلوب الدواء المسكّن، أما الثاني فهو أسلوب البحث، ومحاولة المعرفة، وهو أسلوب مزعج، يسبّب القلق، لا يمكن إزاء معتنقيه أن توقفهم عند حدود معينة للأسئلة، ويحاولون البحث عن إجابات لها. التطوّر الحضاري مزعج، والتطوّر الحقيقي للحضارة بدأ بعد عصر الزراعة، فالحياة الزراعية حياة مستكينة، مسالمة، ليس لديها ذلك النوع من الأسئلة المقلقة، الفلاح فيها يبذر الأرض وينتظر القوة الإلهية التي تخرج له النبات والثمار، ويغلب على هذا النمط الفكر الأسطوري، والاستقرار ممتع للبشر من خلاله، الهزة الحقيقية التي حدثت كانت بسبب دخول البشر إلى عصر التصنيع، والثورة الصناعية، الذين يرغبون في الاستقرار عارضوا هذه الثورة. ودعني أذكر مسألة موحية في هذا الإطار، سيد قطب لديه كتاب عنوانه "المستقبل لهذا الدين"، يشرح فيه أن هناك مرضا عقليا أصيبت به أوروبا، وهو الشيزوفرينيا، سماه الفصام

مراد وهبة: تحرير العقل العربي منوط بالمثقفين

النَّكد، ويعني لديه: الانفصال عن الحياة، يقول إن أوروبا انفصلت عن الحياة ابتداء من الإصلاح الديني، والثورة الصناعية، والتنوير بالتالي، ويرى أنه لابد من إعادة أوروبا عن هذا الطريق، والعودة إلى الزراعة مجددا؛ لكي يعتدل ميزان الكون، ولكي نتمكّن من هداية أبناء هذه القارّة!

■ لماذا يعتقد البعض أنهم مبعوثون إلهيون لهداية البشر، وأنهم هم الوحيدون الذين يحق لهم أن ينصت إليهم الآخرون؟

● سأجيب على هذا التساؤل بطريقة غير مباشرة، كنت قبل أن أختار طريق الفلسفة قد اخترت أن أدرس علم النفس، وبالذات علم النفس المرضي، كان الدكتور يوسف مراد في آخر سنواتي الدراسية قد وصله كتاب لعالم نفسي أجنبي كبير، عن الآلهة والأرواح، وقد طلب مني أن ألخص الكتاب لكي ينشر هذا الملخص، قرأت الكتاب، واستمتعت به جدا، احتوى الكتاب على نماذج لأشخاص أصيبوا بالبارانويا، وقد استهواني هذا الأمر لكي أبحث فيه، واخترت موضوعا للماجستير بعد ذلك بعنوان "الهذيان الديني"، وذهبت بالفعل أكثر من مرة إلى مستشفى الأمراض العقلية، بالعباسية، التقيت هناك شخصا يدعي أنه إله الكون، التقيته مرارا، على مدار ساعات طويلة، ودارت بيننا مناقشات طويلة، وفي اللقاء الأخير، بعد مرور أكثر من أربعة أشهر، طلب مني أن أنشر إعلانا بالجريدة، أقول خلاله إن إله الكون محتجز في مستشفى الأمراض العقلية، وإنه يطلب أن يُفرج عنه لكي يتمكّن من نشر رسالته للبشر! كان قد طلب مني هذا الطلب قبلها، لكني لم أكن أولي الأمر أهمية، في هذه المرة هددني بعدم استقبالي مجددا إذا لم أنفذ رغبته، فقلت له: بما أنك إله؛ فمن السهل أن تصنع معجزة بسيطة تجعلك حرا، خارج أسوار المستشفى. فردّ عليّ ردّا عجيبا، حيث قال: أنا إله الكون، لكني إله نظام، ولست إله فوضى، فبما أن هناك نظاما يسيّر حركة الحياة فلابد لي أن أخضع له أنا أيضا! وبما أن هناك قانونا يحكم مسألة خروجي من هنا؛ فلابد أن أخرج بالقانون وليس بمعجزة!

رغم أنك كنت معجبا بأفكار كانط إلا أنك ذكرت في كتابك "مسار فكر" أن فلسفته فلسفة مغلقة، لا تفتح مجالا للحوار والجدل، وأن من يريد أن يسبر أغوارا أعمق في مسار الفكر لابد أن يتخلى عن كانط!

حينما كنت طالبا كنت مهتمّا بالقراءة لاثنين من الفلاسفة، هما كانط وبيرجسون، والمعروف أن لكل فيلسوف مذهبا، به مجموعة من الأفكار التي تنتظم داخل إطار هذا المذهب، ولك أن تقبل تلك الأفكار مجتمعة، أو ترفضها، أيضا، مجتمعة، على اعتبار أنها اتجاهات مغلقة، لا تذهب أبعد ممّا وصل إليه صاحبها. بيرجسون كان لديه توجّه مغاير، إذ يرى أن المذاهب الفلسفية يمكن أن تحتمل فكرة بقائها مفتوحة النهايات، فاجأني رأيه، ودفعني إلى البحث في تاريخ الفلسفة أكثر، وجدت أن كل عصر كان يحمل داخله تيارين فلسفيين: تيار يناصر الأفكار المغلقة التي أشرت إليها، ويتبنّى النظريات المنتهية، التي تضم أفكارا تم اختبارها، وتم الوصول إلى نتائج من خلالها تؤسس لهذا المذهب، ولا تسمح بمزيد من النقاش حولها، وهو ما يندرج تحت مفهوم المطلق، التيار الثاني كان على العكس، يضع أفكارا قابلة للنقاش، وتسمح بالمزيد من الحرية في التناول، وهو ما يندرج تحت مفهوم النسبي. هذا أفادني كثيرا في طريقة تفكيري، وجعلني أنتبه للعلاقة بين ما هو مطلق وما هو نسبي.

بدأت في الماجستير بكانط، صاحب المذهب المغلق، وانتهيت في الدكتوراه ببيرجسون، وهو صاحب المذهب المفتوح، وانتقلت بعدها لرصد العلاقة بين ما هو نسبي وما هو مطلق.

■ أخيرا، كيف يمكن الإفادة من وجهة نظرك من تطبيقات الفلسفة على حياتنا؟

الفلسفة مسألة حيويّة، دون فلسفة تصبح الحياة بلا قيمة، فالفلسفة تمنحك الوعي بالحياة، وبالمسار الذي تقطعه، وبناء على هذا إذا كنت لا ترغب في امتلاك الوعي بوجودك في الكون، وبمكانتك داخله؛ إذا أنت لست بحاجة إلى الفلسفة، لكن ستكون متخلّفا حينها، إذا أردت أن تكون متطوّرا فلابد أن تنشغل بالفلسفة؛ لذا حينما نريد أن ندرس الفلسفة فلابد أن تُدرس من خلال علاقتها بالحياة، لا كنظريات جوفاء، كما هو حادث الآن، للأسف. ومسألة الإفادة من تطبيقات الفلسفة تعود إلى المثقفين، الذين يجب عليهم أن يتحملوا مسؤولياتهم تجاه المجتمع في هذا الإطار.

بعض أعمال المفكر خلال نصف قرن من طرح الأسئلة

أثمان البشر في السوق

الإنسان بوصفه سلعة رابحة

ناجح العبيدي
كاتب من العراق

❑ يقال عادة "الإنسان أغلى رأسمال". لكن هذه العبارة التي تهدف إلى إبراز دور العامل البشري في التنمية الاقتصادية والاجتماعية توحي أيضا بأن للإنسان قيمة سوقية يمكن قياسها بالعملات النقدية كالدولار والدينار مثله مثل السلع الأخرى. فالرأسمال، كما هو معروف، يتجسد بأشكال عديدة كالأصول الثابتة والمتداولة لدى الشركات وهي كلها سلع تُباع وتُشترى. وكذلك الرأسمال النقدي الذي يتمثل سعره في الفائدة التي يدفعها المقترض للبنك. لكن هل يمكن حساب سعر الإنسان بالوحدات النقدية؟ وما هي الطرق التي يمكن اعتمادها للتوصل إلى نتيجة مقبولة؟

صحيح أن هذه الفكرة تبدو مستهجنة ومنافية للأخلاق والقيم الاجتماعية المتعارف عليها وتناقض أفكار فلسفة التنوير وتثير اعتراضات منظمات حقوق الإنسان، إلا أن الواقع يشير بالفعل إلى أن جهات ومؤسسات حكومية وخاصة تتعامل مع حسابات وأرقام تتعلق بالقيمة النقدية لحياة الإنسان وعمره وجسمه. ليس المقصود بهذا تجارة العبيد وأسواق النخاسة التي لم تختف تماما من على وجه الأرض، كما أثبت ذلك ما فعله تنظيم الدولة الإسلامية داعش مع الفتيات والنساء الإيزيديات في شمال العراق، والأسعار (الفدية) التي طالب بها لفك أسرهن والتي بلغت بحسب الناشطة الإيزيدية وعضو البرلمان العراقي فيان دخيل 40 ألف دولار للأسيرة الواحدة.

ولا المقصود بذلك أيضا المتاجرة بنساء البلدان الفقيرة من قبل عصابات البغاء وإجبارهن على العمل في سوق الدعارة في أوروبا الغربية وغيرها. مهما كانت هذه الظواهر بشعة ومقززة للحس الإنساني فإنها تبقى في نهاية المطاف ثانوية واستثنائية لا يمكن تعميمها على عمليات التبادل السلعي في الأسواق. غير أن هناك مجالات أخرى "شرعية" يبدو فيها الإنسان وكأنه سلعه لها سعر يتحدد حسب العرض والطلب.

اشترت قطر قبل أسابيع قليلة اللاعب البرازيلي نيمار من ناديه السابق برشلونة في صفقة خيالية بقيمة 222 مليون يورو. بعد دفع هذا المبلغ الخيالي أصبح الآن نجم كرة القدم ملزما ببيع مهاراته الرياضية -أو قوة عمله بالمعنى الماركسي- لناديه الفرنسي والممول قطريا باريس سان جرمان. من جهته يقوم النادي الجديد بإظهار هذا الرقم في حساباته المالية في جانب الأصول كقيمة معنوية (غير مادية).

وعلى الرغم من أن هذا المبلغ الضخم دُفع نظير سرعته في التلاعب بالكرة، إلا نادي سان جيرمان مُلزم من الناحية المحاسبية أن يظهره في ميزانيته الختامية كأصل ثابت "غير متحرك" مثله مثل المباني والآلات الأمر الذي يعني أن هذا الأصل المعنوي يخضع للاندثار السنوي.

وكما يُقسم سعر الآلة على عمرها الافتراضي (مثلا 10 سنوات) فإن "سعر" نيمار يقسم على 5 سنوات. وهكذا تتناقص سنويا قيمة نيمار في الميزانية كل عام بنسبة 20 بالمئة، بينما يمكن لقيمته السوقية أن تزداد أو تنقص بحسب لياقته البدنية وبراعته في تسجيل الأهداف. وفي كل الأحوال فإن نيمار الذي "سيندثر" محاسبيا وسيختفي من الميزانية في نهاية عام 2022، يأمل بأن يبقى يشغل الدنيا بأهدافه لسنوات أخرى طويلة.

لكن "سعر" "نيمار" يبقى حالة خاصة بقطاع صناعة النجوم، وإن كانت تداعياته كثيرة. مثل هذه المبالغ الخيالية في انتقال لاعبي كرة القدم لا تثير ضجة كبيرة داخل الأوساط الرياضية فحسب، وإنما تضع أيضا النظريات الاقتصادية عن القيمة والسعر على المحك.

ولو كان كارل ماركس حيا، لهز رأسه بالتأكيد حائرا لأن نظريته القائلة بأن العمل الحي هو المصدر الوحيد للقيمة، تبدو عاجزة تماما عن تفسير صفقة نيمار وغيره من نجوم الرياضة والفن والسينما.

إلى جانب ذلك تثير مثل هذه الصفقات تساؤلات عن الجانب الأخلاقي لتعاملات الأسواق في النظام الرأسمالي وتقدم حججا جديدة لمنتقدي الرأسمالية وللمحذرين من "انفلات الأسواق".

دية الإنسان

بعيدا عن أضواء الشهرة هناك تعاملات مالية كثيرة تفترض وجود سعر للإنسان، وبعضها يعود جذوره لعصور كنا نتصور أنها انتهت دون رجعة.

من دون شك تعتبر الدية التي لا تزال سائدة في قوانين بعض الدول في العالم الإسلامي أحد الأشكال الملموسة لتسعير الإنسان. ويستند رجال الدين وقوى الإسلام السياسي إلى النص المقدس، ومنه الآية 92 من سورة النساء (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ). لكن ما يثير الاستغراب حقا هو طريقة احتساب الدية التي لا يزال البعض يُقدرها بالإبل والبقر والغنم.

وإذا كانت المذاهب الإسلامية تتفق على أن دية المسلم تساوي 100 بعير وأن دية المسلمة نصفها أي 50 بعيرا، فإن الفقهاء يختلفون حول مقدار دية الذمي من أهل الكتاب كاليهودي والمسيحي، وهل هي مساوية للمسلم أم نصفها أو ثلثها؟ وفي ذيل القائمة تأتي دية المجوسي والمشرك والمرتد والتي لا تساوى في نظر بعض الفقهاء حتى بعير واحد.

وفي كل الأحوال فإن الكثيرين من ممثلي المؤسسة الدينية والمهتمين بالفقه الإسلامي لا يجدون حتى يومنا هذا غضاضة في اعتماد الإبل كوحدة قياس لقيمة الحياة البشرية في القرن الحادي والعشرين، طالما أنها وردت في حديث نبوي. كما أنهم لا يرون تناقضا بين وصف القرآن للإنسان كخليفة لله في أرضه وأن الله أمر الملائكة بالسجود له وبين مقارنته بدابة على الأرض.

لم يأت اختيار محمد للإبل مقياسا لدية الإنسان عن فراغ، وإنما جاء امتدادا لتقاليد وأعراف حقوقية عرفتها اليهودية والإمبراطورية الرومانية، لا سيما وأن المواشي تعتبر أول شكل للغطاء النقدي قبل استخدام الذهب والفضة. كما أن المواشي كانت ولا تزال تؤدي دور الأضاحي وهو شكل لتكفير الذنب أمام الرب.

وإذا كانت النصوص الدينية واضحة تقريبا في تحديد المقدار العيني للدية، فإن المشكلة التي تواجهها الدول المتمسكة بهذه الشكل البالي للعقاب مثل إيران والسعودية واليمن والسودان تكمن في تقدير سعر البعير أو الناقة لأن التعويض في ظل هيمنة اقتصاد السوق لم يعد عينيا وإنما أصبح نقديا حتى في هذه البلدان المستضيفة لسفينة الصحراء. وهي قضية لا تهم الضحية والجاني وذويهما فقط، وإنما تمس مباشرة مجالات أخرى وخاصة قطاع التأمين.

في منتصف عام 2011 أثار الرئيس الإيراني أحمدي نجاد لغطا كبيرا عندما أمر بمضاعفة سعر البعير في الجمهورية الإسلامية. لم يكن ذلك بالأمر الهين في دولة يُقتل فيها سنويا عشرات الآلاف ويُصاب مئات الآلاف في حوادث المرور. قبول قرار الرئيس المتشدد باعتراضات كثيرة، خاصة من قبل شركات التأمين التي حذرت حينها من أن ذلك سيعني إفلاسها.

وفي أواخر عام 2011 قررت هيئة كبار العلماء في السعودية بزيادة الدية للمسلم والمسلمة إلى ثلاثة أضعاف على خلفية تضخم أسعار الإبل في المملكة الأمر الذي دفع شركات التأمين لزيادة أقساط التأمين على السيارات لكي تستوعب الارتفاع في ديات قتلى الحوادث المرورية.

وفي العراق عادت الدية في سياق إحياء العلاقات والأعراف العشائرية في العقود الماضية حتى تحوّلت إلى سيف مسلط على رقاب الأطباء إذا ما عجزوا عن معالجة مريض حتى لو كانت الأسباب خارجة عن إرادتهم.

مبدأ التعويض المالي

انطلاقا من فكرة الدية الدينية قامت القوانين الوضعية الحديثة بتطوير مبدأ التعويض المالي، أي المبالغ التي تُدفع مقابل الألم والمعاناة والضرر النفسي والمادي. يُطبق مبدأ التعويض في حالات كثيرة، ابتداءً من الحوادث ومرورا بالاعتداء الجسدي ووصولا إلى جرائم القتل العمد وغير العمد.

وإذا كانت الدية ثابتة أبد الدهر بعدد الإبل المحددة لكل حالة، فإن التعويضات تختلف بحسب درجة الضرر والخسارة المالية المتوقعة نتيجة الوفاة أو فقدان وتلف أحد أعضاء الجسم الأمر الذي يفتح المجال واسعا أمام التفسيرات والتأويلات والتقديرات حول "قيمة" الجسد البشري. وهذا ما يتضح في التباين الشاسع في قرارات المحاكم في مختلف البلدان.

* لوحة: سعد يكن

الحرب التي قررت مصير العرب

مئة سنة على نهاية الحرب العالمية الأولى

فهمي رمضاني
كاتب من تونس

❑ بحلول سنة 2018، يكون قد انقضى قرن على نهاية الحرب العالمية الأولى، ذلك الحدث الذي لم يشهد له التاريخ مثيلا، حيث مثل منعرجا حاسما في تاريخ العلاقات الدولية كما ترتبت عنه جملة من الآثار والنتائج ساهمت بعمق في نحت المشهد الجيو-سياسي للعالم المعاصر. فمما لا شك فيه أن هذه الحرب الكونية قد عصفت بكل السائد والمألوف إذ تأثر بها وبصورة مباشرة أو غير مباشرة كل ركن صغير من المعمورة. ولعل كل من يريد اكتناه رمزية هذا الحدث والحفر في معانيه ودلالاته ودراسته دراسة مستفيضة سيلاحظ أن العديد من المسائل لم تحظ إلى اليوم باهتمام أقلام المؤرخين، وخاصة علاقة العرب بهذه الحرب الأوروبية، إذ من المتعارف عليه أنهم شاركوا فيها سواء كانوا مشاركة أم مغاربة على الرغم من أنه لم يكن لهم فيها ناقة ولا جمل. كما أن مصيرهم التراجيدي والدراماتيكي -والذي تبددت من خلاله جميع الأحلام العربية- ظل مرتبطا بما أقرّه المنتصرون في هذه الحرب. هذا هو الأمر الذي يجعلنا نلقي نظرة فاحصة على هذه العلاقة بعد مضيّ ردح لا بأس به من الزمن (قرن)، مستأنسين في ذلك بالمقولة البروديلية (نسبة للمؤرخ الفرنسي فرناند بروديل) التي ترى أن المؤرخ لا يمكنه فهم البنيتين الاقتصادية والاجتماعية وسبر أغوارهما إلا عبر "المدى الطويل" أي ضرورة توفر مسافة زمنية تخول له النظر والتحقيق الخلدونيين للحدث التاريخي إذ أن "الحاضر والماضي يضيء كلٌ منهما الآخر".

"الحرب العظمى" على نحو ما سميت به إبان اندلاعها أو "الحرب الأوروبية" كما سميت في الولايات المتحدة الأميركية، تعدّ أهم حدث هز أركان القرن العشرين. فقد ساهمت فيه عوامل متداخلة ومتناقضة لا يتسع المقام هنا لذكرها وتحليلها، فقط يمكننا الإشارة إلى ما ميّز الجوّ الدولي وخاصة الأوروبي منه من نزعة للسيطرة ورغبة جامحة للهيمنة على أكبر قدر من المستعمرات، وذلك تزامنا مع بروز الإمبريالية كمرحلة جديدة ميزت اقتصاديات البلدان الأوروبية. وقد انطلقت هذه الحرب من منطقة البلقان التي كانت تسمى "مخزن البارود" لتشمل العالم قاطبة خاصة بعد انضمام الولايات المتحدة الأميركية سنة 1917. في هذه الفترة كانت جل المنطقة العربية خاضعة إما للاستعمار الأجنبي وإما للسلطنة العثمانية: ففي المغرب العربي أحلّ الاستعمار الفرنسي سيطرته على كل من تونس والجزائر والمغرب، فيما خضعت ليبيا للاستعمار الإيطالي. أما المشرق العربي فهو الآخر قد كان يرزح بدوره تحت سيطرة السلطنة العثمانية التي كانت تمرّ بفترة ضعف شمل جلّ الميادين حيث عرفت آنذاك بـ"الرجل المريض" الأمر الذي جعل القوى الأوروبية تفكر في اقتسام تركة هذا الرجل وهو ما عرف في الأعراف الدولية "بالمسألة الشرقية". وقد أفرز هذا الضعف ولادة حركات معارضة ذات اتجاه قومي، حيث ميزت المشرق العربي آنذاك شبه يقظة قومية، كما تبلور كذلك موقف من الإمبراطورية العثمانية خاصة مع تزايد الإحساس بالانتماء العربي وذلك تزامنا مع ما كانت تعيشه منطقة المشرق العربي من حالة اختمار فكري تعود جذورها إلى نهضة القرن التاسع عشر. في مقابل ذلك نجد انتشار فكرة الجامعة الإسلامية التي كان يدعو إليها آخر سلاطين الدولة العثمانية، والتي كان لها صدى قويّ مشرقا ومغربا. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل كان للعرب وعي بما يجري على الضفة الأخرى من المتوسط؟ هل توقع العرب اندلاع حرب كونية؟

الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان هو أن الحرب الكبرى فاجأت العرب، إذ لم يتوقع أحد أن تسير الأحداث بتلك الوتيرة السريعة لتتحوّل الحرب من أوروبية إلى كونية شملت جلّ مناطق المعمورة. وعلاوة عن ذلك، فإن وسائل الاتصال الحديثة لم تكن متوفرة في بداية القرن العشرين على النحو الذي نعرفه اليوم، إذ من الصعب للعرب أن يتعرفوا عمّا كان يجري في الضفة الأخرى من المتوسط والإلمام بمختلف التفاصيل والجزئيات. كما أن الصحافة التي كانت الوسيلة الوحيدة لبناء الرأي العام هي في جلها صحافة عربية، إذ من النادر أن تفد جرائد غربية إلى المنطقة العربية: ففي تونس مثلا كانت الصحافة أغلبها مشرقية أو وطنية، وحتى لو افترضنا أن هناك اطلاعا أو إلماما بما يحدث في أوروبا آنذاك فقد ظل نخبويا مقتصرا على النخبة المثقفة من رجال الحركة الوطنية؛ كعلي باش حامبة والبشير صفر وآخرين، فيما بقي عموم الناس على دراية قليلة إن لم نقل منعدمة بالأوضاع الأوروبية. أما في مصر مثلا فقد كان هناك تأثير قوي للجامعة الإسلامية نظرا لارتباطها المتواصل بالمشرق الإسلامي كما أن الحضور الإنكليزي قد ساعد على تبلور وعي جنيني بأوضاع أوروبا قبيل الحرب. ولكن يبقى ذلك الوعي مقتصرا على طبقة صغيرة من المجتمع كما أسلفنا الذكر. وعموما لم يتوقع العرب اندلاع حرب بهذه السرعة ولذلك وجدوا أنفسهم بين فكي كماشة: إما الانخراط في الحرب إلى جانب السلطنة العثمانية وإما القبول بالتجنيد والمشاركة إلى جانب فرنسا وإنكلترا.

> مما لا شك فيه أن هذه الحرب هي حرب أوروبية بالأساس كانت نتيجة لتناقض المصالح الاقتصادية بين القوى التقليدية (فرنسا وبريطانيا) والقوى الصاعدة المطالبة بحظها من المستعمرات كألمانيا وإيطاليا. وعموما لم يكن للعرب ناقة ولا جمل في هذه الحرب، على الرغم من انخراط السلطنة العثمانية فيها إلى جانب ألمانيا

مما لا شك فيه أن هذه الحرب هي حرب أوروبية بالأساس كانت نتيجة لتناقض المصالح الاقتصادية بين القوى التقليدية (فرنسا وبريطانيا) والقوى الصاعدة المطالبة بحظها من المستعمرات كألمانيا وإيطاليا. وعموما لم يكن للعرب ناقة ولا جمل في هذه الحرب، على الرغم من انخراط السلطنة العثمانية فيها إلى جانب ألمانيا. ولكن ذلك لا يمنعنا من إلقاء نظرة إلى الرأسمال البشري العربي الذي شارك في هذه الحرب.

* لوحة: عدنان عبدالرحمن

الجائزة الأولى للقطة ميدان طلعت حرب بالقاهرة، بعدسة الفنان حازم خالد محمود

تعانق الماضي والحاضر بشارع المعز لدين الله الفاطمي بالقاهرة، بعدسة الفنان إسلام المنشاوي

مدخل إحدى غرف فندق «أدرير أميلال» في واحة سيوة بكاميرا الفنانة دينا المهدي

خارطة فوتوغرافية لمصر المعمارية والبشرية

معرض ومسابقة في القاهرة لكشف المعالم الحضارية

شريف الشافعي
كاتب من مصر

❑ **القاهرة** – تختصر المئات من الصور الفوتوغرافية لفنانين من أجيال وتيارات مختلفة ملامح وجه مصر الحضاري عبر العصور، في معرض جماعي مقام بالقاهرة، يتضمن لقطات احترافية لبنايات تراثية وتاريخية. وتبدو هندسة الماضي البعيد والقريب فاضحة لما اعترى الحاضر من فوضى.

لا تنتهي أحداث التاريخ المصري بانقضائها الوقتي، فالظرفية الزمانية المحددة لا تمنع امتداد اللحظات الفريدة إلى المستقبل من خلال شواهد راسخة مستقرة، منها الإرهاصات المعمارية التي تقاوم معول الهدم، محتفظة بسجل حافل لملامح الحياة وسيرة البشر، بدءا من عهد الفراعنة، مرورا بالحضارات اليونانية والرومانية والإسلامية، وعهود الاحتلال الأجنبي المتعاقبة، وصولا إلى عصر النهضة الحديثة في مطلع القرن العشرين.

وسجّل المئات من المصورين الفوتوغرافيين في معرض جماعي بالقاهرة ذلك النسيج المعماري التراثي المتنوع في القاهرة ومحافظات مصر المختلفة، في رحلة بصرية جادّة تسعى إلى تعزيز مفاهيم الانتماء وتعميق الهوية الوطنية.

"تراثي 3، عنوان المعرض الفوتوغرافي الجماعي الكبير الذي أطلقه "الجهاز القومي للتنسيق الحضاري" في مركز الهناجر للفنون بدار الأوبرا المصرية بالقاهرة على مدار أسبوع (6 – 13 يونيو)، ويشتمل على المئات من الصور الفوتوغرافية لمبدعين من أجيال وتيارات متباينة.

يأتي المعرض حصادا لمسابقة فنية في الفوتوغرافيا تدور حول تصوير "المباني التراثية" في مصر بلقطات احترافية بعدسة الكاميرا، وشارك في المسابقة 330 فنانا قدّموا 900 صورة لبوابات وبنايات ومنشآت معمارية عديدة في القاهرة وسائر المحافظات المصرية، تنتمي إلى عصور مختلفة.

التزمت الأعمال المشاركة، خصوصا الفئة المتميزة التي حصدت جوائز المسابقة وشهادات التقدير، بالأهداف التي أوضحها جهاز التنسيق الحضاري من وراء هذا الحدث الفني، ومنها الحرص على الحس الإنساني وروح الحياة في تصوير المنشآت المعمارية، وتعميق الانتماء بالبحث في شواهد مصر التراثية لإحياء هذه الكنوز وإعادة صياغتها بصريًا برؤى ومقترحات مغايرة مبتكرة، للحد من فوضى وعشوائية الحاضر الراهن.

يدور المعرض حول ثيمة "التراث"، وهو يختلف عن "الأثر"، وفق ما يوضحه المهندس محمد أبوسعدة رئيس مجلس إدارة التنسيق الحضاري، فالمباني التراثية (مجال المعرض) هي المنشآت ذات الطراز المعماري المتميز من وحدات مجمعة أو منفردة، التي تعكس سمات حقبة زمنية معينة أو عمارة تلقائية تعبّر عن بيئة محلية أو تتسم بالندرة والتفرد.

900
صورة لـ330 فنانا تعيد قراءة البنايات التاريخية والروح الإنسانية برؤى جمالية مغايرة

تندرج في هذا الإطار المنشآت المرتبطة بالتاريخ القومي أو بالأحداث والشخصيات التاريخية أو التي تعدّ من المزارات السياحية المتميزة بقيمتها الفنية، وتحوي هذه المنشآت تفاصيل فنية دقيقة وحسًا إنسانيًا رفيعا، هو الجانب الأهم الذي يجتهد الفنانون في إبرازه وتصويره. أما الآثار المعمارية، فلها مدلول مختلف، إذ تعني العقارات التي أنتجتها الحضارات المتعاقبة، حتى ما قبل مئة عام، والتي لها له قيمة أو أهمية تاريخية بحد ذاتها، بوصفها من تجليات ومظاهر الحياة بمصر.

ويعدّ الجهاز القومي للتنسيق الحضاري، من الأجهزة الحكومية المصرية، وتأسس في 2001، ويتبع وزارة الثقافة، ويُعنى بتنظيم أعمال هدم المباني والمنشآت غير الآيلة للسقوط والحفاظ على التراث المعماري، ومن اختصاصاته تحقيق القيم الجمالية للأبنية والفراغات العمرانية والأثرية، ومراعاة النسيج البصري للمدن والقرى وكافة المناطق الحضارية للدولة، والعمل على إزالة التشوهات الحالية.

جاء "معرض تراثي" منفتحا على سائر الفئات العمرية والاتجاهات الفنية، فلا توجد شروط ومحددات للاشتراك سوى الالتزام بالصيغة العامة التي تدور حول تصوير البوابات والبنايات والأحياء التراثية، وإبراز تجلياتها السحرية ومظاهر الحياة فيها، ولقاء الماضي والحاضر، دون أي نصوص مكتوبة، لتكون الصورة وحدها هي المعبّرة عن المشهد والرؤية الفنية.

من الأعمال اللافتة في المعرض لقطة تجسد مدخل فندق قصر الباويطي التراثي في منطقة الواحات البحرية بصحراء مصر الغربية، بعدسة عبدالحميد طاحون، فيكاد يستشعر الرائي أنفاس البشر في داخل البيت الحجري القديم، المطلي بالألوان الحية، ومن خلفه تسمو أفرع النخيل الخضراء في طريقها صوب السماء.

تناولت أعمال عدّة القاهرة التاريخية، خصوصا منطقة الجمالية وحي الحسين وشارع المعز لدين الله الفاطمي، وأبدع الفنانون في التقاط مفارقات التقاء الماضي المتجسد في البنايات التراثية، والحاضر المتمثل في البشر البسطاء ذوي الملابس التقليدية وأغطية الرأس، والأطفال المطلين من خلف المشربيات.

تجليات الروح الشعبية النابضة في شارع المعز التراثي منحت الفنان مصطفى الشربجي شهادة تقديرية عن عمله في ذلك المكان، كما جسد محمد فتحي مظاهر تفيض بالخصوبة، حيث الحوانيت العتيقة والحرف التقليدية في درب قرمز بحي الجمالية.

من جهتها، رصدت كاميرا منار مصطفى ببراعة طفلا يطل من المشربية في منطقة الدرب الأحمر بالقاهرة التاريخية، ولمس الفنان إسلام المنشاوي تعانق الماضي والحاضر في شارع المعز، وبدت الحوائط والجدران التراثية في حوار مع المارة الذين يرتدون العباءات والطرابيش.

وبلقطة تمثّل ميدان طلعت حرب التاريخي الشهير في وسط القاهرة استحق الفنان حازم خالد محمود الجائزة الأولى، ففي "الكادر" الموسّع تظهر جميع معالم الميدان وبناياته التراثية، وتمثال طلعت حرب الذي يتلقى أشعة الإشراق المنحدرة من وجه الشمس.

وبتصويره مصلحة الشهر العقاري التراثية في ميدان المنشية بالإسكندرية نال المصور فادي قدسي الجائزة الثانية، ونال الحسيني عبدالعزيز الجائزة الثالثة عن لقطة لقصر الأمير يوسف كمال في حي المطرية، ويعكس هذان العملان فخامة المعمار وجمالياته في الماضي، وتتكشف التفاصيل الثرية في البنايات الحضارية، على عكس الأبنية المعاصرة المحيطة.

هذه السمات المعمارية القديمة التي تعكس مناخا نهضويًا متكاملا، تجسدها كاميرا الفنان مصطفى الحسيني، التي التقطت صورة بارعة لقصر شامبليون في قلب مدينة القاهرة، كما يحيل إليها باب عتيق في منزل تراثي في مدينة المنيا رصدته بحساسية فائقة عدسة الفنان أحمد راضي.

اللقطة الفائزة بالجائزة الثالثة لقصر الأمير يوسف كمال في المطرية، بعدسة الحسيني عبدالعزيز

ويتجلى المعمار التراثي في مدخل إحدى غرف فندق "أدرير أميلال" في واحة سيوة بعدسة الفنانة دينا المهدي، وتعيد كاميرا الفنان محمد كمال قراءة تراسينا عمارات الحي الإفرنجي في مدينة بورسعيد على ضفاف قناة السويس.

معرض "تراثي 3" للصور الفوتوغرافية، إبحار شفيف عبر الزمان والمكان، تعود خلاله الكاميرا بصيد ثمين من خرائط مصر الأصيلة المزدهرة؛ معماريًا وحضاريًا وإنسانيًا، تلك الخرائط التي صارت مفتقدة في العصر الحديث، الذي أفسدته الفوضى والضوضاء وجارت عليه العشوائيات والإدارة السيئة.

مدخل لفندق قصر الباويطي في «الواحات البحرية»، بعدسة المصور عبدالحميد طاحون

جماليات الدراما البوليسية

تجربة يوسف الشريف في أربعة أعمال

ماهر عبدالمحسن
ناقد من مصر

❏ استطاع الفنان يوسف الشريف أن يحفر اسمه بقوة، ليصبح واحداً من أهم نجوم الدراما التلفزيونية المصرية، وصار له جمهور كبير يثق في اختياراته، وينتظر أعماله من السنة إلى السنة، لا سيما في شهر رمضان الذي أصبح بالنسبة إلى جمهور التلفزيون المصري والعربي شهر الأعمال الجديدة. وبالرغم من تأثر الشريف بالدراما الأميركية واتهامه أكثر من مرة بسرقة الأعمال الأجنبية إلا أننا، في كل الأحوال، لا نستطيع أن نغض الطرف عن تميز هذه الأعمال وتفردها وسط هذا الكم الهائل من المسلسلات التي تمطرها علينا الفضائيات في شهر رمضان من كل عام. كما أن التنوع في الموضوعات التي يقدمها الشريف وفريق العمل المتميز الذي يقف وراءها يجعلاننا لا نكتفي بالوقوف عند حدود النوع الدرامي البوليسي التشويقي الذي يميز هذه الموضوعات دون محاولة البحث عن رسائل مضمرة يمكن أن تحملها هذه الأعمال.

> بالرغم من تأثر الشريف بالدراما الأميركية واتهامه أكثر من مرة بسرقة الأعمال الأجنبية إلا أننا، في كل الأحوال، لا نستطيع أن نغض الطرف عن تميز هذه الأعمال وتفردها وسط هذا الكم الهائل من المسلسلات

في هذه المقالة سنحاول أن نقدم قراءة خاصة لأربعة مسلسلات قام يوسف الشريف ببطولتها وحققت نجاحات كبيرة، ونرى من وجهة نظرنا أنها تحتوي على دلالات تتجاوز مجرد الشكل البوليسي التقليدي، الذي يعتمد على الجريمة واللغز التي لا تحل إلا في نهاية الحلقات. وبدلاً من ذلك هي تقدم عالما غرائبيا تم بناؤه بعناية، وهو عالم غريب في تراكيبه، واقعي في مفرداته، تضيع فيه الهوية الثابتة من خلال جدلية عجيبة بين البناء والهدم، الوجود والعدم، بحيث تذوب الهويات، ولا تبقى سوى العلاقات التي تتغير بدورها، وفي كل مرة تجلب معها هوية جديدة، وبهذا المعنى لا نكون إزاء البنية (لغز – حل) ولكن إزاء البنية (لغز – حل – لغز – حل...) فالألغاز لا تنتهي، والحلول ما تلبث أن تتحول إلى ألغاز أخرى.

أما عن المسلسلات فهي: "رقم مجهول"، "اسم مؤقت"، "الصياد"، "لعبة إبليس".

رقم مجهول، أمان مفقود، واقع رخو

مسلسل "رقم مجهول" من إخراج أحمد جلال وتأليف عمرو سمير عاطف، يدور حول المحامي "علي" الذي يعمل في مكتب كبير للمحاماة ويعاني من ضائقة مالية نتيجة تأخره في دفع القسط الأخير من ثمن الفيلا التي اشتراها في التجمع الخامس، وأثناء ذلك يتورط في جريمة قتل في شقة بالمقطم، ثم يتلقى في اليوم التالي مكالمة هاتفية من مجهول يعرف تفاصيل الجريمة ويرسل إلى علي صوراً فوتوغرافية التقطت من مسرح الجريمة تثبت ارتكابه لفعل القتل. ثم تتوالى الأحداث المثيرة التي تصور ابتزاز صاحب الرقم المجهول لعلي ودفعه إلى ارتكاب المزيد من الجرائم من ناحية، وتصور رحلة علي في البحث عن صاحب الرقم المجهول من ناحية أخرى.

ومن خلال أحداث متشابكة ومرهقة نكتشف أن المجهول ليس مجرد رقم الهاتف المرعب أو صاحبه المزعج، لكنه حالة عامة تلف الوجود الإنساني وتسبب الخوف والقلق والحيرة لشخصيات المسلسل. فالمجهول الذي يواجهه علي هو ذلك الشخص الذي اقتحم الفيلا في أول مشهد من الحلقة الأولى من المسلسل، وهو الظلام الذي يطوق الفيلا ليلاً في مدينة جديدة نائية، وهو الماضي المشين الذي تخفيه عنه زوجته عندما كانت تدمن المخدرات، وهو زملاؤه في المكتب غريبو الأطوار، الذين يملكون أكثر من سبب لمحاصرته ودفعه إلى الهاوية، وهو أخيراً الجثة التي دفنها في الحلقة الأخيرة وتلقى العزاء على أنها لأخيه بينما هي لشخص آخر تم استبداله في اللحظات الأخيرة، دون أن يعرف علي أن أخاه ما زال على قيد الحياة، ويستمر في ابتزاز أناس آخرين لمواصلة الطريق الدامية التي بدأها معه.

في طريق البحث عن صاحب الرقم المجهول، يكتشف علي –الذي يعيش في فيلا في التجمع الخامس ويرتكب جريمة في شقة في المقطم– عوالم أخرى مجهولة وأناسا كثيرين مجهولين يعيشون على هامش المدينة، كالحشرات السامة تحت الأرض وداخل الشقوق في المناطق العشوائية المنتشرة في الأحياء الشعبية.

وفي ظل هذه الأجواء يكتشف علي أن الأمان ليس في وجود المسدس تحت ملابسه ولا في سيارته الفارهة أو فيلته الفخمة، ولكنه شعور داخلي متعمق في النفس الإنسانية، شعور يفقده الإنسان عندما يعجز عن الفهم، ويخيم المجهول على كل شيء.. تتطور المعرفة لدى علي لكن من مجهول إلى مجهول، فالضوء الذي يتم إلقاؤه على أي بقعة مظلمة هو نفسه الذي يكشف عن المزيد من الظلام، لأن الحقيقة أكبر من أن يستوعبها ضوء إنساني نسبي وشحيح، يدفع علي ثمن المعرفة غالياً، لكنه لا ينجح في حسم قضيته مع المجهول، الذي يأبى إلا أن يطمس ملامحه ويدفعه نحو الجنون.

الأمان يضيع عندما يتحول الواقع إلى شيء رخو، أشبه بالرمال المتحركة. فكل خطوة يخطوها علي من شأنها أن تغوص به في أعماق سحيقة لا يعلم مداها. هذا الواقع الرخو هو الذي يجعل الشخصيات هلامية باهتة، لا تستقر على حال، إنها جحيمه الخاص الذي ينفذ فيه عقوبته على ما ارتكبه من آثام في حياته الماضية التي ظنها حياة ملائكية بريئة. ليس الإنسان هو الذي يحدد الجريمة والعقوبة، لكن قوى أخرى مجهولة، قد تكون بعيدة تحركنا عبر مكالمات مجهولة على الهاتف، وقد تكون قريبة منا جداً بحيث تتوحد مع أنفسنا أو تفترق عنا قليلاً لتشاركنا قهوة الصباح الدافئة.

لا تقتصر رخاوة الواقع على الأحداث والشخصيات فحسب، إنما تمتد إلى القوانين والإجراءات التي تحكمنا بحيث يتحول مفهوم العدالة نفسه إلى كيان رخو، يتشكل تبعاً للأدلة والبراهين التي يتم اصطناعها بحرفية في مكاتب المحامين الكبار. فالجريمة والعقوبة والعدالة كلها مفاهيم نسبية ما تلبث أن تنهار مع تطور الأحداث ذات الطابع الوجودي المهترئ. فإما نرتضي الدخول في لعبة الميكانو وتبادل الأدوار، وإما نسقط في دوامة كبيرة من التيه والعدم.

اسم مؤقت، عالم زائل، يقين متصدع

في هذا العمل الذي أخرجه أحمد جلال وكتبه محمد سليمان عبدالمالك، يصل رجل الأعمال "يوسف رمزي" إلى مصر بعد رحلة عمل طويلة في الخارج لإستثمار أمواله في بلده الذي غاب عنه طويلاً من خلال دعمه لأحد مرشحي الانتخابات الرئاسية في ذلك الوقت، إلا أنه يتعرض لحادث مدبر يفقد على إثره الذاكرة، ويبدأ رحلة بحث طويلة ومضنية عن هويته الحقيقية.

وبالرغم من التيمة التقليدية التي يستهل بها المسلسل أحداثه إلا أن النظرة المدققة للتفاصيل الصغيرة في المسلسل من شأنها أن تنقلنا إلى مستوى من الفهم أعمق؛ فاختيار اسم الشخصية المحورية يوسف رمزي فيه إشارة صريحة إلى رمزية العمل ورمزية الشخوص والأحداث والتفاصيل، كما أن اختيار اسم المسلسل "اسم مؤقت" فيه أيضاً إشارة قوية وصريحة إلى صفة "التأقيت والزوال" التي تسم الذات والعالم والشخوص التي من حولنا. فيوسف رمزي يكتشف في كل خطوة اسماً جديداً كان يحمله، وبطاقة هوية مختلفة، وشخصيات عديدة ومتكررة، تلعب أدواراً مختلفة في حياته، يحدث هذا مع كل الشخصيات بدءاً من الأم، ومروراً بالحبيبة والصديق والزوجة والابنة والطبيب المعالج، وانتهاءً بسائق التوكتوك الذي كان يصطحب يوسف في رحلته البحثية المثيرة والدامية.

يكتشف يوسف أنه كان يعيش حيوات مختلفة في عوالم مختلفة، لاعباً أدواراً مختلفة بأسماء مؤقتة محيرة في أطوار عديدة أشبه بتناسخ الأرواح. يحدث هذا على المستوى النفسي والاجتماعي، وأيضاً على المستوى السياسي، فالأحداث تكشف لنا أن كل مرشحي الانتخابات الرئاسية ما هم في الحقيقة إلا مجموعة من الأسماء المؤقتة التي تؤدي أدواراً مؤقتة، تحركها قوى عليا تتحكم في الجميع في ظل غياب الإرادة الحرة، والحزب القوي، والشعب الواعي. فكلها عناصر تعمد السيناريو بذكاء إغفالها وإقصاءها تماماً من المشهد الدرامي الساخن. فهي عناصر توقفت عن أداء دورها الحقيقي، لأنها فقدت هويتها وذاكرتها مثل يوسف رمزي، لتصبح رمزاً لفقدان القدرة على الفعل والوقوع فريسة لقوى رد الفعل. إن أهم ما نجح فيه المؤلف، بعد إبرازه لفقدان الهوية وزوال العالم، إنما هو إبرازه لتصدع اليقين، فالعوالم التي كان يكتشفها يوسف ما يلبث السيناريو أن يهدمها ويقيم عوالم أخرى بالشخوص أنفسهم، لكن بأسماء جديدة وأدوار جديدة، الأمر الذي أربك يوسف وأفقده اليقين في نفسه وفي العالم وفي الشخصيات العزيزة التي كانت مقربة إليه، وهو الشعور نفسه الذي انتاب المشاهد وانتاب مرشحي الرئاسة عندما كشفت الحقيقة عن وجهها الخفي، الذي لا يمكن أن يراه أحد مهما بذل من جهد ومهما اقترب من مصدره.

إنها دوامة كبرى تبتلع الجميع، وليس ثمة من حقيقة ثابتة سوى الدوران في دائرة سديمية من التيه الممتد إلى ما لا نهاية. وليس أدل على ذلك من النهاية المعبرة التي ختم بها المسلسل أحداثه الغرائبية الملغزة، عندما خرج يوسف رمزي من المصحة التي كان يعالج فيها، على كرسي متحرك، يحمل بطاقة هوية جديدة باسم مؤقت جديد، ثم تنقله سيارة المصحة إلى حيث يسافر إلى عالم جديد، ليؤدي دوراً جديداً، في ظل نظرة ساهمة للوجود، وغياب كامل عن الوعي.

الصياد، عدالة عمياء وبصيرة غاشمة

في مسلسل "الصياد" الذي أخرجه أحمد مدحت وكتب له القصة عمرو سمير عاطف يقدم يوسف الشريف حلقة جديدة مثيرة ومشوقة في سلسلة أعماله البوليسية التي بدأها في "رقم مجهول"، وهو العمل الذي تأكدت به نجومية الشريف، وتحددت معالم الطريق الدرامية المميزة التي اختطها لنفسه وسط طوفان هائل من المسلسلات الرمضانية التي تجتاح المشاهدين في منازلهم كل عام.

تدور أحداث "الصياد" حول الرائد "سيف عبدالرحمن" الذي فقد بصره في معركة دموية أثناء قبضه على مجرم سفاح ارتكب عدة جرائم بطريقة واحدة وأطلق عليه اسم "الصياد". ورغم وفاة الصياد في هذه المعركة إلا أن الجرائم تتوالى بالطريقة نفسها لتحصد رؤوس العديد من رجال الشرطة، الأمر الذي يدفع أجهزة الأمن للاستعانة بالرائد سيف لمعرفة المزيد من المعلومات عن السفاح الملقب بالصياد.

وعلى غير عادة الدراما البوليسية، نشاهد دراما من نوع مختلف حيث يتم الكشف عن مرتكب الجرائم في الحلقة الثانية عشرة وليس الحلقة الأخيرة التي ينتظرها المشاهدون –عادة– بفارغ الصبر.

وهنا تأتي جمالية التلقي ومتعة المشاهدة من الرغبة في معرفة أسباب ارتكاب الجرائم بعد أن عرفنا الفاعل، خاصة أن الفاعل يرتكب جرائمه –كما في الدراما الأميركية– وفق خطة مسبقة محكمة، تستهدف أشخاصاً معينين بدافع الانتقام. وبالرغم من أن ذروة الإثارة وعنصر المفاجأة الأكبر يتحققان لحظة اكتشاف المشاهد أن الصياد هو نفسه الرائد الكفيف سيف عبدالرحمن، الذي فقد زوجته وطفلته الصغيرة بأيدي زملائه من رجال الشرطة الذين كانوا ينتمون إلى خلية سرية تتاجر بالسلاح، ورفض الاستمرار معهم، إلا أن هذه اللحظة المحورية هي النقطة المفصلية في العمل التي يمكن أن ندلف من خلالها لرسالة معرفية أبعد من مجرد البناء البوليسي التشويقي الذي تمت صياغته بدقة نجحت في إشباع رغبات المشاهد المتعطش إلى أجواء الغموض والإثارة.

> استطاع الفنان يوسف الشريف أن يحفر اسمه بقوة، ليصبح واحداً من أهم نجوم الدراما التلفزيونية المصرية، وصار له جمهور كبير يثق في اختياراته، وينتظر أعماله من السنة إلى السنة، لا سيما في شهر رمضان

فبالرجوع إلى بعض أسماء الشخصيات المحورية في المسلسل يمكننا أن نصل إلى شيء من المغزى والدلالة التي تحملها أحداث المسلسل. فالرائد سيف عبدالرحمن يشير اسمه المكون من مقطعين: "سيف" إلى قيامه بدور السفاح الجاني الذي يقتص من ضحاياه عن طريق الذبح بسكين حادة، وهي الطريقة نفسها التي قتلت بها زوجته وطفلته الصغيرة، و"عبدالرحمن" في إشارة إلى عدالة قضيته، وأنه يقوم بارتكاب كل هذه الجرائم بدافع تحقيق العدالة التي عجز القانون عن تحقيقها، يقوم بذلك وهو يثق في عدالة السماء وفي رحمة الله التي تسع كل شيء وهو ما سيتم التعبير عنه في مشهد النهاية المؤثر،عندما يلقى حتفه برصاص رجال الشرطة بينما يرسل ابتسامة رضاء للسماء، وتتداعى على ذاكرته الذاهبة في التلاشي صورة زوجته وابنته اللتين سيلقاهما في عالم آخر بدا أكثر عدلاً ورحمة.

اسم سلمى زوجة سيف يشير إلى حالة السلام التي كانت تعيشها داخل أسرتها الصغيرة السعيدة، وهو الاسم نفسه الذي عمد سيف أو الصياد إلى حفره بسكينه الحادة على ذراع ضحاياه من رجال الشرطة موضوع انتقامه. وكذلك اسم "طارق" الضابط الشاب الذي آل على نفسه أن يتولى مهمة القبض على الصياد الحقيقي، يتناسب مع كونه أول من أعاد طرق موضوع الصياد مجدداً بعد أن لقي حتفه على يد سيف وأغلق ملفه إلى الأبد.

بيت النابودة وجهة سياحية تفتح نافذة على مجد اللؤلؤ بالشارقة

تجديد المكان أفرز مزيجا بين سحر الماضي وروح العصر

معروضات تكشف عراقة المكان

حرص على التراث

مساحة شاسعة للتجول بين عبق الماضي

شواهد تختصر تاريخا كاملا

يقطع بعض محبي التراث والأشياء النادرة آلاف الأميال من أجل فرصة الاستمتاع بجولات بين بقايا معالم أثرية أو متاحف تاريخية، وقد فتحت مدينة الشارقة أبواب بيت النابودة الأثري، مجدّدا أمام السياح وعشاق الآثار، بعد عمليات ترميم شاملة استغرقت عدة سنوات، انتهت بوضع شاشات عرض تفاعلية وإقامة متحف لمعروضات تحكي ارتباط تجارة اللؤلؤ بالخليج.

كريشنا كومار
كاتب في العرب ويكلي

❑ **الشارقة** – يعتبر بيت النابودة، الذي أعيد افتتاحه بعد تجديده المكثف، بمثابة تحفة معمارية في عصره، وهو يقدم لمحة عن تاريخ اللؤلؤ في الشارقة.

ويقع هذا المنزل المكوّن من طابقين والذي تبلغ مساحته 1100 متر مربع في قلب الشارقة بالقرب من قلعة الشارقة والميناء والأسواق الرئيسية.

بني البيت عام 1845، وكان يملكه الأمير الإماراتي عبيد بن عيسى بن الشامسي، الملقب بالنابودة، أحد أبرز تجار اللؤلؤ في الخليج العربي، والذي امتدت شبكة أعماله من الخليج العربي إلى الهند وأوروبا. المنزل يعدّ شهادة على نجاحه في الأعمال التجارية ووضعه في المجتمع.

عززت قبل اكتشاف النفط في منطقة الخليج، صناعة اللؤلؤ اقتصاد الإمارات لعقود حتى انهارت في الثلاثينات مع ظهور اللؤلؤ المستزرع في اليابان.

وتم تحويل بيت النابودة الذي تمّ تجديده إلى متحف تحت سلطة متاحف الشارقة لعرض دور صناعة اللؤلؤ في إقامة الروابط التجارية الدولية بالشارقة، حيث يعرض المواد، وتقنيات البناء والأساليب المعمارية التي جعلت من المبنى المركز التاريخي للمدينة.

هيكل المبنى هو مسكن تقليدي في الشارقة مع فناء كبير محاط بجدران مبنية بالاستخدام المبتكر للشعاب المرجانية. كانت المواد الخام شائعة في المنازل الساحلية بالشارقة، حيث يعتمد البناؤون على العناصر المحلية، بما في ذلك الشعاب المرجانية والجبسية ونخيل التمر. تم استيراد مواد أخرى، مثل خشب الساج.

ويتميز بيت النابودة بخصائص معمارية وزخرفية وثقافية في كل من الجص والخشب من جميع أنحاء العالم مع وفرة من الأنماط الهندسية والزهرية عبر النوافذ والأبواب والجدران.

ويضم الطابق الأرضي غرفة نوم وساحة فناء فسيحة وبئر مياه، ويشمل الطابق الأول "المنزل الصيفي" وغرف النوم.

وزوّد البيت بمجموعة من شاشات العرض التفاعلية في جميع أرجائه، لإعطاء الزوّار فكرة قيّمة عن أهمية تجارة اللؤلؤ في الشارقة ومنطقة الخليج بأكملها، وجُهز المنزل –في سبيل تقديم شرح أكثر تفصيلا– بغرفة خاصة تحتوي على جهاز عرض يقدّم فيلما قصيرا يحكي قصة تجارة اللؤلؤ في تلك الحقبة من الزمن.

ويلفت المدخل نحو بيت النابودة الانتباه إلى التفاصيل الداخلية الرائعة، بما في ذلك الأبواب والنوافذ الخشبية والأعمدة ذات التصميم الروماني في ساحة الفناء. وقد تمّ تجديد الغرف بعناية من قبل مؤرخين من معهد الشارقة للتراث، الذين حافظوا على اللوحات الجدارية للمبنى والعوارض الخشبية و24 عمودا من أعمدة الساج الرائعة.

وتم تجهيز المنزل بنظام تبريد مبتكر مصمم لتدفق الهواء على طول الجدران الداخلية للمساعدة في التخفيف من درجات الحرارة المرتفعة. وهذا ما ساعد الأسرة على البقاء بالقرب من البحر لتميل إلى المصالح التجارية على مدار العام، حتى عندما كان الكثير من الناس يهاجرون إلى المناطق الداخلية والواحات للهروب من حرارة الصيف.

وأشارت آمنة الريسي، مرشدة سياحية، إلى دفتر الأستاذ في النابوده، حيث قام بتدوين ملاحظات دقيقة حول صفقات اللؤلؤ، موضحة أن دفتر الأستاذ والمنزل هي الأشياء الملموسة الوحيدة المرتبطة مباشرة بالتاجر. تشمل المعروضات عملات معدنية من الهند والخليج العربي، بالإضافة إلى مجموعة من الأجهزة والمعدات المستخدمة لقياس وزن وحجم اللآلئ. هناك مجموعة من الوثائق المحفوظة بشكل جميل والتي تعرض صفقات النابودة مع مختلف الشركات ورجال الأعمال والأعضاء البارزين في المجتمع، بما في ذلك حكام العصر.

> بيت النابودة زود بمجموعة من شاشات العرض التفاعلية لإعطاء الزوار فكرة قيمة عن أهمية تجارة اللؤلؤ في الشّارقة

بدأ أمير الشارقة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي ترميم المركز التاريخي للشارقة في أواخر الثمانينات. وأنشأ وزارة الثقافة للمساعدة في الحفاظ على تاريخ الشارقة. وقد كان بيت النابودة من أوائل المنازل التي خضعت لمشروع المحافظة على المعالم التاريخية. وانطلق ترميم بيت النابودة في عام 2016 لضمان استمرار استخدامه كمتحف.

قالت منال عطايا، المديرة العامة لهيئة متاحف الشارقة، في بيان خلال افتتاح المتحف، "لقد تمّ ترميم بيت النابودة بالكامل لمجده السابق... وقد حرص خبراء من معهد الشارقة للتراث على استخدام مزيج من التقنيات التقليدية والحديثة في أعمال التجديد، حتى يكون المبنى المرمم ممثلا تمثيلا أصيلا لماضيه".

نصائح+إرشادات

خطوات هامة لرحلات طويلة وممتعة بالدراجات النارية

❑ **برلين** – يجتذب الطقس الجيد خلال فصل الصيف عشاق الدراجات النارية للانطلاق في رحلات طويلة. ويعد التخطيط الجيد كلمة السر للاستمتاع بمثل هذه الرحلات دون منغصات تعكر صفوها.

ولا بدّ أن يتبادر إلى الذهن في البداية إذا تعلق الأمر برحلة طويلة بالدراجة النارية هذا السؤال؛ فندق أم خيمة؟، لأن ما يثير الاهتمام ليس الطريق والراحة فقط.

وأوضح فرانك رويدل، رئيس تحرير مجلة موتورراد نيوز، أنه عند التخييم، بمعنى اصطحاب الخيمة والموقد، فإن سعة الحمولة للدراجة تقل، ناهيك عن وصولها إلى الحد الأقصى في السرعة عند اصطحاب شخص ما.

وينصح مايكل لينزين، من الرابطة الاتحادية راكبي الدراجات النارية، بإبقاء مكان فارغ يسع لـ10 كيلوغرامات.

وأضاف لينزين أن المرء لا يحتاج إلى دراجة خاصة للرحلات، موضحا أن دراجات الرحلات والمكسوة بشكل كامل تعدّ أكثر راحة من معظم فئات الدراجات الأخرى عند السير لمسافات طويلة بسبب وضعية الجلوس المستقيمة، لكن الدراجات السوبر الرياضية يمكن أيضا استخدامها في السفر.

وتعود المسألة في النهاية إلى التفضيلات الشخصية، وأشار رويدل إلى أن موديلات الفئة المتوسطة تعد مناسبة للمبتدئين في الرحلات الطويلة.

وتتغير هندسة مجموعة التعليق وكذلك سلوك القيادة مع وجود الأمتعة، ولذلك يلزم ضبط ضغط الإطارات والتعليق.

وينصح لينزين بإجراء الفحص التقني قبل بداية الرحلة لأجزاء الدراجة الهامة مثل حد التآكل للجنزير، وبطانات المكابح وعمق مداس الإطار ووظيفة الإضاءة، وفي النهاية لا بدّ من الاستعداد لأي أعطال بسيطة، وفقا لما أوضحه رالف موغليش من شركة الرحلات السياحية (Gravel Travel)، والذي ينصح باصطحاب إطار احتياطي وطاقم إصلاح إطارات.

ولا يشترط أن يكون قائد الدراجة على درجة من الكفاءة التقنية، فعلى العكس من السابق تتمتع الآلات اليوم بموثوقية عالية جدا، وإذا حدث خلل ما فإنه عادة ما يعود إلى سبب إلكتروني، وهو ما يستدعي بطبيعة الحال تدخل خدمة إصلاح الأعطال.

وبالنسبة إلى تخزين الأمتعة يتعين أن تكون الأغراض الثقيلة أسفل الحقيبة، بحيث يظل مركز الثقل عند أدنى مستوى ممكن، وبعد التخزين يوصى بالقيام ببعض الجولات البسيطة للتعود على التغير في سلوك القيادة وزيادة مسافة الكبح.

ويجب أن يتم تدريب الراكب حتى لا يقع تحت الإجهاد البدني والذهني؛ حيث حذر لينزين من الاستخفاف بالركوب على المقعد الخلفي، ولا بد من أن يعلم الراكب بأنه سينظر إلى خوذة قائد الدراجة يمينا في المنعطفات اليمنى، ويسارا في المنعطفات اليسرى، كما أن الكبح والتسارع يتطلبان أيضا تدريبا نشطا، وعلى الراكب أن يعرف ما يجب التثبت فيه.

وللراحة ينصح الخبراء الألمان بارتداء الملابس المناسبة، بما في ذلك الملابس الداخلية. ويرى لينزين أن أفضل سترة لن تفيد شيئا عند ارتداء تي شيرت قطني تحتها يتشبع بالعرق، وأضاف موغليش أن بدلة المطر لا بد أن تكون موجودة في الأمتعة، وأن يتم الوصول إليها بسرعة.

وعلى الطريق يجب ألّا تؤخذ الأمور ببساطة، إذا لم يكن قائد الدراجة يتمتع بالخبرة؛ حيث حذر رويدل من أن مسافة من 250 إلى 300 كلم يمكن أن تصبح تحديا جسديا. ويجب أن يراعي الجدول الزمني أيضا حالة الطريق.

ومن الأمور الهامة أيضا أخذ فترات راحة كافية لتناول المشروبات في الطقس الحارة.

راحة آمنة رهينة سفرة منظمة

خدمات سياحية

● أطلقت دناتا (الشركة العاملة في تقديم الخدمات الجوية العالمية) خدمة جديدة لإنهاء إجراءات السفر من المنزل في دبي لركاب فلاي دبي والخطوط السعودية وفلاي ناس من خلال شركة "دوبز" لتخزين وتوصيل الأمتعة التي تملكت فيها مؤخرا حصة الأغلبية.

وقال ستيف ألين، نائب رئيس أول دناتا لعمليات المطار، "نسعى دائما لتوفير أفضل الخدمات والسبل لتوفير تجربة مريحة للمسافرين".

● قالت الخارجية المصرية إن أستراليا ستضخ 50 مليون دولار، لتطوير أحد أشهر متاحفها حتى يتسنى لها، في 2021، استضافة معرض لكنوز الفرعون المصري "توت عنخ آمون" أحد أشهر ملوك الفراعنة.

وعدّد مسؤولون بوزارة الآثار فوائد تلك الرحلة من ناحية الجانب المادي، والترويج السياحي للبلاد، في مقابل آثاريين ومعنيين يرون تلك الخطوة "محفوفة بمخاطر السرقات، وإجحاف لقيمة آثار لا تقدر بثمن".

● أعلنت المفوضية الأوروبية، الذراع التنفيذية للاتحاد الأوروبي أنه من الممكن للأوروبيين الذين يبلغون من العمر 18 عاما، التقدم بطلب للحصول على واحدة من بين 15 ألف تذكرة مجانية للسفر في أنحاء الاتحاد الأوروبي.

وقال تيبور نافراكسيكس، المفوض المعني بشؤون الشباب في الاتحاد الأوروبي "أنا واثق من أن التجربة ستحدث تغيرا إيجابيا بالنسبة للشباب المشاركين وللمجتمعات التي سوف يزورونها".

الذكاء الاصطناعي يقتحم مجال الطب النفسي

روبوتات وتطبيقات تسأل المريض ليجيب دون حرج

يحقق الذكاء الاصطناعي خطوات كبيرة في المجال الطبي، إذ لم يعد البعض يستبعد أن يصبح الطبيب في المستقبل برنامجا معلوماتيا. واكتسح الذكاء الاصطناعي عالم الطب النفسي، حيث أصبح يمكنه أن يساهم في توقع إصابة الشخص باكتئاب وأمراض نفسية أخرى. وبحسب توقعات الباحثين يمكن أن يصبح الذكاء الاصطناعي قادرا على تحديد من سيعانون من المشاكل النفسية التي قد تدفع بهم إلى الانتحار.

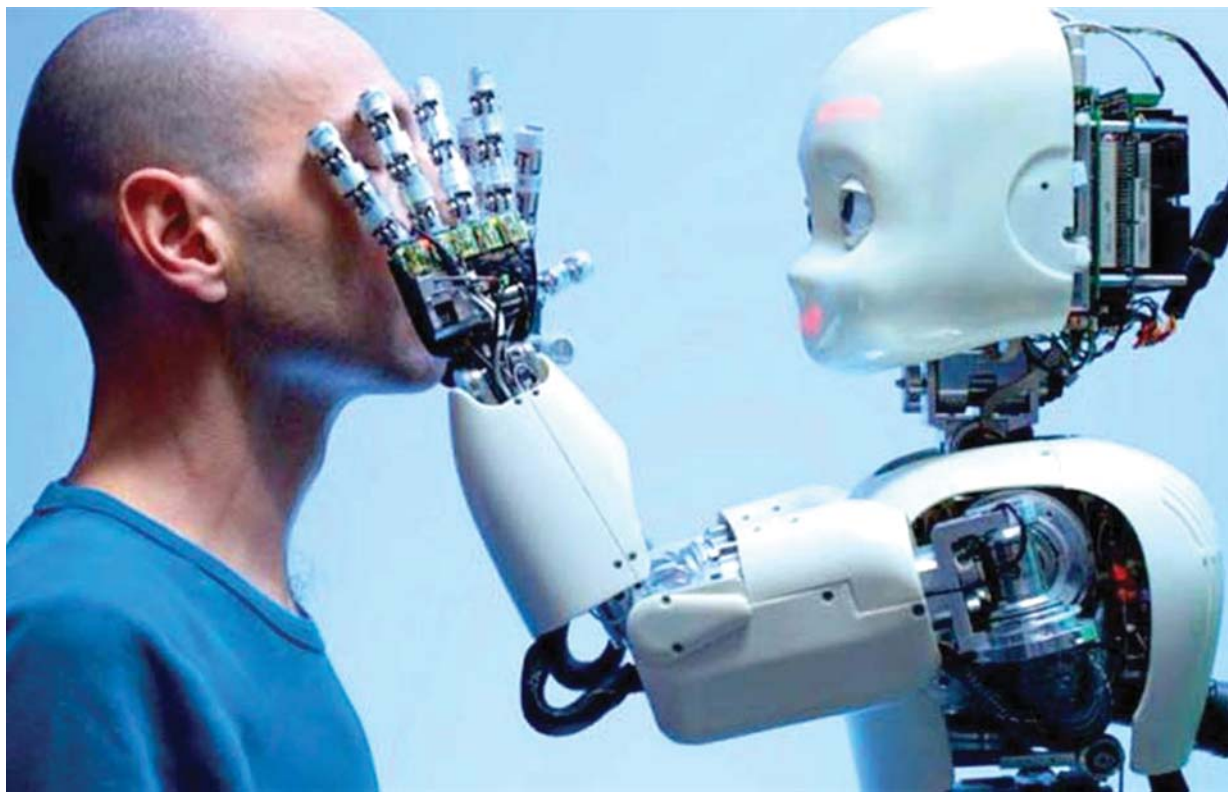

روبوت يمدك بحلول لأزماتك النفسية

❏ **بوسطن** – صار بإمكاننا اليوم أن نتحدث عن مشاكلنا النفسية دون حرج أو خجل بعد أن أصبح الروبوت يعمل طبيبا نفسيا، فمع زيادة ضغط الحياة يعاني بعض الأشخاص من القلق والاكتئاب، لكنهم يترددون بشأن التحدث عن ذلك إلى شخص ما، الأمر صار سهلا بفضل المعالج الروبوت، الذي صمم لمساعدة من يعانون من مشاكل نفسية من خلال الدردشة معهم عبر تطبيقات الإنترنت.

استخدمت شركة "كوجيتو" –وهي شركة للذكاء الاصطناعي والتحليل السلوكي، ومقرها بوسطن– نظام ذكاء اصطناعي للتعرف على الأصوات وتحليلها من أجل تحسين تفاعلات خدمة الزبائن في العديد من الشركات والمجالات.

وجاء دخول الشركة في مجال الرعاية الصحية من خلال "كوجيتو كومبانيون"، وهو تطبيق خاص بالصحة النفسية يتتبع سلوك المريض.

ويراقب التطبيق هاتف المريض، مُحصيًا إشارات السلوك الموجب وإشارات السلوك السالب، مثل البيانات التي يمكن أن تشير إلى أن المريض لم يغادر منزله لعدة أيام أو يستخدم سجلات الاتصالات التي تشير إلى أنه لم يرسل رسالة أو يتحدث على الهاتف إلى أي شخص لعدة أسابيع. وتؤكد الشركة أن التطبيق يعرف ما إذا كان المرضى يستخدمون هواتفهم للاتصال أم لإرسال الرسائل، ولكنه لا يتتبع من يتصل به المستخدم كما لا يسجل نص المكالمة.

> للذكاء الاصطناعي القدرة على المساعدة في فهم الجوانب الإنسانية من المحادثات والجوانب البشرية للصحة النفسية

بعد ذلك يمكن لفريق رعاية المريض أن يراقب التقارير اللاحقة للعلامات، التي بدورها قد تشير إلى تغييرات في الصحة النفسية الشاملة للمريض.

ويؤكد سكايلر بلاس، كبير مسؤولي العلوم السلوكية في "كوجيتو"، على قدرة الذكاء الاصطناعي على المساعدة في "فهم الجوانب الإنسانية من المحادثات والجوانب البشرية للصحة النفسية".

وعلى الرغم من أن الفهم مجرد خطوة أولى، فإن الهدف النهائي هو إيجاد العلاج الذي يحقق نتيجة في ما يتعلق بقضايا الصحة العقلية.

وطور باحثون بريطانيون روبوتا وأطلقوا عليه إسم "ويبوت" ويمكنه تقديم استشارات نفسية بهدف التحفيز والتشجيع على بذل الجهد، في إطار تجربة تهدف إلى دعم التغييرات السلوكية لدى المرضى النفسيين.

وأشار الكثير من المشاركين في التجربة التي أجراها فريق بحثي بجامعة بلايماوث البريطانية، إلى السمات الموضوعية للروبوت الذي صُمم في صورة بشر، بل قال أحدهم "إنه يفضل الروبوت على الأطباء النفسيين من البشر".

وأظهرت الدراسة التي أجرتها كلية طب النفس التابعة لجامعة "بلايماوث"، أن الروبوت يمكنه تحقيق نفس الأهداف الأساسية للمقابلة التحفيزية، إذ أنه يشجع المشاركين الراغبين في زيادة نشاطهم البدني على التعبير عن أهدافهم ومشكلاتهم بصوت مرتفع.

وأوضحت الباحثة جاكي أندريد، رئيسة فريق الدراسة، أن الروبوت ربما يكون أفضل من باقي أشكال المساعدة الإلكترونية في تقديم الدعم الافتراضي للتغيّرات السلوكية.

وقالت الدكتورة أليسون دارسي، المؤسسة والرئيسة التنفيذية لمختبرات ويبوت التي مقرها سان فرانسيسكو، إن الذكاء الاصطناعي يساعد الناس على التعبير عن مشاعرهم، فمما يتميز به ويبوت إمكانية أن يساعدك مباشرة دون أن ينتابك الخوف من أن تذاع خصوصياتك ودون التوجس من أحكام الآخرين. وبرمجت دردشة الذكاء الاصطناعي لمحاكاة محادثة الإنسان، إذ تقدم في المقام الأول المشورة والمرافقة والتوجيه والمساعدة الذاتية للمستخدمين.

وأضافت الدكتورة دارسي "أن ويبوت يقوم بعمل جيد بالنسبة للأشخاص الذين يشعرون بالأسى حقا، إنه ليس جيدا للأشخاص الذين ليس لديهم الكثير من الأشياء التي يشعرون بالاستياء بسببها أو ليس لديهم ما يحتاجون إلى الحديث عنه".

ويستخدم ويبوت الذكاء الاصطناعي لخلق المحادثات الطبيعية والشخصية والبشرية وتقديم الدعم العاطفي للمستخدمين، إذ يستعين في الغالب بأسئلة مثل "ما هي الطاقة الخاصة بك اليوم؟" أو "ما هو شعورك؟"، ويشجع المستخدمين على مناقشة مشاعرهم علانية، كما يمكنه اقتراح استراتيجيات عملية يمكن للناس تنفيذها لتغيير طريقة تفكيرهم بشأن أحداث حياتهم.

وعلى عكس الأطباء، تعد دردشة الذكاء الاصطناعي متاحة في أي وقت، وفي أي مكان، لتقديم الرعاية الصحية العقلية، التي يسهل الوصول إليها لأولئك الذين في حاجة إليها.

وقبل ذلك ابتكرت تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي الروبوت "إيلي"، وهو عبارة عن طبيبة نفسية، لكنها ليست من البشر، إنما هي مجسد إلكتروني في صورة إنسان يتحدث إليك كأنه طبيب ويسألك ويتجاوب معك، ثم في الأخير يحلل إجاباتك وانطباعاتك.

"إذا ابتسمت ابتسامة بطريقة معينة ستعرف إيلي بالضبط ما وراء ابتسامتك، إذا كان لديك تشنج عصبي أو توتر ما، فستلتقط ذلك على الفور"، فهي ستستمع إلى كل ما تقوله، وتحلل كل كلمة تقولها ولهجتك والحالة التي كنت فيها عند نطق الكلمة.

وحاول الباحثون بقيادة الدكتور الأميركي جوناثان غراتش في معهد "التكنولوجيا الإبداعية"، في ولاية لوس أنجلس، رصد تفاعلات الإنسان وردود فعله أثناء التعامل مع أجهزة الكمبيوتر، ووجدوا أن الإنسان يكون أكثر تقبلا واستعدادا للتحدث مع الكمبيوتر إذا كان مجسدا في صورة إنسان.

ولاختبار هذه الفكرة اختار الباحثون 239 شخصا أمام إيلي وطلبوا منهم التحدث عن حيواتهم باستفاضة، ولكنهم أعلموا نصف المشتركين بكل صدق أنهم يتفاعلون مع جهاز مطور بذكاء اصطناعي، في حين أنهم أخبروا النصف الآخر بأن إيلي عبارة عن دمية يتحكم فيها شخص عن بعد.

تبدأ إيلي كل مقابلة مع كل مشترك بأسئلة تتابعية، أولها "من أين أنت؟"، ثم أسئلة طبية مثل "هل من السهل عليك الحصول على ليلة نوم جيدة؟"، ثم تنهي المحادثة بأسئلة تساعد على تحسين حالة المشارك مثل "ما هو مصدر شعورك بالفخر؟".

ومع توفير الإيماءات المناسبة وتعبيرات الوجه، تعمل إيلي على تحليل وجوه المشتركين عبر ماسح ضوئي لمعرفة مدى شعورهم بالحزن، فضلا عن وجود 3 أطباء نفسيين حقيقيين لتحليل محاضر الجلسات، وتقييم مدى استعداد المشاركين للكشف عن معلومات شخصية.

كلمة مرور عقلية لطرد لعنة قراصنة الإنترنت

❏ **سان فرانسيسكو** – يشكل هاجس قرصنة كلمات المرور كابوسا لمستخدمي الإنترنت خوفا من تسرب بيانات حساسة تتعلق بأمور حياتهم الشخصية وحساباتهم البنكية، وما إلى ذلك.

للتغلب على المشكلات الخاصة بكلمات المرور أصبحت عدة هواتف ذكية تعمل بخاصية التعرف على الوجه وبصمات الأصابع وغيرها من القياسات الحيوية.

ولكن المشكلة في ما يتعلق بهذه النوعية من كلمات المرور تتمثل في عدم إمكانية استخدامها مرة أخرى في حالة انكشافها عن طريق القرصنة الإلكترونية، بمعنى أن المستخدم لا يستطيع تغيير بصمة أصابعه أو شكل قزحية العين في حالة تسرب بصمته الحيوية، وبالتالي يصبح غير قادر على استعمالها مرة أخرى ككلمة مرور.

يذكر أن نتائج بحثية أثبتت أن حساسات البصمات على الهواتف الذكية يمكن أن تنخدع بسهولة عن طريق بصمات أصابع مزورة تشتمل على العديد من الخصائص الشائعة الموجودة في البصمات البشرية.

يقول وينياو تشو الباحث في كلية بافالو للهندسة والعلوم التطبيقية في الولايات المتحدة "لهذا السبب طورنا نوعا جديدا من كلمات المرور يعتمد على قياس الموجات التي تصدر عن المخ كرد فعل عند رؤية سلسلة من الصور، واستعمال هذه الموجات ككلمات مرور، وتتميز هذه الشفرة بأنها حيوية وسهلة الاستخدام ومن الممكن تغييرها في حالة انكشافها".

ويضيف تشو أن فكرة ابتكار كلمة مرور تعتمد على القياسات الحيوية للمستخدم، على أن تكون قابلة للإلغاء والتغيير، وأتته بعدما استولى قراصنة الإنترنت على بيانات بصمات الأصابع الخاصة بالعاملين في إحدى المصالح الحكومية في الولايات المتحدة عام 2015. ومن أجل تسجيل الموجة العقلية استعدادا لاستخدامها ككلمة مرور، يتعين على المستخدم أن يرتدي سماعة على الرأس تشبه السماعات الخاصة بتقنيات الواقع الافتراضي، وهي مجهزة بستة أقطاب كهربائية لقياس ثلاثة أنواع مختلفة من الأنشطة العقلية عند التعرض لسلسلة من الصور. وتقوم المنظومة الجديدة بتسجيل الأنشطة العقلية للمخ ثلاث مرات، بحيث تكون المرتان الأوليان وسيلة لإرساء أسس تسجيل كلمة المرور، ويتم تسجيل كلمة المرور فعليا في المرة الثالثة.

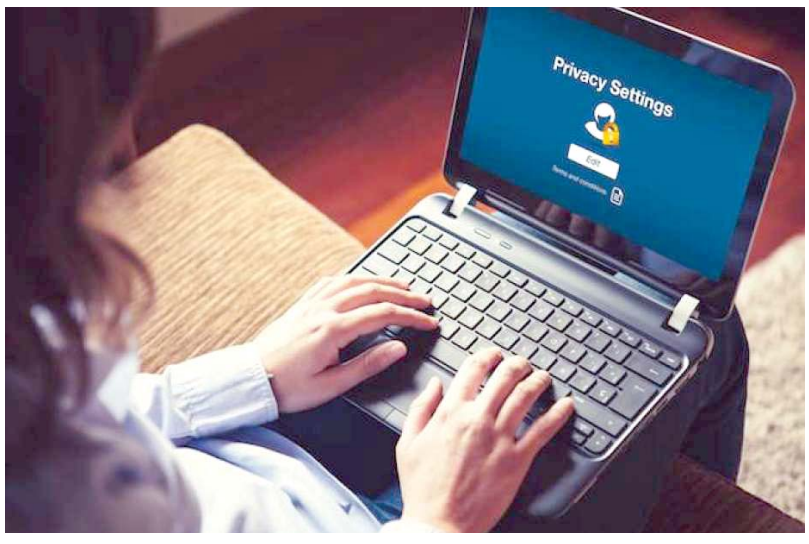

معركة المطورين والقراصنة لا تنتهي

ويتم عرض ثلاث صور على المستخدم بتسلسل سريع، بفاصل 1.2 ثانية بين كل صورة على وجه الدقة، ويتم تكرار هذه العملية ثلاث مرات، وفي نهاية المرة الرابعة، أي بعد مرور 4.8 ثانية، تكون كلمة المرور جاهزة للاستخدام.

ونقل الموقع الإلكتروني "فيز دوت أورغ" المتخصص في الأبحاث العلمية والتكنولوجيا عن الباحث تشو قوله إنه بالرغم من أن فكرة ارتداء سماعة رأس قد لا تعجب المستخدم العادي للأجهزة الإلكترونية، إلا أنه من الممكن الاعتياد على هذه التقنية بمرور الوقت، لا سيما إذا تم تصميم الجهاز بحيث يصبح مثل نظارات غوغل على سبيل المثال.

وفي وقت سابق كشفت رابطة الشبكة العالمية الدولية عن تطوير معيار جديد يمكنه إلغاء الحاجة إلى استخدام كلمات المرور من خلال معيار جديد يعرف بعملية مصادقة الويب "ويب آوثن" لاستبدال كلمات المرور المعتادة، بطرق جديدة قائمة على القياسات الحيوية.

أخبار التكنولوجيا

كبسولات النوم في مطارات أوروبا

❏ صمم مهندسون من سلوفينيا كبسولات نوم خاصة سيتم تركيبها في المطارات الأوروبية هذا العام. وسيكون باستطاعة مستخدميها شحن هواتفهم والاتصال بالإنترنت عبر الواي فاي.

وستتاح للمسافرين فرصة مشاهدة كل ما يحصل في الخارج على الرغم من أن كبسولات النوم معزولة تماما عن الأصوات الخارجية والضجة المحيطة. وترسل الكبسولة أوتوماتيكيا إشارة تذكر المسافر بموعد رحلة الطيران.

فيسبوك يواكب مونديال كرة القدم

❏ يواكب موقع فيسبوك نهائيات كأس العالم لكرة القدم، وذلك بإطلاق عدد من التحديثات.

وتشمل تحديثات فيسبوك الكروية "فلاتر" وإطارات للصور، حتى يتمكن مستخدمو التطبيق من تشجيع فرقهم المفضلة عبر الصور وتبادلها. وليتمكن المستخدمون من ذلك، يتوجب عليهم الدخول إلى "ماسنجر"، لتظهر لهم كرة، تمكنهم من اختيار فريقهم المفضل.

خدمات ترجمة من غوغل دون إنترنت

❏ كشف مصدر من غوغل عن خطة لتحديث الخدمة على الهواتف التي تعمل بنظام "أندرويد"، تتيح تشغيل الاستفادة من خدمات غوغل للترجمة (غوغل ترانسليت) دون اتصال بالإنترنت، بفضل تقنية ذكاء اصطناعي جديدة.

كما ستعمل الخدمة الجديدة –حسب قول مديرة خدمة "غوغل ترانسليت" جولي كاتياو– على منح المستخدمين ترجمة أفضل للجمل الطويلة.

أبل تدمج الخرائط والموسيقى

❏ أعلنت أبل أنه يمكن دمج الخرائط مستقبلا في مواقع الويب؛ حيث قدمت الشركة الأميركية باقة برمجيات تتيح إمكانية دمج الخرائط في مواقع الويب، وذلك على غرار خدمة خرائط غوغل منذ فترة طويلة.

وبالإضافة إلى ذلك أعلنت أبل عن إطلاق خدمة الموسيقى عبر الإنترنت؛ حيث يمكن دمج الأغنيات في مواقع الويب بواسطة مشغل أبل ميوزيك، على غرار خدمات منافسة مثل سبوتيفاي.

التمارين السريعة والديناميكية أفضل طرق الإحماء

تدريبات الاتزان والثبات تقوي العضلات

كشف فريق من الباحثين والمتخصصين في اللياقة البدنية أن تدريبات الإطالة لا تضمن، بالضرورة، قدرة أكبر على الأداء والتحمّل وهي ليست كافية لحماية المتدرب من التعرض للإصابات. ووجدوا أن هناك طرقا أخرى مختلفة من تمارين الإحماء يمكنها المساعدة في تقوية العضلات وزيادة قدرتها على مقاومة الجهد.

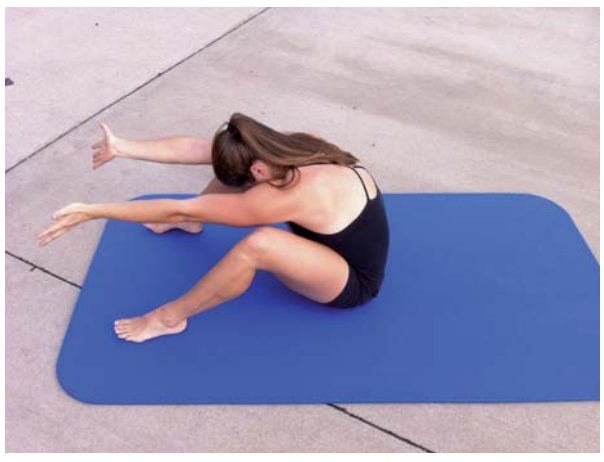

إجراء تمارين الإطالة بشكل ديناميكي يعد الجهاز العضلي

❏ **برلين** – على الرغم من أنّ تمارين الإطالة لا تقي الرياضي من التعرض للإصابات من الناحية الطبية، إلا أن الخبراء دائما ما ينصحون بدمج تمارين الإطالة الديناميكية ضمن برنامج الإحماء قبل ممارسة الرياضة، وتعتبر تمارين تقوية العضلات والمرونة الحركية أكثر أهمية لتجنّب التعرّض للمتاعب والإصابات.

ويعرف الرياضيون القاعدة الشهيرة بأنه يجب ممارسة تمارين الإطالة ضمن برنامج الإحماء قبل ممارسة الرياضة، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أن مثل هذه التمارين ليست لها فائدة كبيرة، ومع ذلك فإنه يتعيّن على الرياضيين تعلم كيفية الإحماء بطريقة مختلفة عما تعلموه في السابق.

وأوضح ميكه برانكه، المدير التربوي لاتحاد مدربي اللياقة البدنية، قائلا "أثبتت الدراسات الحديثة أن تمارين الإطالة لا توفر أي فائدة، علاوة على أنه لا يوجد دليل على أنها تقي من الإصابات". كما أشار البروفيسور لارس دونات، من الجامعة الرياضية بمدينة كولن الألمانية، إلى أنه لا يمكن زيادة الأداء أو الكفاءة عن طريق تمارين الإطالة، بل العكس من ذلك يتراجع الأداء بعد القيام بتمارين الإطالة.

> مدربو اللياقة يعتبرون أن تمارين تقوية العضلات والمرونة الحركية أكثر أهمية لتجنب التعرض للمتاعب والإصابات

ومن أجل الوصول إلى تأثير إيجابي ينصح الخبراء الألمان بأنه من الأفضل القيام بتمارين سريعة لتقوية العضلات أو تمارين الثبات والاتزان، أو الجمع بينهما، ويفضل أيضا إجراء تمارين الإطالة بشكل ديناميكي لإعداد الجهاز العضلي للحركات الرياضية، من خلال أن يقف الرياضي مع فتح الساقين، ويقوم بتحريك الحوض بالتناوب جهة اليسار أو اليمين.

وأوضح فلوريان بادور، مدرب ألعاب القوى في بادن فورتمبيرغ، كيف يبدو برنامج الإحماء المثالي اليوم، قائلا "من الأمور المهمة أن يتحرك المرء ببطء في البداية، حتى يتمّ زيادة كفاءة نظام القلب والأوعية الدموية ببطء، مثلا من خلال الركض بشكل مريح لعدة جولات حول الملعب". وبعد ذلك، يمكن ممارسة تمارين إطالة عضلات الساق والعضلات المقربة وعضلات الفخذ الأمامية والخلفية، ويجب أن تتمّ تمارين الإطالة بشكل ديناميكي، عن طريق متابعة تمارين الليونة والحركة، ثم تمارين بواسطة الكرة، وبعد ذلك يتم إجراء سباقات السرعة وزيادة قوة التمارين، وفي النهاية ينصح باودر بإجراء بعض الحركات الخاصة بكرة القدم، وأكد الخبير الألماني أنه يكفي القيام بالإحماء لمدة 20 إلى 30 دقيقة.

وأشار برانكه إلى أنه من الأفضل منع الإصابات، تمزق النسيج العضلي أو مشاكل المفاصل، من خلال عدم استعداد الجسم للحمل قبل التمرين أو المباراة مباشرة، ولكن يجب الاستعداد للحمل بشكل دائم، وعلى المدى الطويل يجب حماية الجسم من التعرض للإصابات، من خلال زيادة كفاءته وأدائه بشكل جيد، ويحتاج الرياضي إلى القوة بشكل سريع وباستمرار، كما أن التناسق يعتبر من الأمور المهمة أيضا.

وقد لا يكون لتمارين الإطالة تأثير إيجابي يمكن قياسه بشكل علمي، إلا أن برانكه ينصح بالقيام بهذه التمارين إذا كان المرء يشعر بتحسن حالته من خلال تمارين الإطالة، وأضاف قائلا "قد تظهر أهمية لتمارين الإطالة؛ لأن العقل والروح لهما تأثير كبير"، ومع ذلك لا يجوز للرياضي أن يقوم بأداء تمارين الإطالة حتى نهاية برنامج الإحماء، بل إنه من الأفضل أداء أشكال التمارين الفعالة مرة أخرى ببرنامج الإحماء قبل ممارسة الرياضة الفعلية.

وينصح برانكه بأداء تمارين الإطالة لتجديد النشاط والحيوية بشكل أساسي؛ حيث يكون من المفيد بعد ممارسة الرياضة لفترة من الوقت أداء تمارين الإطالة بشكل ديناميكي، أو استعمال بكرة الفوم الصلب، لجعل الأنسجة الضامة أكثر ليونة على المدى الطويل. وأشار باودر إلى أنه لا يجوز استعمال بكرة الفوم الصلب إلا بعد مرور ساعة على الحصة التدريبية، ومن الأمور المهمة أيضا أثناء عملية تجديد النشاط والحيوية تناول الطعام والشراب.

وأكدت جملة من الدراسات المنشورة في المواقع المتخصصة في اللياقة البدنية، أن الإطالة الساكنة قبل الشروع في الرياضة يمكن أن تثبط جميع مكوّنات الأداء تقريبا. على سبيل المثال، الإطالة الساكنة قبل ممارسة الرياضة التي نرغب فيها، يمكن أن تقلل من القوة القصوى، وأداء القفز العمودي، وسرعة الركض، والتحمل العضلي.

ويرى الباحثون أن الكثير من الدراسات البحثية الأخيرة فشلت في إقامة صلة بين الإطالة الساكنة قبل والوقاية من الإصابات. فقد تبيّن أن الرياضيين ذوي المستويات العالية من المرونة هم عُرضة للمعاناة من تلك الإصابات من هؤلاء ذوي المرونة المعتدلة. تظهر بعض الأدلة أن الناس أصحاب العضلات المشدودة للغاية هم أقل عُرضة للتعرّض لشد العضلات، ولكن من المتكهن به أنه إذا كانت الإطالة الساكنة قبل ممارسة الرياضة المرغوب فيها تقلل من هذا النوع من الإصابات، فإن ذلك يرجع إلى قدرتها على تخفيض القوة الإجمالية للعضلة.

فعند انقباض العضلات بقوة، يمكن حدوث الشد والجذب والتمزق، لذلك كلما نجح المتدرب في خفض إنتاج القوة قل تعرّضه للإصابات.

أما التغيّرات السريعة في التمارين، عبر أداء الإطالة الحركية، يمكن أن تؤدي إلى تحفيز ردّ فعل الإطالة، أو تمدّد العضل، الذي يحاول مقاومة التغيّر في طول العضلات عن طريق التسبب في جعل العضلات التي تتم إطالتها تنقبض. الإطالات الأبطأ تسمح للمغزل العضلي بالاسترخاء والتكيف مع الأطوال الجديدة.. وهكذا، الأنشطة الحيوية التي تتطلب حركات سريعة وقوية مثل الركض أو القفز أو الركل، تستخدم المستقبل الحركي للحدّ من المرونة. ونتيجة ذلك، بدأ الباحثون في التحقيق فيما إذا كانت الإطالة الحركية النشطة التي تنشط المستقبل الحركي ستكون أكثر فائدة عندما تستعد لأداء الأنشطة الحيوية.

تستخدم الإطالة الحركية التأرجح، والقفز، أو الحركات المبالغ فيها، بحيث يحمل زخم الحركة الأطراف إلى الحدود العادية لنطاق الحركة أو يتجاوزها، وينشط استجابة رد فعل مستقبل الحس العميق. التفعيل السليم لمستقبلات الحس العميق يمكن أن يسبب تسهيل الأعصاب التي تنشط خلايا العضلات. هذا التسهيل يمكّن الأعصاب من إطلاق الإشارات بسرعة أكبر، وبالتالي تمكين العضلات من أداء انقباضات سريعة. ونتيجة لذلك، يمكنه إعداد العضلات والمفاصل بطريقة أكثر تحديدًا، لأن الجسم يمر بحركات من المرجح أن يكررها في التمرين.

تاي تشي رياضة علاجية ضرورية لمرضى الانسداد الرئوي

❏ **هامبورغ (ألمانيا)** – أكدت مؤسسة الرئة الألمانية على أهمية ممارسة الرياضة بالنسبة إلى مرضى الانسداد الرئوي المزمن إلى جانب العلاج الدوائي.

وأوضحت المؤسسة أن ممارسة الرياضة تعمل على تحسين التنفس ومن ثمّ الحد من ضيق التنفس، الذي غالبا ما يعاني منه المرضى، مشيرة إلى أن رياضة "تاي تشي" بصفة خاصة أثبتت فعاليتها في تحسين الحالة الصحية للمرضى.

جدير بالذكر أن رياضة "تاي تشي" هي فن عسكري دفاعي صيني قديم مشابه لملاكمة الظل، وهي تقوم على أداء سلسلة من الحركات البطيئة والرشيقة، التي تعمل على تحسين كفاءة الدورة الدموية وتقوية الوظائف المناعية. كما يركز التمرين على التنفس العميق من البطن، الذي يساعد على تحسين الأداء الوظيفي للرئتين.

تعدّ الرياضة بمثابة طوق النجاة لمرضى الانسداد الرئوي المزمن؛ حيث إنها تحُول دون تفاقم المرض وتقي من الأمراض المترتبة عليه كهشاشة العظام والسكري وأمراض الأوعية الدموية.

وقال البروفيسور هاينريش فورت، كبير الأطباء بمستشفى أمراض القلب والرئة بمدينة فورت الألمانية، إنه سرعان ما يتسبب صعود الدرج أو بذل أي مجهود في صعوبات بالغة وضيق في التنفس لدى مرضى الانسداد الرئوي المزمن، ولذلك فإنهم غالبا ما يتخلّون عن ممارسة أي مجهود بدني ولا يتم التحميل كثيرا على القوة العضلية.

وأضاف فورت أن المشكلة تكمن في هذه الحالة، نظرا إلى أنه كلما حافظ المريض على نفسه وتخلّى عن ممارسة المجهود البدني، فإنه يكون أكثر عُرضة لنوبات ضيق التنفس، وقد يحدث ذلك حتى عند القيام ببعض الأعمال المنزلية البسيطة.

ومن جهته، قال العالم الرياضي الألماني أوليفر إن مرضى الانسداد الرئوي المزمن غالبا ما يتعرضون لنوبات ضيق التنفس، إذا لم يبذلوا أي نشاط بدني على الإطلاق، وغالبا ما يترتّب على ذلك أيضا الإصابة بهشاشة العظام أو مرض السكري أو أمراض الأوعية الدموية.

وأكد اختصاصي أمراض الرئة الألماني ديتر كولر، أن ممارسة الرياضة تقي مرضى الانسداد الرئوي من هذه المخاطر، قائلا "نوع الرياضة ليس مهمّا؛ فالهدف الأساسي من ممارسة الرياضة يتمثل في زيادة معدل نبض القلب، إلى أن يبدأ المريض بالتعرّق". وللاستفادة الحقيقية من الرياضة ينبغي على المرضى ممارستها بمعدل لا يقل عن مرتين في الأسبوع.

وأضاف كولر أن ممارسة الرياضة بصورة منتظمة تعمل على تأخير ظهور نوبات ضيق التنفس. وأوضح الطبيب الألماني مثالا على ذلك بأن الأشخاص الأصحاء يمكنهم في المتوسط قطع مسافة 600 متر في غضون ست دقائق، أما مرضى الانسداد الرئوي المزمن من الدرجة المتوسطة فيمكنهم قطع 300 متر في المدة نفسها. ولكن عند ممارسة الرياضة، فإن المسافة المقطوعة يمكن أن تزيد في المتوسط إلى 400 متر، بفضل تحسن الحالة الصحية والقدرة على التحمّل. وأظهرت نتائج دراسة أجريت العام 2006 على حوالي 2390 شخصا من مرضى الانسداد الرئوي المزمن أن ممارسة الرياضة بصورة منتظمة تقلل من احتياج المرضى للذهاب إلى المستشفى. وأشار البروفيسور فورت إلى أن هناك أدلة على أن العلاج الحركي في حالات الإصابة بالربو والانسداد الرئوي المزمن يؤدي إلى تراجع حدة الالتهاب في الجهاز التنفسي، ولكن لم يتم إثبات ذلك حتى الآن. كما أن المواظبة على ممارسة الرياضة مع اتّباع نظام غذائي صحي والإقلاع عن التدخين، من الأمور التي تقلل من خطر إصابة مرضى الانسداد الرئوي بالعدوى.

وشدد البروفيسور الألماني فورت على ضرورة ممارسة الرياضة باعتدال في البداية؛ مؤكدا أنه كلما كانت الحالة المرضية أكثر خطورة، كان من اللازم خفض درجة التحميل في البداية.

وأشار فورت إلى أنه من المفيد ممارسة الرياضة في إطار مجموعة؛ كالاشتراك في الدورات الرياضية المخصصة لعلاج مرضى الانسداد الرئوي مثلا، حيث دائما ما يتم اتّباع نمط معيّن عند تنظيم الحصة التدريبية وتسلسلها، فضلا عن أنها تضمّ تمارين قوة التحمل وتقوية العضلات وكذلك تمارين التناسق العضلي العصبي وتمارين الإطالة.

وأضاف البروفيسور فورت قائلا "تبدأ الحصة التدريبية بتمارين الإطالة، كي يتم إرخاء القفص الصدري وتحسين القدرة على الحركة". وبعد ذلك يتمكّن المرضى من حمل البعض من الأوزان الخفيفة أو استعمال الأشرطة عند إجراء تمارين تقوية العضلات.

وتتمثّل ميزة ممارسة الرياضة في إطار مجموعة في أن المدرب يمكنه مراعاة عدم زيادة درجة التحميل على المريض، بالإضافة إلى مواءمة المهام بدقة مع قدرة أداء المريض. كما أنّ الحافز على ممارسة الرياضة بانتظام يكون أكبر عند ممارستها مع مجموعة من المرضى الآخرين. وأضاف الخبير الألماني كولر قائلا "عند الاشتراك في مجموعة يشعر المريض بمزيد من الأمان، نظرا إلى أنه يمكن تقديم الإسعافات الطبية له بسرعة في حالات الطوارئ، بفضل وجود طبيب على استعداد دائم مع المجموعات أثناء ممارسة التمارين الرياضية".

> الرياضة بمثابة طوق النجاة لمرضى الانسداد الرئوي المزمن؛ فهي تحول دون تفاقم المرض وتقي من الأمراض المترتبة عليه

ومن ناحية أخرى، أشار أوليفر غول إلى أن ممارسة الرياضة في إطار مجموعة تعمل على تحسين الحالة النفسية لدى مرضى الانسداد الرئوي المزمن، الذين عادة ما يعانون من حالات اكتئاب بغض النظر عن شدة الحالة المرضية لديهم. ويعدّ مرض الانسداد الرئوي المزمن أحد أكثر الأمراض شيوعا في العالم؛ فوفقا لتقديرات منظمة الصحة العالمية سيصبح المرض السبب الرئيسي الثالث للوفاة بحلول العام 2020.

يُشار إلى أن الانسداد الرئوي المزمن هو مرض يتميّز بانسداد الشعب الهوائية وقلة تدفق الهواء بشكل مزمن وقصور في وظائف الرئة. ويتفاقم هذا القصور تدريجيا، وهو غير قابل للرجوع كليا بواسطة الأدوية الموسعة للشعب الهوائية. ويعدّ التدخين السبب الرئيسي لهذا المرض، الذي تتمثل أعراضه الرئيسية في ضيق التنفس والسعال وإفراز البلغم.

الرياضة تحسن أعراض الانسداد الرئوي

أيام الشباب تلتهمها المقاهي في ظل البطالة

المعطى الزمني يتقهقر إلى آخر سلم الأولويات لدى العاطل عن العمل

تحتل المقاهي الشعبية اليوم صدارة أماكن تمضية الوقت التي يقصدها الشباب في الدول العربية رغم وعي الجميع بأنها تسمم عقولهم وأجسامهم ولا تعود عليهم بأي منفعة. وتحولت المقاهي من مكان الالتقاء في مواعيد مضبوطة ومتباعدة بين الأصدقاء وفضاء للترفيه والتثقيف إلى ملاذ الشباب العاطل عن العمل هربا من الملل والخلافات الأسرية.

سماح بن عبادة
صحافية تونسية

❑ **تونس** – يثير مشهد المقاهي الشعبية في المدن والأحياء العربية مثل العاصمة تونس الدهشة نظرا لاكتظاظها الدائم بالزبائن، النسبة الأكبر من هؤلاء هم شباب يترددون عليها طيلة اليوم وخلال أوقات العمل، الأمر الذي يكشف أن غالبية روادها عاطلون عن العمل وليست لديهم فضاءات غير المقهى قادرة على استيعابهم وجذبهم باعتبار أوضاعهم المعيشية الصعبة.

في غياب المؤسسات الثقافية التي تستوعبُ الشباب، تنعدمُ الخيارات ويصبح المقهى الحل الوحيد المتوفر، ثم يتحول تاليا إلى مفصل من دائرة يوم الشاب المفرغة المتكررة: البيت والمقهى والتسكع.

هذا الثلاثي تدور حوله حياة علي الذي يستيقظ صباح كل يوم متكاسلا يحاول الحصول على بضعة ملاليم من أحد أفراد أسرته، لينطلق فورا إلى مقهى الحي. يجلس هناك وينتظر أصدقاءه ليمضوا ساعة أو اثنتين يتحدثون فيها عن كل ما يتبادر لأذهانهم ويشتكي كل منهم همومه ومشاعره باليأس بسبب البطالة والفقر.

يقول علي في حديثه لـ"العرب" إنه ليست لديه بدائل "أين أذهب إذن؟ أمل البقاء في البيت أو الشارع وأحاول أن أتجنب التشنج والمشاجرات مع أفراد أسرتي أو مع الناس بسبب وضعي السيء، وأمضي اليوم خارج المنزل وأشعر بالملل من نفس المقهى ويحرجني طول الوقت الذي أمضيته فيه وإن كان عندي المال أغيره بآخر... وهكذا يمر الوقت والأيام".

ويضيف الشاب العشريني "المقاهي هي الحل الوحيد بالنسبة لي ولأمثالي من الشباب العاطل والفقير والمنسي من صناع القرار والحكومات، ليست هناك فضاءات أخرى يمكن أن نقصدها لنستثمر فيها الوقت وليست لدينا الإمكانيات المادية للأندية الترفيهية المكلفة". ويشير علي إلى أنه على وعي بمخاطر الجلوس في المقهى ليوم كامل وهو يعرف أن المقاهي خصوصا في الأحياء الشعبية أصبحت مقصد المنحرفين والمكان الذي تبرم فيه العديد من الصفقات المشبوهة "لكن ليست لدي خيارات بسبب عجزي عن إيجاد عمل وبسبب الفقر.. فالجلوس في المقهى لقتل الوقت موت بطيء".

وتيرة حياة علي اليومية تكاد تتطابق مع أوضاع جل الشباب العاطل عن العمل ليس فقط في الأحياء الشعبية التونسية بل في جل الأحياء والمدن العربية، ما جعل مشروع المقهى من أكثر المشاريع الناجحة والمربحة.

ويلاحظ عالم الاجتماع الدكتور الطيب الطويلي أن عدد المقاهي في تونس يشهد ارتفاعا لافتا، مشيرا إلى أن هذا النسق التصاعدي والمحموم بدأ منذ سنوات الألفين في مقابل انحسار الفضاءات الثقافية مثل المكتبات العمومية ودور السينما والمسرح... بجانب تراجع الدور الثقافي لدُور الشباب والثقافة في الجمهورية التونسية.

ويوضح الطويلي في حديثه لـ"العرب" أن امتلاء المقاهي بالشباب يعود إلى سببين هامين، أولهما أن الشاب يجد في المقهى مكانا

أين المفر

لإفراغ شحنات قلقه وتوتره الناجمين عن الفراغ والبطالة عند البعض أو ضغوط الشغل والحياة الأسرية بالنسبة للبعض الآخر. والسبب الثاني هو أن الشاب التونسي لا يجد أمامه فضاءات بديلة عن المقهى للترويح عن نفسه في ظل انعدام الفضاء الثقافي خاصة في الأوساط الريفية أو المدن الداخلية.

ويؤكد عالم الاجتماع أن الطفرة في عدد المقاهي وإن كانت تمثل عند البعض مؤشرا سلبيا يدل على ميل الشباب إلى إضاعة الوقت في أشياء تافهة مثل لعب الورق أو الثرثرة، إلا أنها تمثل في الحقيقة متنفسا للشاب التونسي يمكنه أن يعبر فيه عن آرائه في مجموعات، كما أن العديد من المقاهي المختلطة توفر للشاب فرصا للتعارف وتمثل له مسهّلا للتواصل الاجتماعي.

ويختم الطويلي "إن وجود المقاهي بأنواعها أفضل بكثير من أن يكون الشارع هو الفضاء البديل في غياب الفضاءات الثقافية الأخرى المفترض أن تكون حاضنة للشباب الباحث عن ملء الفراغ أو عن الترفيه".

معاناة دائمة من الفراغ

مفهوم المقهى تغير عما كان عليه في الماضي فبعد أن كان مكانا للالتقاء بين الأصدقاء لوقت محدود للترفيه على النفس والنقاش، وبعد أن كان مكانا تلتقي فيه نخبة المجتمع من مثقفين ورجال سياسة وأدباء وفنانين في حلقات لتبادل المعارف والنقاش حول المشاغل التي تجمعهم، أصبح اليوم مكانا يرتاده على الأغلب العاطلون والمراهقون والطلاب وغيرهم ممن لا يجدون طريقة لملء أوقاتهم.

قديما كانت هناك مقاه تعرف بروادها مثل مقهى المحامين ومقهى الأدباء ومقهى الفنانين، بينما مقاهي اليوم مليئة بالشباب العاطل عن العمل لأنها الملجئ الوحيد الذي يساعدهم على الهرب من مشكلاتهم.

ويرى الباحث في علم الاجتماع طارق بالحاج محمد أن "المقاهي في تونس كانت في ما مضى فضاء للالتقاء وتبادل الأخبار والخبرات وكان فيها نوع من التخصص؛ فهناك مقاهي السوق للتجار، ومقاه للمثقفين ومقاه للسياسيين ومقاه شبابية ومقاه للمتقاعدين... حيث تجد كل شريحة ضالتها فيها وتلتقي بمن يشبهها في الوضعية والاهتمامات، إنه نوع من التخصص والتقسيم غير المعلن لكنه موجود في المجتمع ومتفق عليه ضمنيا".

وأشار بالحاج في حديثه لـ"العرب" إلى أن المقاهي التونسية كانت تعكس تنوع وثراء المجتمع وتعكس تقسيما معينا للأدوار الاجتماعية، وهي تمثل حاضنة مهنية وثقافية إذ تلعب دورا تعليميا ودورا في الاندماج الاجتماعي وتحصيل الخبرة كل حسب اختصاصه وسنه ومهنته ومستواه الثقافي والاجتماعي.

وأضاف "اليوم تراجع هذا النوع من التقسيم والاختصاص وأصبحت قيم السوق والتسويق هي الطاغية على مقاهينا حيث باتت تتشابه من حيث الرواد والخدمات والهندسة المعمارية وتغيب فيها تلك الروح التي كانت تميز بعضها عن بعض".

وأفاد بالحاج بأن أغلب من يرتاد المقاهي الشعبية في تونس اليوم هم الشباب وتحديدا الشباب العاطل عن العمل، وبذلك تحولت تلك المقاهي من عنوان للتفاعل وتبادل الإحساس بالانتماء وتحصيل الخبرة أو المنفعة أو المتعة إلى نوع من الإهدار المنظم للوقت وتلبية الميول الاستهلاكية التي ما فتئت تزداد وتتوسع يوما بعد آخر.

وخلص الباحث في علم الاجتماع إلى أن المقاهي تحولت من مكان للالتقاء والتثقيف وبناء الأفكار وتحديد المواقف إلى مرتع للشبكات الإجرامية ومكان يتعلم فيه الشاب السلوكيات المحفوفة بالمخاطر، بعد أن كانت مكانا آمنا ومفيدا للشباب.

تغير مكانة ومفهوم المقهى في المجتمعات العربية يحمّل كثيرون مسؤوليته إلى شباب اليوم ويعتبرون أنهم جيل تافه لا ثقافة ولا معارف لديه ليبادلها مع أقرانه في المقاهي، ويرون أنه جيل لا يحمل قضايا ويطرحها للنقاش كما أن شعوره بالانتماء ضعيف.

ويرى هؤلاء المنتقدون للشباب العربي أن حيز الفراغ الفكري والثقافي الكبير لديه جعله يحوّل المقهى من منبر للتثقيف والتفاعل إلى فضاء للسوء وأصحابه تخرج منه أفكار هدامة تقود الشباب نحو الانحراف مثلما تنبعث منه روائح السجائر والشيشة الكريهة.

إهدار منظم للوقت

لا يقتصر الازدحام في المقاهي في البلدان العربية على السهرات الليلية أو أيام العطل بل إنه يستمر طيلة اليوم، وهو ما يثبت أن غالبية روادها العاطلين عن العمل لا يجدون حلولا أمامهم غير اللجوء إلى المقهى للتخلص من أوقاتهم الفارغة في الثرثرة والتدخين والحديث عن مشكلاتهم مع الأصدقاء.

ويؤكد خبراء في علم النفس والاجتماع أن امتلاء المقاهي على مدار اليوم بات أمرا مؤرقا للأسر والشباب والمجتمع بأسره، لأن إمضاء ساعات فيها لم يعد مجرد وسيلة للاستراحة والتسلية بل أصبح واحدة من أشهر العادات الاجتماعية المستشرية عند الشباب العربي الذي يعتبرها مكانا للهروب من الملل وللتوقي من الوقوع في مشكلات الشارع أو في خلافات مع أفراد أسرته بسبب عجزه عن المساهمة في تحمل مسؤوليات العائلة.

ويقول الشاب جلال بن عمر، موظف في شركة خاصة، إنه "في سنوات البطالة لم يكن ارتياد المقهى خيارا يقع من ضمن خيارات كثيرة، بل لم يكن فعل الارتياد فعلا من جنس الأفعال الإرادية الواعية. كانت كل الظروف، المادية والنفسية والزمنية، متضافرة تدفع العاطل دفعا إلى المقهى، ليتحول الفعل إلى استجابة اضطرارية لانعدام الخيارات".

ويضيف أنه بالنسبة إلى تجربته الخاصة فقد كانت المقاهي "توفرُ أوهاما كثيرة متخفية، فقد تضرب موعدا مع قريب وعدك بفكرة عمل أو اقتراح، وقد تلتقي بزميل يقاسمك الوضع نفسه، وقد تصادف صديقا يقرضك بعض المال تجتاز به أياما قليلة، وقد تذهبُ أيضا مدفوعا بغياب كل هذه الاحتمالات فقط لترتاح من التجوال".

ويؤكد جلال أن المعطى الزمني يتقهقر لدى العاطل عن العمل إلى آخر سلم الأولويات، بل يصبحُ معطى إضافيا للضغط النفسي، ولكن في كل هذا لا حل غير كرسي واقع على رصيف مقهى في شارع رئيسي أو فرعي، والاختيار أيضا ليس متاحا أو واسعا. فالمقهى بالنسبة للعاطل عن العمل لم يكن ترفا، بل كان اضطرارا تواطأت على فرضه كل الظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية،

أما بالنسبة للقوى المنتجة فإنها تتحولُ إلى وظيفة أخرى ترعاها وتحددها وترسم خياراتها الإمكانيات المادية لكل مرتاد.

العديد من الظواهر السوسيولوجية المعقدة تخص الشباب ومن بينها ظاهرة امتلاء المقاهي بهم على مدار اليوم وفي أغلب البلدان العربية تثبت مدى تخلف تصورات ورؤى الحكومات العربية التي عادة ما تسارع بتشييد أروقة ومؤسسات بديلة عن المقاهي بصفة مستعجلة واعتباطية لا هدف لها سوى إسكات النخب المراهنة على التقدّم بالأذواق العامة للشعوب، بمعنى أن غالبية الحكومات العربية توفر فضاءات ترفيهية وثقافية منقوصة وليست قادرة على جذب الشباب.

ويؤكد الباحث في علم الاجتماع سامي نصر لـ"العرب" أن إدمان المواطن العربي بصفة جنونية على ارتياد المقاهي يكشف بما لا يدع مجالا للشك أن الشعوب والحكومات العربية لا تحترم في معظمها قيمة الوقت ولا تعيره أي اهتمام، رغم أنه يعد من أهم المعايير التي يتم الاشتغال والاعتماد عليها في الدراسات العلمية المختصة في قيس مستويات تقدم وتطور الشعوب.

ويشير نصر إلى أن العديد من الدراسات السوسيولوجية الحديثة كشفت أن من يحترمون قيمة الوقت في البلدان العربية لا تتجاوز نسبتهم 1 بالمئة. ويرجع تعمّد الشباب العربي قتل الوقت في المقهى إلى العديد من الأسباب الاجتماعية والنفسية متعددة الأبعاد ومن أهمها عدم توفّر مؤسسات تكون قادرة على احتضانه كدور الثقافة أو المسارح .

وأشار إلى أن للأوضاع الاجتماعية الصعبة دورا كبيرا في حصر الشباب في خيار واحد لا ثاني له وهو المقهى وذلك بسبب غلاء أسعار فضاءات الترفيه الأخرى، موضحا أنه على الرغم من أن معضلة قتل الوقت متجذرة في الثقافة العربية والإسلامية بصفة عامة، إلا أن لها تداعيات نفسية متعددة.

ودعا بن نصر الحكومات العربية إلى وجوب تركيز حلقات نقاش مكثفة لدراسة ظاهرة الفراغ التي تدفع الشباب إلى المقاهي لقتل الوقت والتي نخرت المجتمعات وجعلتها غير قادرة لا على الإبداع ولا على الخلق على شاكلة الدول المتقدّمة التي لا يضيع فيها الشاب أكثر من 15 دقيقة يوميا في المقاهي.

إن غياب المؤسسات الثقافية التي يمكن أن تلعب دور البديل للمقهى لدى الشباب اليوم يقدم الوجه الآخر لعجز الحكومات العربية عن احتواء شبابها وتوظيف طاقاته، وهو دليل على غياب الحلول أو التصورات الكفيلة بالتقليل من تفشي البطالة، لا القضاء عليها لأنها حاضرة في كل المجتمعات. وإذا وضعت الحلول والاستراتيجيات التي يحس الشباب العاطل أنها خلاقة أو مفيدة، سيذهبُ إليها ويطرق بابها، وحينها يمكن للمؤسسات الثقافية والرسمية أن تتحول إلى فضاء يستوعب تحويل تلك الأفكار إلى وظائف.

الطيب الطويلي:
الشباب يجد في المقهى مكانا لإفراغ شحنات قلقه الناجم عن الفراغ

سامي نصر:
الأوضاع الاجتماعية الصعبة تحصر الشباب في خيار واحد لا ثاني له وهو المقهى

طارق بالحاج محمد:
المقاهي تحولت من مكان للتثقيف وبناء الأفكار و إلى مرتع للشبكات الإجرامية

مشاركة المرأة الجزائرية في صنع القرار حقيقة أم مجرد أرقام

وجود النساء في البرلمان لم يضمن حقوق الجزائريات الضائعة

الحضـور اللافت للمرأة الجزائرية في مراكز صنع القرار لم يحررها من قيود الأعراف الاجتماعية، بل على العكس كرس التسـويق السياسـي لتمثيل المرأة في المؤسسـات الرسـمية ثقافـة الانتهازية بدل أن يخدمهـا ويخدم بنات جنسـها، جاعلا وجودها في البرلمان صوريا أكثر منه فعليا.

صابر بليدي
كاتب جزائري

❑ **الجزائر** – رغـم المكتسـبات التـي حققتها المرأة الجزائرية خلال العشـريتين الأخيرتيـن، ودخولها بشـكل لافت المشـهد السياسي، إلا أن الذهنية الذكورية للمجتمع وشكوك الناشـطين في المجالين السياسي والحقوقـي، لازالـت تتحـدث عـن توظيف صوري من طرف السـلطة لملف المرأة. ففي الوقت الذي تتربع فيه المرأة الجزائرية على المؤسسـات المنتخبة والهيئات الحكومية الرسـمية ومختلف القطاعـات، يذهب هؤلاء إلـى أن واقع التعسـف والانتهـاك والنظرة الدونية تلمح إلى اختـلالات غير معلنة بين الصورة والحقيقة.

ويجزم مختصون وحقوقيون في الجزائر، بأن المسافات المتباعدة بين رموز المجتمع النسـوي في البـلاد وغالبية النسـاء باتت تطرح تناقضات بين حقيقة الصورة المسوقة حول المكتسبات السياسية والحقوقية التي سجلتها المرأة الجزائرية منذ قدوم الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة للسـلطة في 1999، وبين الواقـع المنطـوي على ممارسـات الحرمان والتعسف وانتهاك الحقوق المسكوت عنه.

وإذ باتت المرأة الجزائرية حاضرة بقوة وبموجـب القانون، فـي المجالس المنتخبة محليا ووطنيا، وفي المؤسسـات الرسمية، فضـلا لاجتياحهـا لقطاعـات برمتهـا، فإن صوتها لا يزال مغيبا وانشـغالاتها مسكوت عنهـا، فهـي تعانـي في صمت مـن مختلف الانتهـاكات اليومية، ومن تعسـف الذهنية الذكوريـة في البيت ومقـر العمل وحتى في الشارع والأماكن العمومية.

وكان قانـون الأحـزاب السياسـية والاسـتحقاقات الانتخابيـة والمجالـس المنتخبـة، قد أقـر منذ العـام 2012، بحصة الثلـث فـي أي قائمـة تتقـدم لخـوض أي انتخابـات، وتجسـيد نفـس الحصـة فـي المؤسسـات الانتخابيـة، لتكـرس بذلـك مكتسبات سابقة كرسـها الرئيس بوتفليقة، بحضـور المـرأة الجزائريـة فـي الحكومة والمؤسسـات السـيادية، فضلا عـن الأمن والجيش والقطاعات المدنية الأخرى.

الوقت كفيل بمعالجة الأزمة

فيمـا أفضى القـرار إلى تأنيـث وتنعيم غير مسـبوق للمؤسسـات المذكورة، إلا أن المسـافات مازالـت متباعـدة بيـن النخبة النسـوية وبيـن الطبقـات الشـعبية، حيث مازالـت المرأة الجزائريـة ضحية التحرش والتمييز والتعنيف في البيت والشـارع رغم ترسانة القوانين التي تجرّم وتعاقب مثل تلك السلوكيات.

ومازالـت تضطر إلـى القبـول بالزوجة الثانيـة والثالثـة والرابعـة (الضـرة) رغم حظر قانون الأسـرة لتكرار الزواج دون علم الزوجة السـابقة واللاحقة، لأن حيلة الرجال تدفعهـا للحفـاظ علـى مصلحة واسـتقرار أبنائها وأسـرتها، وإلى الإقرار بالخلع الذي يفقدهـا حقوقها عند الطلاق، بسـبب الفراغ القانوني الذي يسـتغله الأزواج لعدم تحمل تبعات الطلاق العادي، كما أن بعض الأعراف السـائدة تظل معتبرة إياهـا كائنا غير ذي حق فـي الميراث، لأن الأولوية دائما للذكور، والذهنيات السـائدة لازالـت ترفض تحويل جـزء من ملـك العائلة لشـخص غريب عنها (زوج البنت).

واللافـت أنه رغم قيادة عدد من النسـاء لأحزاب سياسية وجمعيات أهلية وحقوقية، وتواجدهن بقوة في المؤسسـات الرسـمية والبرلمان والمجالس المحلية، إلا أن قضايا المرأة والمجتمـع تبقى غائبة عن النقاش العـام، وحتى آليات الرقابة والمسـاءلة المتصلـة بحقوق المـرأة والاختلالات المسجلة في الواقع، الأمر الذي يبقي صـوت المـرأة، العاملـة والماكثـة والبطالـة والطالبـة والعانـس والمطلقة، غائبا عن هذه المحافل.

ويـرى مختصـون أن أزمـة التمثيل والدفـاع وتبني قضايا المـرأة مـن طـرف النخبـة النسوية في المؤسسات تعود إلـى اسـتمرار عمـل هؤلاء تحت عبـاءة الرجـل، فكل النائبـات أو المنتخبـات والناشطات يشتغلن وفق أجنـدة ذكورية فـي الحـزب أو الجمعية أو المؤسسـة، بحيث لا تمنح الأولوية لقضايا المرأة ويتفرغن كمـا يتفرغ الرجال للقضايا والملفات الأخرى.

وتـرى المحاميـة والناشـطة الحقوقية فاطمـة الزهـراء بـن براهـم، فـي اتصـال لـ"العرب"، بأن "النخبة النسوية المتواجدة فـي المجالـس المنتخبة، هي نتـاج تراجع رهيـب لأخلاقيـات الممارسـة السياسـية، وليس نتـاج قناعـات ومشـاريع مجتمعية تناضـل لأجلها فـي البرلمـان، وتقنن على أساسها التشـريعات والنصوص التي يدار بهـا المجتمـع، وعليـه فإن الظاهـرة تبقى شكلية لإرساء ديمقراطية الواجهة، ولا علاقة لهـا بتمثيل المـرأة الجزائريـة أو المرافعة لصالح اهتماماتها وانشغالاتها".

تسويق صورة معينة

ذهبـت بـن براهـم إلـى أن "التواجـد النسوي في البرلمان وفي المجالس المحلية ومختلف المؤسسات لا يعكس حقيقة وواقع المرأة الجزائرية، لأن التعديلات الدسـتورية والقوانين التي أجبرت الأحزاب والمؤسسات المنتخبة على إيلاء حصـة الثلث للمرأة، لم تكن بغرض تبني قضايا وانشـغالات المرأة والدفاع عنها في تلك المحافل، بقدر ما كانت من أجل تسـويق صورة معينة للسلطة لدى الـرأي العـام الدولي، وتكريـس ديمقراطية الواجهـة التي تتغنى بالشـعارات والصور المزيفة وليس إصلاح وترقية واقع معين".

وطرحـت مسـألة الكفـاءة الأكاديميـة والسياسية للنخبة النسـوية الحالية بقوة، بسـبب الأصداء والممارسـات الـواردة من أروقة البرلمان وبعض المؤسسات المحلية، والتـي تفتقـد للطموحات والآمـال المعلقة علـى هؤلاء فـي الدفـاع عن قضايـا المرأة والمجتمع الجزائري بشكل عام، مما أفقد ثقة المرأة الجزائرية فـي النائبات والمنتخبات لضرورات قانونية، وليس لقناعات سياسية واجتماعية لدى الطبقة السياسية.

وشـكل وصف "برلمـان الحلاقات" على التركيبة النيابية التـي أفرزتها الانتخابات التشـريعية للعام 2012، المتزامنة مع دخول قانون حصة الثلث النسـوي حيـز التنفيذ، صورة مخيبة للمـرأة الجزائرية عن النخبة التـي ارتقت لتمثيلها والدفاع عنها، في أكبر المؤسسات التشـريعية والرقابية للقوانين وعمل الحكومة.

وتـرك متفائلـون بمسـتقبل الحضـور السياسـي للمـرأة الجزائرية، الأمـر لعامل الوقت من أجل تجـاوز الاختلالات التمثيلية وأزمة الثقة، فالتجربة البرلمانية للعام 2012، هي وليدة وضع معين، حيث وجدت الأحزاب السياسـية والقوائم المستقلة آنذاك، نفسها مضطـرة للتعامـل مع وضع جديـد فرضته المـادة 31 مكـرر من الدسـتور، التـي تلزم الطبقة السياسـية بترشـيح ثلـث القائمات من النساء، فاستعان بعضها بأي أنثى، دون الأخـذ بعين الاعتبـار الكفاءات السياسـية والمهنيـة والتعليمية للتكيّـف مع القانون، فكان أن أفرزت نتائج تلك الانتخابات تتويج نسوة من فئات اجتماعية لا اهتمام ولا علاقة لها لا بالسياسة ولا بالبرلمان ولا بالأحزاب. ويسـتدل هؤلاء بكون نخبة البرلمان الحالي المنتخـب في 2017، قـد تخلصت نسـبيا من إرث العهدة البرلمانية السابقة، ورغـم أنها مازالـت بعيدة عـن الطموحات لحد الآن في تبني قضايـا المرأة الجزائرية والعمل على إصلاح الأمر الواقع واسـتعادة جسـور التواصل والثقة بينها وبين النساء الجزائريـات، فـإن هامـش الوقـت لا يزال بيدهـا، وبإمكانها تغييـر الواقع والمفاهيم من الآن إلى غاية نهاية العهدة في 2022.

ويبقى الإنجـاز اللافت للمرأة الجزائرية في الممارسة السياسية مقارنة بنظيرتها في المنطقـة العربية، محل نظرة ناقصة تصفها بـ"النخبة التي صنعتها الظروف، وليس هي التي تصنع الظروف في المشـهد السياسي الجزائري".

وتصـر بـن براهـم علـى اعتبارهـا نتـاج تراجع رهيـب لأخلاقيات الممارسـة السياسية، وليسـت نتاج قناعات ومشاريع مجتمعية تناضـل لأجلها في البرلمان، وتقنن على أساسها التشـريعات والنصوص التي يدار بها المجتمع.

نشاط نضالي كبير

أرجعت بـن براهم في حديثها لـ"العرب"، أسـباب ومسـؤولية مـا تصفه بـ"النكسـة السياسـية والحقوقية التي أسـاءت للمرأة الجزائريـة وللهيئة التشـريعية في البلاد"، إلـى "الطبقة السياسـية والتركيبة البنيوية والفكرية للأحـزاب السياسـية التي تمتهن ممارسـات انتهازيـة بعيـدة عـن القناعات والأفكار والحس النضالي".

وتـرى النائب نادية شـويتم عن حزب العمال اليساري أنه "رغم النقائص المحيطة بـدور ومهام المرأة الجزائريـة في البرلمان والمجالـس المنتخبـة، والانتقـادات التـي تنطوي في الكثير مـن الأحيان على خلفيات فكريـة وأيديولوجيـة معارضـة للحضـور السياسـي للمـرأة، فإنـه لا بد مـن التنويه بالنشـاط النضالي للنسـاء الجزائريات في مختلـف المحافل، من أجل قضاياها وقضايا المجتمع".

وقالت شـويتم في تصريح لـ"العرب" "لو تعلق الأمر في الحضور النسوي بانشغالات ومشاكل المرأة الجزائرية، لأصبحت المهمة التمثيلية فئوية صرفة، وليست وظيفة نيابية تشـتغل على التشريع والرقابة والاقتراح في مختلف الميادين، والاضطلاع بالمسؤوليات يتوجب على النائب ملامسة نبض المجتمع، ولو أنه لا بد مـن الاعتراف بأن وضع المرأة لا يسرّ".

وكانت شـويتم قد أثارت جدلا ساخنا في الأشهر الأخيرة، من خلال مقترح لها للحكومة بتخصيص غلاف مالـي لتعميم تعليم اللغة الأمازيغية، ودخلت في سجال مع نواب الأغلبية البرلمانية الموالية للسلطة بعـد معارضتهـا للمقترح، ما أثار حراكا اجتماعيا وثقافيا فـي منطقة القبائـل، اضطر السـلطة في نهاية المطاف إلـى الرضـوخ لمطالـب تجسيد وتكريس المكون الأمازيغي في الهويـة الوطنية، وإطلاق حزمة من الإجراءات لفائدة الملف. ويحسـب للنائـب جرأتهـا في طرح القضيـة المتصلة بالهويـة الأمازيغية، وإدارتها لجدل سـاخن بين أطياف الطبقة السياسية والنيابية، حمل انطباعات إيجابية عن اضطلاع المرأة النائب بمهامها التمثيلية، وبانصهارها مع القضايا الأساسية للمجتمع، رغم ما يشاع عن اهتمام هذه الفئـة بالمزايا والامتيـازات والقضايا الشخصية.

ويرى متابعون لشـؤون المرأة أن المكانة التي تحتلها المرأة الجزائرية في المؤسسـة السياسية جعلتها في صدارة المنطقة العربية وفي ترتيب محترم عالميا، وقد تكرّست بشكل لافت خـلال العشـريتين الأخيرتيـن بفعل إرادة سياسـية تسـتمد جذورها من الثورة التحريرية (1954–1962)، حيث ساهمت بشكل كبيـر وفي مختلـف المسـتويات إلى جانب الرجل في مقاومة الاستعمار الفرنسي.

ويرجع هـؤلاء تواجد المـرأة الجزائرية إلى سنوات الاستقلال الأولى في المؤسسات العليـا للبـلاد، كالحكومـة والبرلمان، حيث اجتاحت تدريجيـا مختلف القطاعات، لدرجة تأنيث قطاعات برمتها في السنوات الأخيرة، على غرار التعليم والصحة والقضاء والأمن، وتجاوزت في هدوء أعتاب مؤسسـة الجيش التي كانت حكرا على الرجل.

دور مجتمعي وليس فئويا

سمحت الخيارات السياسية للبلاد للمرأة الجزائريـة بأن تكون فـي مراتب جد متقدمة مقارنة مع بعض الدول العربية والإسـلامية. فمنـذ دسـتور 1964 الـذي تبنـى الخيـار الاشـتراكي، وجدت المرأة الجزائرية نفسها تحقق أولى مكتسـباتها، لأن الخيار يساوي بين المرأة والرجل فـي الحقوق والواجبات عكس بعض الأنظمة السياسية الأخرى.

واسـتفادت المـرأة الجزائرية من دورها التاريخـي فـي ثـورة التحرير، ممـا مكنها من تسـجيل حضورها الرمـزي في البرلمان منـذ عهدتـه الأولـى (1964)، كمـا حملـت حقائـب وزاريـة ودبلوماسـية فـي أولـى حكومـات الاسـتقلال، إلى جانـب ولوجها السـهل للثورات الثـلاث (الزراعية، الثقافية والصناعيـة)، فضـلا عـن انصهارهـا فـي تنظيم الاتحاد الوطني للنسـاء الجزائريات، الذي كان فضاء رسـميا تبلورت فيه نضالات وطموحات وأفكار المرأة الجزائرية.

إلا أن طموحاتهـا اصطدمـت بإفـرازات العشـرية الحمـراء، واجتيـاح الإسـلام السياسـي بقيادة جبهة الإنقـاذ المحظورة آنذاك للمشهد العام، فما كانت تعول عليه من قرار الانفتاح السياسـي والتعددية الحزبية والإعلامية، المتخذ آنذاك من طرف سـلطات البـلاد، لطـرح أفكارها للمجتمع، أسـقطته لاءات الإسـلاميين الذين حظروا كل أشـكال التعبير وقمعوا الحريات النسوية.

ويعد اغتيال 11 معلمة في سيدي بلعباس بغـرب البلاد العـام 1997، من طـرف تنظيم إرهابـي إسـلامي، إحـدى الصور البشـعة والدموية لتضحيات المرأة الجزائرية خلال العشرية الحمراء، ووقوفها الشجاع في وجه المشروع الظلامي، الذي دمر المجتمع وهدد كيـان المرأة بحرمانها مـن حقها في الحياة والعمـل والنضـال، لأن المشـروع الإرهابي اسـتهدفها في حياتهـا وحريتهـا وأرادها قتيلة أو أرملة أو مكلومة.

> الجزائرية تعيش شرخا بين حقيقة الصورة المسوقة حول المكتسبات السياسية التي سجلتها وبين الواقع المنطوي على ممارسات الحرمان والتعسف

وتعـد أم عزالديـن (60 عاما آنـذاك) من بلـدة أولاد لعـلام بمحافظـة البويـرة (120 كلـم جنوبي العاصمـة)، التي تطوعت خلال الحقبـة المذكورة، لحمل السـلاح ومحاربة الإرهـاب، نموذجـا حيـا لشـجاعة المـرأة الجزائرية، ولرسـالة الأمل في الحياة وإنارة مسـتقبل الأجيال في كنف الأمن والاستقرار، والتضحيـة من أجل مسـتقبل المـرأة الأم والبنت والزوجة والمجتمع بشكل عام.

ورغـم وقـوف إسـلاميين ومحافظيـن فـي وجـه المكتسـبات المحققـة، خاصة مع إقـرار ما يعـرف بـ"البند الثالث عشـر مكرر، فـي التعديل الدسـتوري للعام 2008، والقانون العضـوي للانتخابات الصادر في العـام 2012، إلا أن تناغم الإرادة السياسـية مع الفعاليات السياسـية والمدنية، سـمح بتحقيـق خطـوة كبيرة فـي طريـق ترقية حقوق المرأة وتجسيد حضورها السياسي، بعدما أجبرت الطبقة السياسية على احترام قوانيـن اللعبة، والإقرار بحصـة الثلث في قوائمها الانتخابية، ما سمح لها بالحضور الآلـي فـي مختلـف المجالـس المحليـة والوطنيـة المنتخبة، رغم ما يحسـب على العملية.

ومع ذلـك يبقى التمثيل النسـوي فاقدا للمصداقيـة والفعاليـة، قياسـا بأوضـاع المـرأة الجزائريـة خاصـة فـي المناطـق الريفيـة والداخلية، حيـث تحصي الهيئات الرسـمية ارتفاعا ملحوظـا للبطالة والأمية والانتهـاكات الحقوقيـة، بسـبب هيمنـة الذهنية الذكورية على المجتمع، واستحواذ العـادات والأعـراف البالية التـي تصنف المـرأة ككائن بشـري مرادف لـكل نقائص وإخفاقات الرجل.

وتذكر رحمة (42 عاما)، من محافظة باتنة بشـرق البـلاد، لـ"العرب"، أنـه مهما ارتقت المرأة في المؤسسـات الرسمية والمنتخبة، فـإن ذهنية المجتمع هي التـي تحكم وتدير شـؤون المـرأة، فقـد كان زوجهـا يجردها كليا من الثياب في بهـو البيت عرضة للبرد القـارس، عقابا لهـا على عـدم حملها، بدل أن يبحـث أن أسـباب العقم فـي المصحات ولدى الأطبـاء. وأكدت أن المشـكلة لا تكمن في القوانيـن والخطابات السياسـية، بقدر ما تكمن فـي الأعراف والعـادات المتوارثة، فكـم من فتـاة شـريدة وطريدة في شـوارع المدن الكبرى وبين قبضة الوحوش الآدمية، وذنبهـا الوحيد أنه لا القانـون ولا التمثيل السياسـي قـادر علـى توفيـر الحماية لها مـن الأخطـاء المعرضة لها مـن كلا الناس، والأدهـى أن العقاب لا يتسـاوى بينها وبين الرجـل في نفس الخطـأ، لأن الرجل في نظر المجتمع الجزائـري منزّه بينما تقرن المرأة بالشتيمة والعار.

مصر تشن حربا على زواج الأطفال

تزويج القاصر جريمة وليس جنحة

لجأت الحكومة المصرية إلى إجراء تاريخي من نوعه، لمواجهة ظاهرة زواج الأطفال، بتجريم كل فعل يخدم الزواج المبكر للفتيات، بحيث يكون تزويج القاصر قبل بلوغها سن الثامنة عشرة جريمة وليس جنحة، ولا تسقط التهمة بالتقادم، ويظل صاحبها مجرما بنظر الحكومة حتى وإن أنهى عقوبة السجن.

أميرة فكري

❏ يستعد مجلس النواب في مصر خلال أيام لمناقشة مشروع قانون مقدم من وزارة العدل، تتوقع المصادقة عليه قريبا، ويعاقب كل من ساعد وساهم ودعم وسهل زواج القاصر، بالحبس المشدد مدة لا تقل عن سبع سنوات، سواء المأذون أو أقارب الفتاة أو أقارب الزوج، وأئمة المساجد الذين يقومون بتزويج الفتيات القاصرات.

ولا تتعدى العقوبة الحالية أكثر من عام واحد، ويعاقب فيها والد الطفلة فقط، لكن التشريع الجديد يمثل سابقة أولى بأن يكون هناك "حظر نهائي لهذا النوع من الزواج"، بعد اعتباره جريمة وتكون العقوبة موجهة لكل الأطراف.

وتتعامل الحكومة المصرية مع الأمومة المبكرة باعتبارها قضية أمن قومي، لأنها أحد مسببات الانفجار السكاني المتهم بأنه أكبر عائق أمام التنمية المستدامة.

;ما يميز مشروع القانون، أنه يحمل رسالة ترهيب شديدة اللهجة لمن يفكرون في تزويج قاصر، لأنه ينص على العزل من وظائفهم بعد ثبوت التهمة عليهم، سواء والدها أو والد زوجها أو المأذون، أو الموظفون الحكوميون الآخرون الذين يسهلون إضفاء الشرعية على هذا الزواج.

> مشروع قانون يعاقب كل من ساعد وساهم ودعم وسهل زواج القاصر، بالحبس المشدد مدة لا تقل عن سبع سنوات

ومن بين هؤلاء؛ العاملون بمكاتب الصحة التابعة لها الأسرة، وهم أحد أهم أسباب انتشار الظاهرة لأنهم يقومون بتسجيل أبناء القاصرات دون اشتراط عقد زواج رسمي، مقابل مبالغ مالية، وكان تسجيل الأطفال لا يمثل مشكلة لهذه الزيجات.

وقررت وزارة العدل تطوير عقود الزواج لعدم التلاعب أو التزوير، عن طريق وضع علامة مائية على الوثيقة، ولا يعتد بسواها في المؤسسات الحكومية، على أن تكون بطاقة الرقم القومي (الهوية الشخصية)

لا تلاعب بعد اليوم

السبيل الوحيد للتأكد من بلوغ الزوجين السن القانونية، وتكون الشرط الأساسي لتحرير العقد. ويعني ذلك، أن الحكومة قررت إلغاء الشهادات الطبية المعروفة بـ"شهادات التسنين"، التي كانت تستخدم كبديل عن بطاقات الهوية لتحديد سن الفتاة، ويسهل تزويرها، وبالتالي غلق أهم ثغرة في رحلة الزواج المبكر.

ووفق التعداد السكاني الأخير في مصر لعام 2017، فإن هناك الآلاف من الفتيات تزوجن وهن في سن الثانية عشرة، بينهن مطلقات وأرامل الآن، ما تسبب في صدمة لجهات تنفيذية وتشريعية حول طريقة اختراق القوانين التي تمنع الزواج لمن هن دون سن الـ18 عاما. وتبيّن للحكومة والبرلمان أن الأسباب الرئيسية للأمومة المبكرة، تنحصر في المأذون الشرعي وانتشار التعامل بالشهادات الطبية في تحديد السن وسهولة تسجيل أبناء القاصرات بمكاتب الصحة، ما يعكس أن مواد القانون الجديد تستهدف مواجهة ثغرات مرتبطة بصميم الأزمة.

وتنتشر الأمومة المبكرة بشكل لافت بين الأسر الفقيرة وفي المناطق الريفية والشعبية وصعيد مصر، لأن الأسرة تنتظر بلوغ الفتاة في أسرع وقت حتى تقوم بتزويجها والتخلص من أعبائها المادية، نظرا للظروف المعيشية الصعبة، والاعتقاد بأن زواجها يخفف من الأعباء الواقعة على الأسرة.

ويحظى التشريع الجديد بتأييد واسع بين أعضاء مجلس النواب، لا سيما وأن التصدي لزواج الأطفال يتمتع بدعم رئاسي كبير، لكن تظل هناك إشكالية كبرى أمام الحكومة لتحقيق الأهداف المرجوة من القانون، وتتمثل في أميّة أكثر الأسر التي تؤمن بزواج القاصرات.

وقالت سهير لطفي أستاذة علم الاجتماع بجامعة حلوان (جنوب القاهرة)، إن الأزمة الحقيقية تكمن في غياب وعي قطاع واسع من الناس بالقانون مهما كانت العقوبات مشددة، وتتعاظم الأزمة عندما يكون هذا القطاع المتهم الأول في انتشار الظاهرة، والعقوبات وحدها غير كافية، ما لم تعقبها حملة إعلامية وثقافية ودينية واسعة. وأضافت لـ"العرب" أن المواجهة الشاملة والصارمة مع أعضاء هذه المنظومة كفيلة بأن تكون مصر خالية من الزواج المبكر، لكن تحقيق ذلك بحاجة إلى نشر ثقافة العقوبة على نطاق واسع، مع التركيز على العزل الوظيفي والحبس المشدد.. ويجب أن تعرف الأسرة التي تعيش في أقصى منطقة فقيرة أنها أيضا مهددة إذا زوّجت طفلتها.

وأكثر الفتيات اللاتي تزوجن قبل بلوغ السن القانونية، غير راضيات عن حياتهن الزوجية، ويعشن أياما عصيبة خشية الطلاق أو تنصل الأزواج منهن قبل تسجيل العقود الرسمية، ما يتسبب في ضياع جميع حقوقهن، وبعضهن مضطرات لقبول هذا الوضع لعدم تصنيفهن كعاصيات لأسرهن. وثمة إشكالية أخرى تكمن في انتشار زواج الأطفال ببعض المناطق في صعيد ودلتا مصر، على أنه عرف مجتمعي، أي أن الفتاة إذا بلغت 14 عاما يصبح زواجها شرعيًا، ويكمن الإشكال في أن هناك فئة من الشيوخ والسلفيين يدعمون ويؤيدون هذه الثقافة، بل يصبغون وجهة نظرهم بآراء ومواقف دينية قديمة، عفى عليها الزمن.

وقالت سوسن مصطفى عضو ائتلاف حقوق الطفل المصري لـ"العرب"، المشكلة أن الأسر الفقيرة تتعامل مع بعض أئمة المساجد وشيوخ السلفية على أن كلامهم مصدّق، لأن هذه الفئة من الأهالي متدينة بالفطرة.

وقالت "تحصين الفتاة من الزواج المبكر يبدأ من تدخل المؤسسات الدينية الكبرى، مثل الأزهر ودار الإفتاء ووزارة الأوقاف بتحريم هذه الخطوة.. لا يمكن أن يتصدى القانون وحده لانتهاكات المجتمع ضد الصغيرات، لأن صمت هذه المؤسسات يجعلها شريكا بشكل غير مباشر في انتشار الظاهرة".

ولا بد من تصنيف المناطق التي تشرع زواج الأطفال وتتعامل مع كل واحدة وفق الأسباب والمبررات، بحيث تغلق كل الثغرات بما يتوافق مع دوافع ظهورها، هل الزواج بسبب الفقر، أم بذريعة تحصين الفتاة من العنوسة، أم لأسباب تتعلق بما يسمى "الستر"، بحيث تكون حملات التوعية مرتبطة بواقع مواز لا مغاير لها.

الانهيار الأخلاقي بين الإمكان والاستحالة

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ من المواضيع الساخنة في أيامنا هذه والتي استطاعت أن تجمع حولها توافقا فريدا، موضوع الانحدار الأخلاقي في المجتمعات العربية بشكل لافت للنظر، حيث غدت المنظومة الأخلاقية والقيميّة هشة وفي طريقها إلى التحلل، والمؤشرات الدالة كثيرة بل اتخذت شكل الظواهر الاجتماعية التي تنخر في صلب النسيج العائلي والمجتمعي وحتى الكوني.

الشاعر المصري أحمد شوقي يقول في بيته الشهير:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت * فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن هنا يتجلّى الإشكال الأهم والمتعلق بهذا الموضوع والذي يتمثل أساسا في أسباب هذا الانحطاط الأخلاقي ومظاهره وارتداداته على الفرد والأسرة والمجتمع عموما.

إن السيرورة التاريخية والصيرورة الحضارية الكونية تجيزان بما لا يدع مجالا للشك الاختلاف على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب بل الاختلاف فطري في البشرية، وكذلك تجيزان التطور الطبيعي لبنية العقول في علاقتها بالفلسفة والفكر والدين وجميع المرجعيات والقوالب التي تساهم في التغير المبني على التراكم ثم التجاوز.

يعني كل هذا أن الاختلاف في تقييم وتقويم المنظومة القيمية الأخلاقية طبيعي في العلاقة التي تربط الأجيال ببعضها البعض، ولكن أيضا من غير المعقول أن تُهدّم المنظومة بأكملها في شكل يقوم على ما يسمى في علم الاجتماع بـ"الانبتات" بمعنى قطع الجذور الحضارية والثقافية التي تصلنا بالماضي.

إن المشاهد التي تتكرر يوميا أمام الفضاءات المدرسية والتعليمية بل في بعض الأحيان داخل أسوارها، ولعل أبرزها التلفظ بألفاظ نابية وخادشة للحياء بمناسبة أو دونها مع تواجد الجنسين معا وكأن الحدود الفاصلة بين الذكر والأنثى امّحت تماما، أما التدخين فأصبح عملية معلنة دون مواربة أو تخفٍ يمارسها المراهقون -ذكورا وإناثا- وقد يصل الأمر إلى أخطر من ذلك مثل تعاطي المخدرات والأقراص المخدرة وغيرها من وسائل الإدمان.

فإذا كان الوسط المدرسي ومحيطه أضحى مسرحا لهذا التدهور الأخلاقي وهو فضاء التعلم، فما بالك بالفضاءات الاجتماعية الأخرى. وعلى سبيل المثال المتجول في شوارع المدينة في شهر رمضان -من المفروض هو شهر الستر والتقوى واحترام مشاعر الآخرين- يشاهد ظواهر لا تمت بأي صلة إلى المنظومة الأخلاقية المترسخة عبر الزمن والأجيال، منها المجاهرة بالإفطار والتدخين، وهي قناعة شخصية، ولكنها تصبح غير مقبولة إذا كانت استفزازية.

ومن المظاهر الدالة أيضا على الانحطاط الأخلاقي الكلام البذيء في الأماكن العامة كالشارع ووسيلة النقل والملعب والمتجر وغيرها، دون أدنى احترام لكبار السن أو الأطفال أو النساء. كلنا يدعم مشاعر الصداقة الجميلة وأحاسيس الحب النقية، ولكن ما نرفضه هو الاستهتار بمثل هذه المشاعر وإفراغها من محتواها الروحي والأخلاقي لتصبح مجرد ممارسة جسدية لا معنى لها والأدهى والأمر أنها تمارس في كل الأمكنة وعلى الملأ. إن المرأة وما يحيط بها من نبل وقداسة تفقدها بمجرد كسر الحواجز الأخلاقية بينها وبين الرجل، وهنا لا نقصد الممارسات الجنسية ولكن بمجرد كسر الحواجز تهتزّ أنوثة المرأة خاصة في نظرة المجتمع، وحتى الذكور يفقدون هيبتهم الاجتماعية في سياق ممارساتهم اليومية غير المحسوبة.

الملاحظ والملفت للانتباه أن مظاهر الانحدار الأخلاقي لم تعد مظاهر فردية منعزلة بل اتخذت صبغتها الاجتماعية المنتشرة والعامة حيث شملت كل الشرائح الاجتماعية دون اعتبار للسن أو الفوارق المادية والطبقية، ولذلك طبعا أسباب عديدة، من أهمها النسق الحضاري العام الذي انخرطت فيه جميع المجتمعات دون استثناء في إطار العولمة ومركزية المعرفة وبطبيعة الحال فقدت القيم المعنوية والروحية قيمتها لصالح التفكير النفعي البراغماتي حيث لا قيمة لأي فعل إلا إذا حصلت من ورائه فائدة مادية مباشرة.

فالصداقات والعلاقات بين الأجيال وبين الكبار والصغار وبين الرجال والنساء أصبحت تقودها المصالح لا غير في غياب شبه تام للخصوصية وللأنساق الأخلاقية المبنية على الاحترام المتبادل والمحافظة على الثوابت القيمية التي من المفروض أن تحافظ على مكانتها الثقافية والحضارية رغم التطورات العميقة التي شهدها العصر. أما السبب الثاني فهو بالتأكيد فقدان الإحاطة الاجتماعية أو بالتحديد "المرافقة" بالمعنى التربوي الأكاديمي، في خضمّ تراكم المشاغل اليومية وتعددها على حساب تربية النشء ومرافقته وتعليمه الثوابت والأسس الأخلاقية المتجذرة، وحمايته من الانجرار الأعمى وراء مغريات الحضارة الكونية الوافدة دون استئذان بواسطة انتشار شبكات التواصل الاجتماعي والتي طرقت باب كل شخص وكل بيت وكل مجتمع.

إذن فالإهمال الذي يمارسه الكبار -بقصد أو دونه- يعود بالسلب على الأجيال حاضرا ومستقبلا، وبعد ذلك هؤلاء الكبار أنفسهم هم الذين يشتكون من سوء الأخلاق وينعون "الزمن الجميل الذي ولى ولم يعد"، متناسين دورهم المركزي في ما وصلت إليه الأمور.

ورغم النظرة التي يغلب عليها التشاؤم إلا أن الحلول ممكنة بإدارة حوار مجتمعي لا يستثني أحدا لتشخيص الظاهرة تشخيصا موضوعيا دون السقوط في الإسقاطات الدينية أو الأيديولوجية، ثم البحث عن المخرجات الموضوعية وفق مشاريع استراتيجية على المدى المتوسط والبعيد.

طبق اليوم

طبق البطاطا باللحم المفروم

* **المقادير:**
- 2 كيلوغرام بطاطا مسلوقة
- كيلوغرام لحم مفروم
- 2 حبات بصل مفروم
- ملعقة صغيرة بهار مشكل
- نصف ملعقة صغيرة فلفل أسود
- نصف ملعقة صغيرة هيل مطحون
- 2 ملاعق صغيرة ملح
- نصف كوب حليب
- ربع كوب لوز للتزيين
- 3 ملاعق كبيرة زيت نباتي لقلي اللحم المفروم والبصل.

* **طريقة الإعداد:**
- يوضع الزيت في مقلاة على النار ويضاف البصل المقطع ونتركه حتى يذبل.
- يضاف اللحم المفروم والبهار والملح والهيل والفلفل الأسود وتحرك حتى تنضج اللحمة تماما.
- تهرس البطاطا، ويضاف الحليب السائل للبطاطا مع ملعقة صغيرة من الملح.
- توضع نصف كمية البطاطا المهروسة في صينية الفرن، ثم يضاف اللحم المفروم المطبوخ مع البصل، ثم تغطى بباقي كمية البطاطا المهروسة، وتزين بحبات اللوز.
- يترك طبق البطاطا مع اللحم المفروم لمدة 15 دقيقة بالفرن حتى يتحمر ويقدم ساخنا.

موضة

أزياء تتميز بالعفوية والبساطة

❏ خاطبت المجموعة الجديدة لصيف 2018، التي أطلقتها مصممة الأزياء المصرية هبة قنصوة جميع الأذواق، وتميزت بأقمشة متنوعة وموديلات رقيقة.

وتحدثت قنصوة حول مجموعتها قائلة "الموضة العالمية هذا العام تتجه إلى العفوية والبساطة في جميع التفاصيل وهذا ما حرصت على أن يكون موجودا في جميع الموديلات، حتى تجد كل فتاة ما يلائم جميع الأوقات سواء للصباح أو المساء".

وأشارت إلى أن الفتاة المصرية سواء المحجبة أو غير المحجبة فهي جديرة بالحصول على موديلات أنيقة، وبمواصفات تناسب قوامها، فدائما هناك مشكلة تواجهنا عند شراء الموديلات المستوردة وذات الماركات العالمية بأن تكون غير ملائمة للقوام المصري أو لطبيعة الأجواء الصيفية شديدة الحرارة والرطوبة.

وقالت قنصوة إن الألوان السائدة هذا الصيف تتأرجح ما بين الدرجات الصريحة مثل الأبيض والأسود والأصفر والأخضر والبنفسجي والأحمر القاتم والبيج، وبين الدرجات الهادئة مثل الكاشمير والوردي الهادئ والسيمون والأزرق السماوي. وعن النقوش فكانت الريادة للأقمشة المهورة برسومات الورد والتايغر الممزوج بألوان الموضة.

وحرصت على الدمج بين أنواع الأقمشة سواء من نفس اللون أو من ألوان متعددة، والتنوع في الموديلات ما بين الطويلة والمتوسطة.

جماهير المونديال تترقب عودة نيمار لمداواة جرح 2014

ألمانيا تفتتح مشوار الدفاع عن لقبها العالمي بمواجهة ساخنة مع المكسيك

تنطلق الأحد منافسات اليوم الرابع من كأس العالم 2018 لكرة القدم المقامة بروسيا، والتي ستشهد ثلاث مقابلات، اثنتان منها ضمن المجموعة الخامسة تجمع بين المنتخب البرازيلي ونظيره السويسري والثانية بين المنتخب الكوستاريكي مع نظيره الصربي، فيما يتقابل المنتخب الألماني مع نظيره المكسيكي.

❑ **موسكو** – تشهد منافسات، الأحد، من كأس العالم لكرة القدم المقامة حاليا بروسيا، عودة النجم البرازيلي نيمار بعد تعافيه من الإصابة بكسر في القدم، ليقود آمال منتخب بلاده في مواجهة نظيره السويسري في أولى مباريات الفريقين بالمجموعة الخامسة بالمونديال والمقررة على ملعب "روستوف أرينا".

وتشهد المجموعة نفسها، الأحد، لقاء المنتخب الكوستاريكي مع نظيره الصربي، بينما يفتتح المنتخب الألماني مشوار الدفاع عن اللقب بمواجهة نظيره المكسيكي على ملعب لوجنيكي في العاصمة موسكو، في المجموعة السادسة.

وبعد فترة غياب طويلة بسبب الإصابة التي تعرض لها في فبراير الماضي، يعود نيمار نجم باريس سان جيرمان الفرنسي إلى المشاركات الرسمية من جديد، حيث يقود آمال المنتخب البرازيلي صاحب الرقم القياسي في تاريخ التتويج بالمونديال برصيد خمسة ألقاب، والغائب عن منصة التتويج بالبطولة منذ عام 2002.

وكان نيمار قد شارك ضمن صفوف المنتخب البرازيلي في مونديال 2014 بالبرازيل، لكنه غاب عن المباراة التي انتهت بهزيمة قاسية للبرازيل أمام ألمانيا 1 – 7 في الدور قبل النهائي في بيلو هوريزونتي، بسبب الإصابة التي تعرض لها خلال مواجهة كولومبيا، إثر التحام مع خوان زونيجا.

وقال نيمار "بالتأكيد أتمنى خوض مثل هذه المباراة، أعتقد أن النتيجة كانت ستختلف لو كنت على أرض الملعب".

وإلى جانب عودة نيمار، تترقب الجماهير ما سيقدّمه المنتخب البرازيلي لمداواة جرح المونديال الكبير المتمثل في الهزيمة المذلة أمام منتخب ألمانيا قبل أربعة أعوام، كما تترقب الروح الثأرية التي ستحملها مباراة الأحد بين اللاعبين الشبان بالفريقين البرازيلي والسويسري، فقد التقت البرازيل وسويسرا قبل نحو تسعة أعوام في دور المجموعات لكأس العالم للناشئين (تحت 17 عاما)، وفازت سويسرا حينذاك 1 – صفر، وهي الهزيمة التي أطاحت بالبرازيل من دور المجموعات.

وكانت تلك المباراة قد شهدت مشاركة حارس المرمى أليسون ولاعبي خط الوسط كاسيميرو وفيليبي كوتينيو وكذلك نيمار، وينتظر مشاركة اللاعبين الأربعة في مباراة الأحد.

وقال أليسون في تصريحات لموقع الاتحاد الدولي (فيفا) "لم تكن تلك، مباراة كأس العالم للناشئين، مناسبة سعيدة بالنسبة لنا لأننا خرجنا من البطولة، كان لديهم فريق قوي للغاية".

ويضم المنتخب السويسري الحالي جرانيت شاكا وريكاردو رودريغيز والمهاجم هاريس سيفيروفيتش، الذين شاركوا في مباراة كأس العالم للناشئين عام 2009.كذلك توجه الأنظار بشكل كبير، الأحد، نحو المنتخب الألماني الذي يستهل مشوار الدفاع عن اللقب بمواجهة ساخنة مع نظيره المكسيكي على ملعب "لوجنيكي"، وذلك وسط بعض التساؤلات يتعلق أهمها بلاعب خط الوسط مسعود أوزيل، فقد عانى صانع ألعاب فريق أرسنال الإنكليزي، البالغ من العمر 29 عاما، خلال الفترة الماضية من مشكلات في الظهر والركبة إلى جانب حالة الجدل التي أثارها وزميله بالمنتخب إيلكاي جويندوجان إثر لقائهما مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في العاصمة البريطانية لندن في مايو الماضي. وقال أوليفر بيرهوف مدير المنتخب الألماني، الجمعة، إنه يتمنى انتهاء قضية التقاط الصورة مع أردوغان مع بداية مشوار الدفاع عن اللقب بمواجهة المكسيك، ويتمنى تأهل الفريق مجددا إلى نهائي المونديال.

وربما يتمثل التساؤل الوحيد في التشكيلة الأساسية للمنتخب الألماني في ضرورة اختيار لوف ما بين القائد جوليان دراكسلر المتوج مع الفريق بلقب كأس القارات 2017، ومماركو رويس.

وتصب سجلات التاريخ لمصلحة المنتخب الألماني في مباراة الأحد، حيث خسرت ألمانيا مرة واحدة فقط خلال مبارياتها الافتتاحية الـ18 في سجل مشاركاتها بالمونديال، وكانت أمام الجزائر في نسخة عام 1982.

بينما حقق المنتخب الألماني بداية قوية في النسختين الماضيتين من المونديال بالفوز على أستراليا 4 – صفر والبرتغال بالنتيجة نفسها. ولا شك في أن المنتخب الألماني لن يسقط في فخ الإفراط في الثقة، خاصة في ظل حقيقة إخفاق ثلاثة من أبطال المونديال السابقين في تجاوز الدور الأول لدى بدء مشوار الدفاع عن اللقب.

وخرج المنتخب الفرنسي من الدور الأول لبطولة عام 2002 بعد التتويج في 1998، وتكرر الأمر مع منتخبي إيطاليا بطل 2006 في 2010 وإسبانيا بطل 2010 في 2014.

كذلك يتوقع أن يتحلى المنتخب الألماني بأعلى درجات التركيز بعد أن شهدت مبارياته الودية الإعدادية للمونديال، هزيمته أمام النمسا 1 – 2 وفوزه بصعوبة على المنتخب السعودي 2 – 1.

أكثر من طموح

كأس العالم تستعد لقفزة هائلة في أرباحها بحلول 2026

ستقام كأس العالم لكرة القدم 2026 في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا بعدما صوتت الجمعية العمومية للاتحاد الدولي (الفيفا) في 13 يونيو الجاري لصالح العرض الثلاثي المشترك لاستضافة البطولة، وستكون البطولة الثالثة والعشرون الأولى من نوعها التي سيشارك فيها 48 منتخبا، ما يعني بالضرورة ارتفاعا كبيرا في الأرباح، الذي يقابله في الجهة المعاكسة العديد من العراقيل التي ستؤثر سلبا على شعبية اللعبة الأولى في العالم.

محمود القصاص
كاتب مصري

❑ كان من اللافت للنظر أن يطلق الرئيس الأميركي دونالد ترامب تغريداته عبر موقع تويتر مؤكدا حرص بلاده على تنظيم كأس العالم في عام 2026، بالاشتراك مع كندا والمكسيك، هذا في الوقت الذي لم يعرف فيه عن ترامب ولعه بكرة القدم، أو حرصه على متابعة مبارياتها، ولم تنجح اللعبة في تحقيق شعبية كبيرة بين الأميركيين والكنديين، ولا يحظى نجومها باهتمام واسع من الجماهير في الدولتين كما هو الحال بالنسبة لنجوم رياضات أخرى، مثل كرة السلة والرغبي والملاكمة.

غير أن الأرباح الهائلة التي من المنتظر أن تحققها دورة كأس العالم 2026 كفيلة بشرح هذا الاهتمام المفاجئ من قبل ترامب وغيره من المسؤولين الأميركيين بكرة القدم، إذ أنه من المخطط أن يرتفع عدد الفرق المشاركة في نهائيات كأس العالم من 32 فريقا في الوقت الحالي إلى 48 فريقا اعتبارا من بطولة عام 2026، الأمر الذي يعني زيادة المباريات، مع زيادة عدد الدول المشاركة، وهو ما يؤدي بالتبعية إلى وجود فرص ربح إضافية من حصيلة بيع تذاكر المباريات، ومن حقوق البث عبر شاشات التلفزيون، هذا علاوة على الأنشطة السياحية المرتبطة بالسفر لمشاهدة مباريات كأس العالم في الدول المضيفة، والتي ستكون ثلاث دول للمرة الأولى في تاريخ البطولة التي اعتادت دول منفردة استضافتها، باستثناء بطولة عام 2002 التي كانت من نصيب كوريا الجنوبية واليابان معا.

أرباح خيالية

حسبما أوضح كارلوس كورديرو، رئيس الاتحاد الأميركي لكرة القدم، والمشرف على ملف أميركا الشمالية لتنظيم كأس العالم 2026، فإن تنظيم البطولة في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك سيحقق إيرادات بقيمة 11 مليار دولار يحصل عليها الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا)، هذا علاوة على إيرادات تقدر بخمسة مليارات دولار من الأنشطة الاقتصادية قصيرة الأجل المرتبطة بدورة كأس العالم، مثل الزيادة في الطلب على خدمات الفنادق والمطاعم وشركات النقل وشركات السياحة، وسيتم توفير نحو 40 ألف وظيفة خلال فترة الإعداد للبطولة وأثناء مبارياتها، وستزيد إيرادات العاملين في المدن التي تستضيف مباريات البطولة بنحو مليار دولار.

وسيكون للولايات المتحدة نصيب الأسد من كل هذه الإيرادات، إذ تستضيف وحدها 60 مباراة، بما في ذلك المباراة النهائية، فيما تستضيف كل من المكسيك وكندا عشرين مباراة مقسمة بالتساوي بينهما.

ونظرا لأن الفيفا هو في الأصل منظمة غير هادفة للربح، أو على الأقل هذا هو وضعه القانوني، فإن كل الإيرادات التي يحصل عليها من تنظيم مباريات كأس العالم ينبغي أن يعيد استثمارها لتطوير كرة القدم في مختلف البلاد المشاركة في عضوية الاتحاد، ومن ثم، من المنتظر أن تحصل الاتحادات القارية على المزيد من الأموال بعد بطولة عام 2026.

ولعل هذا ما يفسر التأييد الواسع لملف أميركا الشمالية من قبل مختلف الدول التي تتمتع بعضوية الفيفا أثناء عملية التصويت خلال الاجتماع السنوي للأعضاء في موسكو، الأربعاء 13 يونيو، والذي أسفر، حسبما أعلن رئيس الفيفا، جياني إنفانتينو، عن فوز ملف أميركا الشمالية بـ134 صوتا، فيما حصل ملف المغرب المنافس على 65 صوتا فقط.

الملف الذي قدّمه كارلوس كورديرو، رئيس الاتحاد الأميركي لكرة القدم لاستضافة كأس العالم 2026، هو ملف مشروع اقتصادي عملاق تقوده واشنطن، وتشارك في فعالياته كندا والمكسيك، ويهدف إلى نقل دورات كأس العالم لكرة القدم إلى مستوى أعلى كثيرا، من الناحية المالية بالطبع، من المستوى الحالي، ويخطط لقفزة هائلة في حجم الجماهير التي ستتابع البطولة، وفي عدد تذاكر المباريات التي سيتم بيعها، إذ ينتظر أن تبلغ نحو 5.8 مليون تذكرة مقابل 2.5 مليون تذكرة في البطولة التي أقيمت في البرازيل في عام 2014.

مخاطر واسعة

إجمالا، يتم التخطيط لرفع الإيرادات الإجمالية التي تحققت في بطولة البرازيل، وهي بقيمة 2.6 مليار دولار، إلى مبلغ 11 مليار دولار في عام 2026، وهو مبلغ يفوق كثيرا الإيرادات المتوقعة للفيفا من بطولة روسيا 2018، والتي ينتظر أن تبلغ نحو خمسة مليارات دولار. لكن يبدو أن كورديرو نسي تماما أن كل ما تقدّمه كأس العالم هو مباريات في كرة القدم، وأن هذه الأرباح الهائلة التي يسعى لتحقيقها من اللعبة الشعبية الأولى في العالم تحمل معها مخاطر كثيرة يجب أخذها في الحسبان.

ومن أبرز هذه المخاطر ضعف مجموعة من الفرق التي ستشارك في كأس العالم 2026 نظرا لاتساع قاعدة المشاركة نتيجة وجود 48 فريقا، الأمر الذي يعني وجود عدد غير قليل من المباريات منخفضة المستوى التي قد لا تغري الجماهير بمشاهدتها كما هو متوقع، ولن تحقق العائد المنتظر، سواء من بيع تذاكر المباريات أو من خلال حقوق بثها عبر الأثير أو عبر شاشات التلفزيون.

ولعل هذا هو السبب الذي دفع الفيفا للحفاظ على عدد قليل نسبيا من الفرق المشاركة في كأس العالم عبر العشرات من السنين، وذلك لضمان ارتفاع مستوى المنافسة، واستمرار الإقبال على المباريات.

لكن من الواضح أن فرص المكاسب المالية الهائلة جعلت الفيفا يقدّم الأرباح على مستوى جودة المباريات، خاصة وأن بطولة كأس العالم هي المصدر الرئيسي لإيرادات الفيفا، وتناسى المسؤولون عن الفيفا تماما أن الأصل في كأس العالم هو متابعة مباريات رفيعة المستوى من فرق متميزة، وإذا فقدت كأس العالم هذه الميزة الفريدة، سيفقد بالتبعية البريق الذي يتمتع به في عيون الملايين من المشاهدين.

مشكلة أخرى تواجه الفيفا، وهي الاتهامات المتلاحقة بالفساد، والتي سبق أن أطاحت بجوزيف بلاتر، المدير السابق للفيفا، وأدت إلى منع ميشيل بلاتيني، الرئيس السابق للاتحاد الأوروبي لكرة القدم، من ممارسة أي نشاط يتصل باللعبة لمدة أربع سنوات بعد أن أدين بتلقي أموال بصورة غير قانونية.

> على الفيفا أن يعي جيدا أن تحويل البطولة إلى مجرد وسيلة لتكديس الأموال قد يأتي بنتائج عكسية، فالبطولة ليست حسابا مفتوحا يمكن اغتراف الأموال منه بلا قيود

وسبق أن اعترف بلاتيني بالتلاعب في قرعة دورة كأس العالم 1998 التي احتضنتها فرنسا، بهدف أن يلتقي فريق فرنسا مع البرازيل في المباراة النهائية، ولا شك أن تحويل كأس العالم إلى مضخة للأموال، وإلى مشروع اقتصادي عملاق يهدف إلى تحقيق مكاسب هائلة، سيثير المزيد من التساؤلات حول أوجه إنفاق الإيرادات الهائلة للفيفا، وعن طرق الرقابة المتبعة لضمان ألا تهدر هذه الأموال أو أن تذهب إلى جيوب المسؤولين في الاتحاد الدولي لكرة القدم وفي الاتحادات القارية بدلا من أن تذهب لبناء ملاعب وصالات تدريب للملايين من الشباب الذين يعشقون كرة القدم في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية.

وتبقى مشكلة ثالثة، وهي حقوق بث المباريات التي يقوم الفيفا ببيعها إلى مختلف مناطق العالم بهدف تحقيق أكبر أرباح ممكنة، ونظرا لأن الشركات التي تحصل على حقوق البث تدفع أموالا طائلة مقابل الحصول على هذه الحقوق، فإنها تقوم باستثمارها بأفضل شكل ممكن سواء عن طريق جذب المعلنين إليها، أو عن طريق بث المباريات مقابل اشتراكات لا يستطيع دفعها الملايين من الفقراء في دول كثيرة، والذين يعتبرون مشاهدة مباريات كرة القدم إحدى المتع القليلة التي يتطلعون للحصول عليها بلا مقابل.

غير أن أعلى المخاطر هي انصراف الجماهير عن ملاعب كرة القدم بسبب ارتفاع أسعار تذاكر المباريات، أو انصرافها عن كرة القدم عموما إذا تحوّلت اللعبة الجميلة إلى مجرد بقرة حلوب لمجموعة قليلة من المستفيدين باللعبة في مختلف قارات الأرض.

من حق الفيفا أن يسعى لتحقيق إيرادات من بطولة كأس العالم، ولكن على المسؤولين فيه أن يفكروا في أن تحويل البطولة إلى مجرد وسيلة لتكديس الأموال قد يأتي بنتائج عكسية، ربما في الأجل الطويل، وأن بطولة كأس العالم ليست حسابا مفتوحا يمكن اغتراف الأموال منه بلا قيود.

التنظيم الثلاثي.. سلاح ذو حدين

التكنولوجيا تساعد فرنسا على تخطي أستراليا

الديوك يحققون فوزا صعبا بفضل خبرة غريزمان وبوغبا

احتاجت فرنسا إلى أول ركلة جزاء على الإطلاق تحتسب في كأس العالم لكرة القدم بعد مراجعة الفيديو، إضافة إلى هدف من بول بوغبا بعد أن غيرت الكرة اتجاهها لتبدأ مشوارها في النهائيات بالفوز 2 –1 على أستراليا السبت.

❑ **كازان (روسيا)** – للمرة الأولى في تاريخ كأس العالم في كرة القدم اعتمدت تقنية المساعدة بالفيديو في التحكيم، وساعدت فرنسا بطلة 1998 في تخطي عقبتها الأولى في مونديال روسيا 2018، بشق الأنفس ضد أستراليا 2 – 1 السبت في كازان ضمن الجولة الأولى من المجموعة الثالثة.

وأوقف الحكم الأوروغوياني أندريس كونيا اللعب بعد عرقلة لم يحتسبها من المدافع جوشوا ريسدون على الفرنسي أنطوان غريزمان، قبل أن يعيد النظر بقراره ويمنح ركلة جزاء ترجمها مهاجم أتلتيكو مدريد الإسباني بنجاح، مفتتحا التسجيل في الدقيقة 58، إلا أن المنتخب الأسترالي سارع إلى معادلة النتيجة عبر ركلة جزاء أيضا نفذها قائده ميلي يديناك في الدقيقة 62، بعدما لمس المدافع الفرنسي صامويل أومتيتي الكرة بيده في منطقة الجزاء، وفي الدقيقة 81 عاود المنتخب الفرنسي التقدّم 2 – 1 عبر بول بوغبا.

> لقاء فرنسا وأستراليا عرف مشاركة أصغر لاعبين في المونديال، وهما كيليان مبابي مهاجم باريس سان جرمان بعمر 19 عاما و178 يوما، ونظيره الأسترالي دانييل أرزاني، بعمر 19 عاما و163 يوما

وهي المرة الأولى التي تستخدم فيها تقنية "في.إيه.آر" في كأس العالم، بعدما أقر الاتحاد الدولي (فيفا) في وقت سابق من هذا العام، اعتماد التقنية المثيرة للجدل في أبرز بطولاته، بدعم مباشر من رئيسه السويسري جاني إنفانتينو.

ويمكن استخدام تقنية التحكيم بالفيديو في أربع حالات مؤثرة، وهي: بعد هدف مسجل، وعند احتساب ركلة جزاء، وعند رفع بطاقة حمراء مباشرة أو في حال وقوع خطأ بالنسبة إلى هوية لاعب تم إنذاره أو طرده.

وقال بوغبا بعد الفوز لقناة تي.أف1 الفرنسية "هذه مباراة في كأس العالم ولا توجد منتخبات صغيرة، دافعت أستراليا جيدا، هو فريق جميل وستكون الأمور مماثلة في كأس العالم". وتابع "لم نستسلم ونجحنا بالتسجيل في النهاية، ساعدني كثيرا المدافع الأسترالي لكن الكرة دخلت، التسجيل بالأذن أو بالأنف أو بالقدم، المهم أن تدخل الكرة".

ودفع المدرب ديدييه ديشان بالثلاثي الهجومي أنطوان غريزمان وكيليان مبابي وعثمان دمبيلي، مبقيا على أوليفييه جيرو على مقاعد البدلاء، وفي الدفاع، فضل الظهيرين بنجامان بافار ولوكاس هرنانديز على جبريل سيديبيه وبنجامان مندي.

وأصبح كيليان مبابي مهاجم باريس سان جرمان بعمر 19 عاما و6 أشهر، تحديدا بعمر 19 عاما و178 يوما، أصغر لاعب فرنسي يخوض بطولة كبرى (كأس العالم أو كأس أوروبا)، وبمعدل بلغ 24 عاما و6 أشهر، تكون هذه أصغر تشكيلة لفرنسا في مباراة افتتاحية في المونديال منذ 1930 (23 عاما و11 شهرا ضد المكسيك).

وفي صفوف أستراليا أصبح دانييل أرزاني، الذي دخل بديلا أمام فرنسا أصغر لاعب يشارك في مونديال روسيا بعمر 19 عاما 163 يوما.

وقال ديشان "لم تكن الأمور بسيطة، الفوز في المباراة الأولى هام جدا ويصعب شرح ما حصل.. الأمور صعبة على الجميع في المونديال باستثناء الروس، يجب أن تقاتل لأن الفرق كلها تستعد جيدا".

وجاء الشوط الأول مخيبا بالنسبة للفرنسيين، فبعد بداية واعدة وكرة خطيرة لمبابي من تسديدة قريبة أبعدها الحارس ماتيو راين إلى ركنية في الدقيقة الثانية من عمر المباراة، بقي المنتخب الأزرق صائما عن تهديد مرمى المنتخب الأوقياني-الآسيوي الذي سنحت له فرصة صدها الحارس هوغو لوريس إثر كرة مشتركة بين آرون موي وماتيو ليكي في الدقيقة 17.

وفي الشوط الثاني، قالت تقنية المساعدة بالفيديو في التحكيم كلمتها عندما قلبت قرار الحكم إثر عرقلة ريسدون لغريزمان، فحصلت فرنسا على ركلة جزاء ترجمها مهاجم أتلتيكو مدريد بنجاح.

انتصار تقنية الفيديو

ورفع غريزمان (27 عاما)، أفضل لاعب وأفضل هداف (6 أهداف) في كأس أوروبا 2016، رصيده إلى 21 هدفا في 55 مباراة دولية، لكن بعدها بقليل حصلت أستراليا على ركلة جزاء أخرى للمس باليد من أومتيتي ترجمها ميلي يديناك إلى يسار الحارس لوريس في الدقيقة 62.

وتعد المدة بين ضربتي الجزاء المسجلتين خلال لقاء السبت هي الأقصر في تاريخ كأس العالم، بواقع 4 دقائق و7 ثوان.

وقال أومتيتي مدافع برشلونة الإسباني "ارتقيت وصدمت يدي الكرة، هكذا أمور تحصل وتعين علينا التركيز بسرعة على المباراة.. افتقدنا قليلا للإيقاع، ويمكننا التحسن في مجال نقل الكرة وفي السباقات أيضا".

وحاول ديشان استدراك الأمور، فدفع بجيرو ولاعب الوسط نبيل فقير على حساب غريزمان ودمبيلي في الدقيقة 70، ثم بليز ماتويدي بدلا من توليسو في الدقيقة 78.

وأثمرت تعديلاته عن هدف الفوز لفرنسا بكرة مباغتة من لاعب وسط مانشستر يونايتد الإنكليزي بوغبا، لعبها ساقطة بمساعدة من عزيز بهيش ارتدت من العارضة إلى داخل مرمى أستراليا في الدقيقة 81.

وحتى هذا الهدف كان من الممكن ألاّ يتم احتسابه في عصر ما قبل استخدام التكنولوجيا في كرة القدم، إذ اصطدمت تسديدة بوغبا بساق عزيز بهيتش وارتطمت بالعارضة وقفزت داخل المرمى قبل أن تخرج.

وتأكد الحكم القادم من أوروغواي أندريس كونيا من شاشة تكنولوجيا خط المرمى في ساعته واحتسب الهدف، بينما وقف الحارس مات رايان وهو يمسك بالكرة بين يديه.

وشاهد كونيا قبل ذلك إعادة لتدخل جوش ريسدون على غريزمان في شاشة على جانب الملعب، وقرّر أن الظهير الأيمن لأستراليا أعاق المهاجم الفرنسي داخل المنطقة.

وكان ديشان قد استدعى مجموعة تضم 14 لاعبا لم يسبق أن خاضوا أي بطولة دولية بينهم جيل شاب من المواهب، لا سيما في خطي الوسط الهجومي والهجوم على غرار توما ليمار وفقير وفلوريان توفان ودمبيلي ومبابي. وتضم تشكيلة ديشان ستة لاعبين فقط ممن شاركوا في مونديال البرازيل 2014، بينهم القائد لوريس وبوغبا وغريزمان.

أما أستراليا، بطلة آسيا 2015، والتي تشارك في المونديال للمرة الرابعة توالياً والخامسة في تاريخها، فقد حققت أفضل نتائجها في 2006 عندما بلغت دور الـ16، ويقودها المدرب الهولندي فان مارفيك المعين في 24 يناير الماضي خلفا لآينج بوستيكوغلو المستقيل من منصبه.

وسيدخل فريق المدرب ديدييه ديشان مباراتيه المتبقيتين في المجموعة الثالثة ضد الدنمارك وبيرو ولديه ثلاث نقاط، لكن سيكون أمامه الكثير من العمل حتى يؤكد وضعه كمرشح قبل البطولة لإحراز اللقب.

أنا البرتغال

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ ألم أقل لكم أكثر من مليون مرة إنني أسطورة؟ ألم تحدثكم إنجازاتي على امتداد خمس عشرة سنة أو أكثر عن عبقريتي وقوتي وموهبتي المتفردة؟ ألم أثبت لكم بل للعالم بأسره أنني أستحق عن جدارة أن أكون في الصف الأول لأساطير الكرة العالمية على امتداد التاريخ؟

ربما كان هكذا يردد كريستيانو رونالدو بعد المباراة الممتعة والمشوقة التي جمعت بين منتخب بلاده البرتغال ونظيره الإسباني في ثاني أيام المونديال الروسي.

لقد كانت مباراة "الدون" رونالدو بامتياز، كانت أشبه بعرض مسرحي بطله الوحيد والأوحد هو "صاروخ ماديرا"، فرونالدو فعل كل شيء، قدّم عرضا مبهرا استثنائيا لا يقدر على تقديمه سوى من هم في مرتبة "آلهة" الكرة.

تلك المباراة المجنونة التي انتهت بتعادل مثير بنتيجة 3 – 3، اتفق الجميع على أنها مباراة كانت بالأساس بين المنتخب الإسباني والدون كريستيانو رونالدو في المقام الأول، لقد اختزل هذا النجم "الخرافي" كل العبارات والفصول، كل الكلمات والعبارات وارتدى بمفرده ولوحده ثوبا "خياليا" جعله أشبه بروح "مختصرة" للبرتغال.

رونالدو فعل كل شيء بمفرده، صنع الهدف الأول في اللقاء بعد أن أجبر مدافع المنتخب الإسباني ناتشو على ارتكاب الخطأ في المناطق "المحرمة" ليحصل على ركلة جزاء، طبعا تحمل بكل ثقة المسؤولية وتولى تنفيذها بكل براعة ونجاح واضعا نفسه في المقدّمة في مواجهة منتخب إسبانيا القوي والعنيد.

تقلبات المواجهة مكنت المنتخب المنافس من تعديل النتيجة، لكن النجم البرتغالي المتألق أبى أن ينتهي الشوط الأول دون أن يصنع هدفا مميزا جعله يتقدّم من جديد.

الفترة الثانية استهلها "الماتادور" الإسباني بشكل مثالي ليعدل النتيجة في مرحلة أولى قبل أن يختطف هدف التقدّم وسط ذهول "كومبارس" منتخب رونالدو، فالمنتخب الإسباني لم يزعجه في تلك المواجهة سوى لاعب وحيد، لاعب كالف، لاعب يستحق أن يكون في مكانة أعلى من المنتخب، بل هو لاعب يجبرنا أن نقلب المعادلة لنقول إن المنتخب البرتغالي المنتمي إلى رونالدو، وليس العكس.

قلنا إن المباراة لم تنته، ففي عز سيطرة المنتخب الإسباني الذي قدّم مستوى جيدا خاصة بالاعتماد على التبادل القصير للكرة، وفي أحلك فترات الظلمة والعتمة في المعسكر البرتغالي، انطلق السهم وأشع "صاروخ ماديرا" ليملأ المكان نورا كسا كل محبيه ولهيبا حطم الكبرياء الإسباني.

في أشد لحظات التوتر والإحباط البرتغالي أطل الأسطورة ليواصل صنع الملحمة بعد أن أجبر منافسه على ارتكاب الهفوة من جديد ليحصل على ضربة مخالفة في مكان محبّذ له، تنفس رونالدو عميقا، قدّر المسافة وقرأ مسار الكرة قبل أن تنطلق، ثم أطلق "صاروخه" النفاذ ليصيب الشباك هدفا ثالثا رائعا ومميزا انتزع به التعادل لنفسه قبل دقيقة واحدة من نهاية المباراة التاريخية.

ثلاث طلقات رائعة جعلت رونالدو مرة أخرى يصل إلى عنان السماء ويثبت أنه يستحق أكثر من مجرد تمثال في بلاده، ربما يستحق أن يكون اسمه على فاتلة المنتخب البرتغالي، فما قدّمه سابقا ويقدّمه حاليا يمنحه بكل أحقيّة مكانة متقدّمة عن كل أساطير البرتغال على غرار أوزيبيو ولويس فيغو وروي كوستا.

يكفي رونالدو فخرا أنه كان القائد والملهم عندما حازت البرتغال على لقبها القاري الأول في يورو سنة 2016، يكفيه فخرا أنه أمّن حضورا دائما لهذا المنتخب في البطولات الكبرى طيلة السنوات العشر الماضية، ففي كل مرة تجد البرتغال مشكلات في تصفيات المونديال كان رونالدو المنقذ والبطل، وما حصل مثلا في تصفيات مونديالي 2010 ثم 2014 يثبت قوة تأثير كريستانو وأهمية وجوده مع هذا المنتخب.

اليوم بدأ رونالدو المونديال كأبهى ما يكون، لقد تصدّر مبكرا صدارة الهدافين بثلاثية كاملة، والحصيلة مرشحة للارتفاع منذ الدور الأول، خاصة وأن المواجهتين المقبلتين تمنحانه فرصا أكبر لمضاعفة "غلته".

رونالدو سيسعى بلا شك إلى قيادة "منتخبه" إلى أعلى المراتب ولم لا المراهنة على اللقب العالمي، ربما ينجح في إعادة صياغة التاريخ والسير عل خطى المنتخب الإسباني الذي توج بلقب يورو سنة 2008 قبل أن يتوج بكأس العالم بعد عامين فقط في جنوب أفريقيا.

صحيح أن المنتخب الإسباني حقق إنجازاته السابقة بفضل وجود جيل ذهبي من اللاعبين الذين يتقاربون في المستوى والموهبة، لكن رونالدو لوحده قادر على أن يلهم "منتخبه" ويحقق المطلوب.

ألم يفعلها سابقا الساحر الأرجنتيني مارادونا عندما صنع بمفرده وبمجهوده الشخصي ملحمة مونديال المكسيك سنة 1986 وتوج باللقب العالمي؟

إذا، لا شيء قد يمنع رونالدو أن يحقّق إنجازا مماثلا فيصبح بالتالي ملك الملوك في حضرة الأساطير، فما حققه طيلة السنوات الأخيرة كسر كل الحواجز والعوائق وفتح أملا جديدا بخصوص القدرة على صنع المعجزات، والمونديال الروسي قد يعرف معجزة جديدة من قدم الساحر والملهم رونالدو.

بالأمس القريب ارتدى هذا "الدون" ثوب اللاعب التاريخي والأسطوري لريال مدريد، خاصة وأنه حطم كل الأرقام الشخصية مع هذا الفريق وقاده للحصول على أربعة ألقاب خالدة في دوري الأبطال، وجاء اليوم الدور على البرتغال.

اليوم بات من حق "كريس" أن يقول أنا الريال.. أنا الأسطورة الحية.. أنا البرتغال.

أيسلندا تحبط أحلام ميسي

❑ **موسكو** – تعثر المنتخب الأرجنتيني في بداية مشواره ببطولة كأس العالم 2018 لكرة القدم المقامة بروسيا، وتعادل مع نظيره الأيسلندي 1 – 1 السبت على ملعب "أتكريت أرينا" في العاصمة موسكو، في أولى مباريات الفريقين بالمجموعة الرابعة. وافتتح سيرجيو أغويرو التسجيل للمنتخب الأرجنتيني في الدقيقة 19، ثم أدرك ألفريد فينبوجاسون التعادل لأيسلندا في الدقيقة 23.

ويدين المنتخب الأيسلندي بفضل كبير في انتزاع نقطة التعادل لحارس مرماه هانيس هالدورسون الذي تصدى لضربة جزاء سددها النجم الأرجنتيني ميسي في الدقيقة 63، كما تألق في التصدي لأكثر من كرة خطيرة أخرى كانت كفيلة بحسم المباراة لصالح الأرجنتين.

وتفوق المنتخب الأرجنتيني في الاستحواذ على الكرة والجانب الهجومي خلال أغلب فترات المباراة، وتفوق هجوميا بشكل هائل خلال آخر 20 دقيقة من المباراة، لكنه أخفق في ترجمة هذه الأفضلية إلى فوز.

أما المنتخب الأيسلندي فقد كان ندًا قويا خلال المباراة خاصة في شوطها الأول وصنع عدة فرصة تهديفية، لكنه برع بشكل عام في الجانب الدفاعي حيث تسبب لفترات في معاناة المنتخب الأرجنتيني في التوغل إلى منطقة الجزاء، كما دافع عن شباكه بشراسة خلال الدقائق الأخيرة. وجاء التعادل في مباراة السبت ليهدّد أحلام ميسي، الذي لا يفصله عن أعظم لاعبي جيله سوى لقب المونديال.

ويشارك ميسي في كأس العالم للمرة الرابعة ويتطلع إلى تجاوز إنجاز مونديال 2014 بالبرازيل، الذي شهد وصول المنتخب الأرجنتيني إلى النهائي قبل أن يخسر أمام المنتخب الألماني في ريو دي جانيرو.

واستمر السبت ظهور المشكلات الدفاعية لدى المنتخب الأرجنتيني الذي لم تكن فترة استعداداته للمونديال مثالية، حيث مني الفريق بهزيمة ثقيلة أمام نظيره الإسباني 1 – 6 في مارس، ونجح فقط في التغلب على منتخب هايتي 4 – صفر في أواخر مايو الماضي، في مباراة سجل خلالها ميسي ثلاثية (هاتريك).

أما المنتخب الأيسلندي الذي وصل إلى دور الثمانية ببطولة كأس الأمم الأوروبية (يورو 2016) كما تأهل إلى المونديال الروسي من صدارة مجموعة ضمت ستة منتخبات من بينها منتخبات كرواتيا وأوكرانيا وتركيا، ليكون ممثل أقل دولة في تعداد السكان من الدول المتأهلة للمونديال، فقد أظهر ثقة وإصرارا هائلين في بداية أول مشاركة مونديالية له.

حظ سيء

رسوم متحركة تتمحور حول النزاعات في العالم للكبار فقط

مزجت عدة أعمال مقدمة في مهرجان أفلام التحريك في آنسي الفرنسية في نسخته الأخيرة، بين مشاهد حقيقية ورسوم مصورة تتمحور أغلبها حول مواضيع الساعة والنزاعات، مؤكدة على أن سينما التحريك لم تعد حكرا على الأطفال.

أفلام كرتونية غنية بالصور المجازية

❏ **باريس** – كثيرة هي أفلام الرسوم المتحركة التي باتت توجّه إلى البالغين مع مواضيع جدية تتمحور حول مشكلات المجتمع والنزاعات في العالم، كما ظهر في النسخة الأخيرة من مهرجان أفلام التحريك في آنسي (شرق فرنسا)، أكبر الفعاليات العالمية المخصصة لهذه الإنتاجات.

ويستهزئ الفيلم الصيني "هاف إيه نايس داي" من توقيع ليو جيان الذي عرض هذا الأسبوع في مهرجان آنسي والعام الماضي في مهرجان برلين السينمائي، بالنظام الرأسمالي وهوس المجتمع الصيني بالمال من خلال سباق على كيس مملوء بالأوراق النقدية.

ويعرض في السابع والعشرين من يونيو الحالي في الصالات فيلم "ذي بريدوينر" لنورا توومي، الذي رشح لجائزة أوسكار والمشارك في المنافسة في آنسي. وهذا الفيلم الذي يتناول مسألة أفغانستان وطالبان بكل جديتها يناسب العائلة برمتها. وهو يروي قصة فتاة صغيرة تضطر للتنكر في زيّ صبي لتكسب رزق عائلتها وتبحث عن والدها القابع في السجن.

وفي مهرجان آنسي، كثيرة هي الأعمال المتمحورة حول المسائل التاريخية ومواضيع الساعة عموما والنزاعات خصوصا، كالاضطرابات في الشرق الأوسط والخمير الحمر ويوغوسلافيا السابقة وأنغولا وأفغانستان مجددا مع فيلم "سنونو كابول" المقتبس من رواية ياسمينا خضرا.

وقالت توومي إن "السينما تزداد نضجا مع أفلام تتطرق إلى مواضيع شائكة"، مؤكدة أن "قطاع التحريك تغيّر. فهو أسس قبل أكثر من قرن كوسيط إعلام تجريبي. واستخدم كثيرا لإنتاجات الأطفال. وإنه لأمر جيد بالطبع لكن الرسوم المتحركة في وسعها تقديم أكثر من ذلك بكثير".

وبالنسبة إلى المدير الفني لمهرجان آنسي مارسيل جان، فإن "سينما التحريك لم تعد حكرا على الأطفال"، خصوصا مع "ازدياد عدد المخرجين المستقلين الذين يخوضون غمار هذه التجربة وتكاثر الأفلام التي تنتج بميزانية معقولة".

واعتبر جان أن الشرارة أتت من فيلمي "رقص الفالس مع بشير" لآري فولمان حول إسرائيلي يستذكر ماضيه في صفوف الجيش و"برسيبوليس" لماريان ساترابي وفنسان بارونو بشأن إيران. وأضاف أنهما "فيلمان مختلفان جدا لكنهما يتطرقان إلى مسائل سياسية، وقد ساهما في تغيير النظرة إلى سينما التحريك".

ومن ميزات تقنية التحريك أنها تتيح تجنب الشخصيات الدرامية والتطرق بطريقة رمزية إلى مآسي الحرب، فضلا عن تقديم رسوم عن مواقع يصعب تصويرها أو إعادة تشكيلها.

وصرح الفرنسي دوني دو الذي يروي في "فونان" القصة الحقيقية لوالدته التي فصلت عن ابنها البكر في عهد الخمير الحمر أن "تقنية التحريك تتيح الابتعاد عن المشهد، فنحن في كل الأحوال لا نتعامل بالطريقة نفسها مع البشر ولم أكن أرغب في أن تجسد ممثلة ما، أيا كانت، دور والدتي".

ولفت المخرج الكندي كام كريستيانسن صاحب فيلم "وول" عن الجدار الفاصل في الضفة الغربية إلى أن "تقنية التحريك غنية بالصور المجازية وتسمح بالكشف عن عوالم داخلية وأفكار ومكنونات يتعذر إظهارها مع تصوير مشاهد عادية".

صباح العرب

عدلي صادق

حُلو العيد وملوحته

❏ في عيد الفطر، تطفو البهجة وتتفشى المعايدات وتتبدى مباهج الأطفال ومجاملات المحتفلين. ففي عيديْ الفطر والأضحى، يَستَذكر البعيد الغائب كل ملامح الحياة في مسقط رأسه الذي ارتحل عنه. يُستعاد شريط الذكرى بحلوها ومرها وأفراحها وشقائها، ويجترح واحدنا لنفسه سياقا للبهجة الذهنية.

اليوم، تطورت وسائل الاتصال حتى أصبح واقعها أشبه بخرافة قد تحققت، إذ يتاح للغائب المشتاق أن يرى من يحدثه على شاشة هاتفه. فإن كان المشتاق من غزة مسقط رأسه، مثلا، وارتحل عنها، فبمقدوره أن يحادث من يريد، بالصوت والصورة، ببركة ورضوان الإنترنت العجيب، الذي أجهز على بعض وجع المسافات، وأن يستعيد مع الأهل ذكرى الأيام الخوالي.

لم يغفل حديث اليوم الأول من عيد الفطر، أي ملجّ كان، كأنما يريد البعيد، الاطمئنان على أن كل شيء لا يزال قائما، حتى ولو كان شديد الملوحة رافق الأيام الهانئة. ففي اليوم الأول من عيد الفطر في غزة، يتناول الكثير من الغزيين سمكا مملحا اصطلح على تسميته الفسيخ كما في مصر التي تتناوله في يوم شم النسيم القبطي، ويكون السؤال عن بقاء هذه العادة أم اختفائها بتأثير ارتفاع نسبة الملوحة في سائر أيام الحياة. إن طبائع الدنيا والناس تتبدل كما تبدلت وسائل الاتصال فانتقلت من فوق ظهور الإبل أو الخيول التي ينقل فرسانها الأنباء، إلى وميض شاشات الهواتف والحواسيب وصورها الملتقطة عبر الأقمار الاصطناعية. بالأمس كتبت على حسابي الفيسبوكي، وسألت عن مصير "فسيخ" الأمس في أحوال ملوحتنا الشاسعة اليوم. وجاءت الإجابات فورا ببقاء القديم على قدمه. وسألت عن أطباق اليوم الثاني، وأهمها "السُمّاقيّة" وعلمت أنها ظلت أيقونة طبيخ في الأعياد، على الرغم من كون أحد دواعي بقائها لقرون، أن الثلاجات لم تكن ظهرت، وبالتالي كانت "السماقية" وسيلة استفادة مما تبقى من لحم الأضحية، التي صمدت بلا تبريد، إذ يُصار إلى تدبير استهلاك عاجل وشهي للحم المقطع إلى نتف صغيرة، ممزوجة بمكونات الطبخة. و"السُماقية" طبق عريق، وقد ورد شرح تحضيرها في مجلد عنوانه "كتاب الطبيخ" لمحمد بن حسن البغدادي الذي عاش في العصر العباسي. لكنه في شرحه لفحوى "السُماقية" وطريقتها، توسع الرجل، بحكم سعة الإناء الذي كانت تُطبخ فيه، وهو القدر الفخاري الواسع، إذ حَلّ في القديم، بخَلاف اللحم، الدجاج ومكونات أخرى إضافية في الوصفة، مع السُمّاق الأساسي وطحينة السمسم ونبات "السَلِق"!

التقاليد ظلت على حالها واستوعب الناس الجديد بحلوه ومُره!

راهب ينسّق الأسطوانات في الحفلات

❏ **طوكيو** – يعيش أكينوبو تاتسومي في معبده داخل أحد الوديان في اليابان حياة لا تشبه تلك العائدة لزملائه من الرهبان البوذيين إذ يمارس بين الحين والآخر هوايته المفضلة كمنسق للأسطوانات.

هذا الرجل البالغ 38 عاما والذي تعلم بجهده الشخصي فن مزج المقطوعات الموسيقية وتنسيقها والمولع بموسيقى الهيب هوب منذ المراهقة، يسجل موسيقاه الخاصة فيما ينام الرهبان الآخرون في معبد شوسانجي الواقع في أقاصي جزيرة كيوشو في جنوب غرب اليابان.

وبعدما أخفى طويلا هوايته الليلية، بات تاتسومي يفاتح زواره بشغفه بتنسيق أسطوانات الفينيل. وأوضح "بطبيعة الحال ننتظر عادة من الراهب عظة تقليدية"، مضيفا "في أول مرة أخرجت فيها أسطوانات البلاتين خاصتي وعرضت طريقة تنسيق الأسطوانات على الكبار في السن، كانوا مذهولين بعض الشيء. في المنطقة، يسموننني الراهب العصري".

وقال "لقد تأثرت بالهيب هوب وأستمع إلى ران دي أم سي وبابليك إينيمي"، متابعا "بهذه الطريقة بدأت خوض مجال البيت بوكس. حصل أن تمرنت على حافة منحدر حيث كان الصدى رائعا". وأضاف "في البداية كنت أخفي أني راهب عندما كنت أؤدي عروضا في النوادي والحانات. وفي المقابل، كنت أخفي في المعبد أني منسق أسطوانات".

ويمزج تاتسومي الآن في مقطوعاته الخاصة الموسيقى الإلكترونية مع الأناشيد البوذية.

أبل تكلّف أوبرا وينفري بإنتاج برامجها

❏ **نيويورك** – تعتزم مقدمة البرامج الشهيرة أوبرا وينفري إنتاج برامج لحساب شركة أبل في إطار عقد يمتد على سنوات عدة أعلن عنه عملاق التكنولوجيا مؤخرا.

ولم تحدد أبل نوع البرامج المزمع إنتاجها ولم توضح أيضا مواعيد بث هذه المحتويات الموكلة إلى أوبرا التي تعدّ من أشهر الشخصيات في الولايات المتحدة بفضل برنامجها التلفزيوني.

وأفاد موقع "هوليوود ريبورتر" بأن الاتفاق يشمل برامج تلفزيونية وأفلاما وتطبيقات وكتبا.

وتكشف أبل منذ العام الماضي، الجهود في مجال إنتاج المحتويات الأصلية، مع برنامج تساهم في إعداده الممثلتان الأميركيتان جينفر أنيستون وريز ويذرسبون.

أطفال من مسلمي الهند يتبادلون المعايدة بعد صلاة عيد الفطر في مسجد خيرالدين في مدينة أمريتسار (شمال غرب الهند)

اندلاع حريق بأعرق مدارس الفنون في العالم

❏ **غلاسكو (أسكتلندا)** - تعرضت مدرسة للفنون داخل مبنى تاريخي في مدينة غلاسكو الأسكتلندية وهي مصنفة من بين الأفضل من نوعها في العالم، إلى حريق بعد أربع سنوات على حادثة مماثلة شهدها الموقع. ولم يسفر الحريق عن أي إصابات بحسب فرق الإطفاء.

هذا المبنى التاريخي الذي يعود إلى أكثر من قرن، كان قد تضرر جراء حريق آخر في مايو 2014 إلا أن شهودا قالوا إن حريق السبت يبدو "أسوأ بكثير" من ذلك الذي شهده الموقع قبل أربع سنوات.

قطعة لبانكسي تسرق من معرض في تورونتو

❏ **تورونتو (كندا)** - أعلنت شرطة مدينة تورونتو الكندية عن فتح تحقيق في سرقة قطعة من تصميم بانكسي كانت في صالة العرض في سياق معرض مخصص لفنان الشارع البريطاني الشهير هذا.

وقالت جينفر جيت سيدو الناطقة باسم الشرطة "تلقينا اتصالا بشأن حادثة دخول عنوة في غرب المدينة. وتبين أن قطعة لبانكسي اختفت من المعرض". وتقدر قيمتها بحوالي 34 ألف دولار أميركي.

مصر تستعين بالشرطة النسائية في العيد

❏ **القاهرة** - انتشرت الشرطة النسائية في مصر، أمام دور السينما والمقاهي والمتنزهات، للحيلولة دون وقوع حالات تحرش في أول أيام عيد الفطر.

ونقلت وسائل الإعلام عن واحدة من عناصر الشرطة (لم تذكر اسمها) قولها "مهمتنا تأمين الفتيات والسيدات للاستمتاع بالعيد دون تحرش". وأضافت أن وزارة الداخلية المصرية خصصت خطوطا هاتفية لتقديم شكاوى والإبلاغ عن حالات التحرش لسرعة نجدة الضحايا.

الوشوم المستوحاة من كرة القدم تجتاح روسيا

❏ **موسكو** - يسيطر الهوس بالوشوم المستوحاة من كأس العالم على كثيرين في روسيا التي تستضيف البطولة.

وبدأ الفنانون المتخصصون في رسم الوشم في جني ثمار تدفق السائحين من عشاق كرة القدم الذين زادوا من أعداد عملائهم.

وفي مهرجان الوشم في سان بطرسبرغ هذا العام انتشرت الرسوم المتصلة بكرة القدم في كل مكان.